من الشرق والغرب

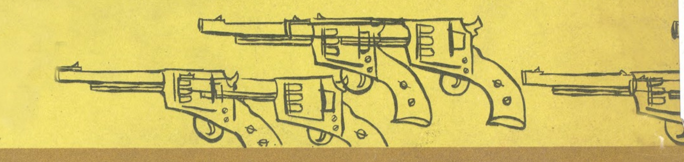
اسكتلنديارد

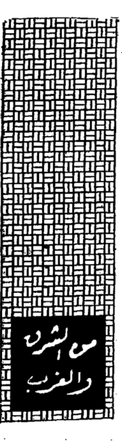
تأليف: هارولد سكوت

ترجمة: اللواء عبد المنصف محمود

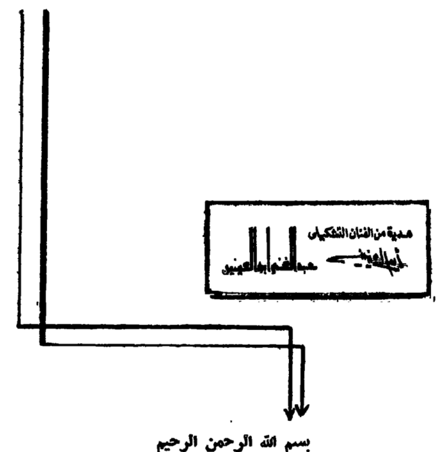
مراجعة: عبد الرحيم سرور






من الشرق
والغرب


اسكتلندا



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

اسكتلنديارد :

... انه الاسم المدوى فى عالم الاجرام ، والذى يخشاه المجرم ، ويستعيذ منه ، قبل وبعد ارتكابه الجريمة ، اختاره المؤلف عنوانا ينبىء عما يحتويه كتابه هذا .

والمؤلف هو « سير هارولد سكوت » تقلد منصب حكمدار بوليس العاصمة البريطانية من سنة ١٩٤٥ الى سنة ١٩٥٣ وهى الفترة التى اعقبت الحرب العالمية وكان العجز وقتئذ فى قوات البوليس بالغا أشده . ولكنه استطاع بهذا العدد الضئيل من الرجال أن يكافح موجات الاجرام التى خلفتها هذه الحرب الضروس .

وسير هارولد خبير باعمال البوليس ، عليم بفن الكتابة ، أديب حقا . وهو قصاص ماهر يروي عن رجال البوليس وعن نفسه ، ما لهم وما عليهم ، بصدق وصراحة ودقة ، وهو لايرى فى النقد غضاضة مادامت هذه الفئة قد بلغت باعمالها ذروة التقدير والاعجاب ، وهو يقرب الى الأذهان صور الحوادث ببراعة البيان حتى يكاد القارىء يحسب أنه يشهدها لساعتها .وقد اختار من الحوادث أشهرها ، ومن المجرمين أكثرهم جراة وحيطة ، فشرح وعلق بما ينفر من الجريمة وينذر بعاقبة المجرمين ، ويشهد لرجل البوليس بأنه نعم الحارس الامين .

واستطاع سير هارولد بما رواه عن رجل البوليس من واقع أعبائه ، وتصرفاته المفاجئة ، وتضحياته المتعمدة ، ان يطبع فى ذهن القارىء بحق أنه الصديق الذى يجب أن يوليه المواطنون حبهم ، وثقتهم ، ويعتمدوا عليه ، لأنه حبيب كل طفل وعون كل محتاج ، يجامل المستحق بالعطف والانسانية ، وضرب لنا الامثال وسجل الحوادث بالساعات والأرقام ، وفى التجاء العجوزالشمطاء الى رجل البوليس ليعيد اليها سلحفاتها المفقودة خير دليل على المكانة الرفيعة التى يتمتع بها فى نفوس مواطنيه فينشدونه كلما ضاقت صدورهم لينفس عنهم حتى ولو لم يكن ذلك من عمله أو من بين واجباته ، فكان عند حسن الظن به ، فما سخر ولا أبى أو تكبر ، بل استجاب للدعاء ولبى النداء وحقق الرجاء مسترخصا التعب فىسبيل اسعاد انسان مهما كان .

وذكر سير هارولد حوادث تعرضت فيها حياة رجال البوليس لخطر الموت وهم على بينة من بأس الجناة الذين تصدوا لهم ، فما جبنوا أو ضنوا بحياتهم فى سبيل الشعب الذىاطمأن

اليهم ليشعروه أنهم ساهرون على أمنه وراحته وسلامته ، فمات البعض ونجا البعض ، وكلل الله أعمالهم بالنصر والنجاح فنالوا تقدير الوطن والمواطنين أحياء وأمواتا . وآبان لنا سير هارولد كيف بادل أفراد الشعب رجال البوليس تضحياتهم بمثلها وما حادث تلك السيدة التى عز عليها أن تشاهد مجرما يعتدى على رجل البوليس فأنزلت هراوتها على رأسه ثم طاردته وتعلقت بأكتافه حتى قبض عليه الا دليل التقدير . ولاشك أنها كانت تعرف مدى مايحيق بها من جراء ما فعلت ! ! وقد كافأتها لجنة الحكومة بمدالية « بنى » جزاء وفاقا .

وكان للسير هارولد فضل كبير فى اشاعة استخدام تليفون (النجدة) رقم ٩٩٩ بين الجمهور فجنى به خير الثمرات . وكذلك عمل على توطيد العلاقات بين البوليس والصحافة ونوه بما أسدته فى خدمة العدالة وعاتبها فى رفق عما تسببه بحسن نية فى سبيل التسابق الصحفى من متاعب للبوليس والقضاء . وساعد على النهوض بالبوليس النسائى وتنظيمه ، ونقد الحكومات لاهمالها أمورا جديرة بالتغيير والتبديل حرصا منها على عدم اثارة الرأى العام ضدها وتركها لمن يليها أو للمقادير .

وتكلم عن مشكلة المرور وهى أعقد المشكلات بسبب الاحتكاك الدائم بين الافراد والبوليس وانتهزها فرصة طيبة ليجعل منها السبيل الميسور لتقوية الروابط بينهم بما يبديه رجل البوليس من ارشاد وعطف دون تعنت وجبروت . فالناس تتلقى منه النصح فى عفو ليطيعوه عن رضا وامتنان ، وذلك خير ألف مرة ـ من أن يزيد فى عدد المخالفات ـ لمن يفكروا فى مخالفة القوانين

واللوائح ما دام الامر هينا يمكن تلافيه ولم ينجم عنه أذى .

وقد كشف لنا عن الجريمة وحيل المجـرمين بما فيه الكفـاية لايقاظ الوعى البوليسى عنـد السذج والغافلين فلا يكونون فريسة سهلة ولقمة سائغة .

ووصـف لنا سير هارولد مبلغ ما أضـفاه الاحتفال الضخم بتتويج الملكة اليزابيث على عظمة رجال البوليس فى نظر الجمهور فنال من التقدير ما جعله حـديث الناس فى وقتنا هـذا وحديثا خالدا للقادمين ، وما أشبه ما أزجاه من فضل اليهم فى تنظيم حراسة المارشال تيتو عند زيارته لندن وما اتخـذ من احتياطات واجراءات كللت بالنجاح والسلامة .

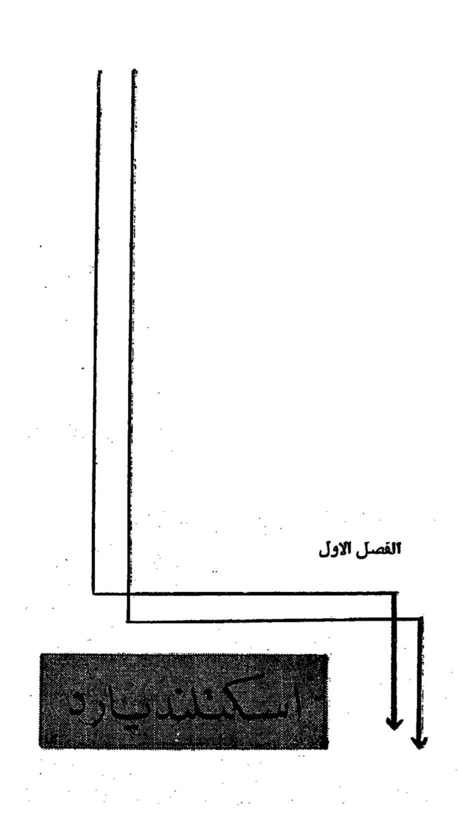
أما التجديد فى مكافحة الجريمة فقـد صوره سير هارولد فى النتائج الباهرة عن طريق العلم والعلماء فقـد أصبحت شـهادة العلم شـهادة لا تناقش ولا يشكك فيها ، ناطقة بالواقع ، قاطعة بالدليل ، تقنع القاضى والمحقق وتحمل المجرم على الاعتراف فى كثير من الاحيان فعلم الكيمياء وفن التصوير ورفع بصـمات الأصابع وآثار الاقدام هى ضرورة لا غنى عنها اليوم فى أعمال البوليس .

انى أعتقد أن هذا الكتاب سد فراغا كبيرا فى المكتبة البوليسية ، فقلما يجـود الدهر بأمثال هارولد سكوت لخبرته الواسعة ولبلاغته الجامعة فهو خير من انصف رجال البوليس بقلم ساحر ومنطق سليم ودليل ملموس .

لواء

عبد المنصف محمود

الفصل الاول



اسكتلنديارد

مؤلف هذا الكتاب هو السير هارولد سكوت حكمدار بوليس العاصمة البريطانية تولى أعمال بوليس اسكتلنديارد من سنة ١٩٤٥ الى سنة ١٩٥٣ واهدى كتابه : « الى رجال ونساء بوليس العاصمة (المتروبوليتان) » .

ثم هو يروى قصة تعيينه حكمدارا فيقول :

***

فى أحد الأيام الأخيرة من عام ١٩٤٤ وصلت الى دعوة من المستر هربرت موريسون وزير الداخلية لزيارته بمكتبه وكنت وقتذاك اشغل وظيفة السكرتير الدائم لوزارة الانتاج الجوى ، وكنت مثقلا بالعمل مع سير ستافورد كريبس ومع القائد الجوى سير ولفريد فريمان ، وكان همنا حل مشاكل تزويد السلاح الجوى الملكى بالعدد الهائل من الطائرات المطلوبة ، والمحافظة على استمرار تصديرها الىأوربا والشرق الأقصى ، ووضع الخطة اللازمة لما بعد الحرب ، والنهوض بالطائرات النفاثة وغير ذلك من المهام التى تستنفد كل وقتى ولم يدر بخلدى أن أترك عملى هذا وكان قد سبق لى العمل مع المستر موريسون خلال السنوات الأولى للحرب فى وزارة الداخلية فذهبت الى مكتبه بناء على هذه الدعوة مرجحا أن حديثنا سوف يتناول بعض شئون الدفاع المدنى .

ولقد عرفت المستر موريسون من قبل معرفة تامة فهو رجل واسع الخيال يحذق النكتة ، فسألنى عن مدى قدرتى على ركوب الخيل فأجبته متحيرا بأنى لم أمتط صهوة جواد الا نادرا بل لم تتح لى فرصة الركوب منذ سنوات غير انى على ثقة اننى اذا ركبت اليوم فلن اسىء قط الى نفسى !

عنــدئذ صارحني الوزير بأن عرض علي « تولي منصــب حكمدار العاصمة ولشد ما كانت دهشتي عند استماعي لهذا العرض . وكان أول من شغل هذا المنصب في سنة ١٨٢٩ هما « السير ريتشارد ماين » وكان محاميا ، والكولونيل « الســير شارلس روان » الذي كان من ضــباط الجيش . وبعد ذلك أصبح تقليدا مرعيا أن يختار حكمدار بوليس العاصمة من بين كبار ضباط القوات المسلحة وكان المتوقع أن يرشح لهذه الوظيفة القائد الجوي السير فيليب جيم عندما يستقيل من منصبه .

ولكن مستر موريسون كانت له آراؤه الخاصة فكان يود أن يبرز الطابع المدني لقوات البوليس وقدر أن تطور الظروف في دنيا ما بعد الحرب يستلزم أن يكون رئيس البــوليس من رجال الادارة لا من رجال الميدان . وكان كريما منه حقا أن يحسن الظن بي فيراني جديرا بتحقيق ما يعتقده بعد ان عملت في الدفاع المدني ثلاث سنوات .

كنت أقل منه ايمــانا وثقة بنفسي ، برغم أنه عنــدما اسندت الي وظيفتي بالانتاج الجوي لم أكن أدري الا القليل عن شئون الطيران أو الاصطلاحات الفنية التي يتداولها الطيارون ، وقد تبينت أنني اذا ماتعلمت الاصــطلاحات الفنية أمكنني حــل ما يواجهني من المشــاكل على غــرار ما صادفني من الامور والرجال والتجارب .

بدأت خدمتي المدنية في سنة ١٩١١في وزارة الداخلية وكانت وطيدة الصلة بأعمال بوليس العاصمة كما كنت كبيرا لمديري السجون لمدة سبع سنوات وكنت أقف على جهود رجال البوليس . ولكن ذلك كله لم يقلل من دهشتي الهائلة في اسناد هذا المنصب الي . وكنت اتخيل ما سوف يشعر به رجال أكبر قوة بوليسية في المملكة نحو رئيس لها من المدنيين وماذا يكون رأي الجمهور الذي يرى أن يكون النظام في البوليس على أتمه والا تزعزعت ثقته به بتعيين مدني لرياسته ؟ .

لقد ســاورتني هذه الظنون وكنت أتمنى أن أفوز بالتغلب عليهــا لاتخلص من اعباء الاوراق التي تحوي اعمالا اشد وطأة على كبار موظفي مجلس الوزراء « الهويتهول » وأن اتصل مباشرة بالجمهور وأحل معــه المشــكلات ففي لجنة السجون كنت اجد في الاتصــالات الشخصية لذة وراحة لم أشعر بهما في أعمالي الادارية السابقة واني سوف أجد مثل هذا في عملي البوليسي الجديد . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فاني سأقوم بعمل جدي ، هام وخطير في نظر الشعب . وسادني الاعتقاد قياسا على

ما مر بى من التغيرات والتطورات فى أعقاب الحروب السابقة ان لابد من تغيير سريع لمواجهة الجرائم ، ولن يقتصر ذلك على الجرائم المصحوبة بالعنف وهى قليلة بالنسبة لمجموع الجرائم ولكن انتشار الجرائم الصغيرة كخيانة الامانة والسرقة فى المنازل ليلا والتزوير والسرقة فى مختلف أشكالها هى أهم أعباء رجال البوليس .

وكان هذا نموذجا لما خلفته الحرب العالمية الاولى حيث تركت وراءها قلقا خطيرا فى الحياة الصناعية . وسوف تعيد الحرب الاخيرة آثار الحرب الاولى دون شك .

وأيا كان نوع الحكومة التى تتولى الحكم فان خططها للاصلاح الاجتماعى يجب أن تتغلب على ماسواها من متاعبها الاخرى ليسود الهدوء الناس ويطمئن بالهم فيخفف عنهم أعباءهم ، والناس دائما يتطلعون الى رجال البوليس دون غيرهم اذا جد الجد . فعلى كفايتهم واخلاصهم وحسن نظامهم والثقة بهم يتوقف الكثير ، فهل لرجل مدنى مثلى أن يأمل اقرار النظام الذى يترقبه الجمهور وتنشده الحكومة ؟

ولما كنت رئيسا للجنة السجون تأثرت تأثرا بالغا بالمبادىء التى سنها المرحوم سير « الكسندر بترسون » الذى ندين لخططه العملية فى نظمنا الجنائية القائمة . وقد عملنا معا فى استصدار قانون القضاء الجنائى الذى وضعه اللورد تمبل وود وهو القانون الذى وأدته الحرب وكذلك افتتحنا معا المعاهد النموذجية التى فتحت فى معسكرات البحر الشمالى وخليج هولسلى ويوسك . وفى معسكر السجن القريب من وتفيلد وهو أسبق السجون التى فتحت على غراره منذ الحرب .

والنظام ، كما يقول بترسون ، ولا يفتأ يؤكده ، يتوقف على القيادة أكثر منه على الضغط ، فالمعاملة العادلة والاعتراف بالكفاية وتجنب المحاباة لو اتبعت لكان النظام نتيجة حتمية وعند عملنا المشترك قدرنا قيمة هذه المبادىء . فعالجت مشكلة النظام فى قوات البوليس على هذه الاسس .

ولقد سبرت غور أعمال رجال البوليس خلال الايام والليالى التى تخللت الغارات الجوية الخاطفة على مدينة لندن ، وأعجبت بما يقدمون من معونة ، وبما يؤدونه بشعورهم النفسانى من واجب فى حالات الطوارىء فالنظام فى البوليس يختلف عنه فى القوات المسلحة . ففى الجيوش تكون مهمة النظام حمل الجنود على أن يؤدوا ماتعلموه فى زمن السلم فى صورة جماعات وبصفة آلية وتحت الضغط ، أما أفراد رجال البوليس فقلما

يعملون جماعات بل يكاد كل منهم يعمل منفردا بنفسه فى كل وقت . وعليه ان يفكر فى اختيار طريقة العمل بما يناسب كل ظرف مما لاتستطيع الاوامر العامة أن تحيط به دائما . ولنضرب المثل بسارق سيارة قد يكون مسلحا مستيئسا ويهرب فى زقاق ضيق مظلم ، فلن يدرى أحد امن الحكمة ان رجل البوليس الذى يتعقبه — وهو المنوط به النظام والمزهو بعمله حبا له — يعود الى مركز البوليس ويبلغ أن السارق قد هرب أو أن يطارده — ولا سلاح له غير عصاه — فى الطريق المجهول معرضا نفسه للأذى أو الموت ؟ . انى لأوثر صنف الرجال الذين يسلكون الطريق الثانى واشجعهم .

واخيراً نحيت عنى كل شك وابلغت مستر موريسون سرورى وفخرى وبالاضطلاع بالعمل الذى اختارنى له على أن أخلف السير فيليب جيم فى أول يونيو سنة ١٩٤٥ . وعلى أثر هزيمة ألمانيا تسلمت المرسوم الملكى واستدعيت الى قصر بكنجهام وأدخلت المكتب الرحب لجلالة الملك فعزم على ان أتخذ مقعدى بجوار المدفأة وبعد حديث قصير عن عملى السابق فى لجنة السجون وغيرها حدثنى عن أعمال رجال بوليس العاصمة وعن المساعدات القيمة التى قدمها ضباط بوليس القصر ، وكان يتوقع مشاكل عظيمة بازدياد الجرائم وحركة المرور واختتم حديثه متمنيا لى التوفيق فى عملى الجديد .

بعد أيام قليلة توجهت وزوجتى الى زيارة رئيس الحكومة فى مكتبه المطل على حدائق برج فكتوريا حيث استمعنا الى حديث مرتجل ألقاه المرحوم سير سيمون تناول فيه أعمال حكمدار البوليس . ثم أقسمت اليمين القانونية دون اجراءات شكلية كما يقضى بذلك التقليد البريطانى متعهدا بأن أؤدى واجبات وظيفتى باخلاص وولاء للعرش وتسلمت وظيفتى باسكتلنديارد .

ويشغل مكتب حكمدار البوليس غرفة رحبة فى ناصية المبنى الكبير مؤثثة بكراس من الجلد مريحة وبها موقد للتدفئة وتقع فى الطابق الاول المطل على نهر التيمس بعد جسر وستمنستر وكانت الغرفة التى تعلوها أصيبت فى ١١ من مايو سنة ١٩٤١ بانفجار من الغارات وسقط جزء كبير من المبانى والأنقاض على غرفة الحكمدار .

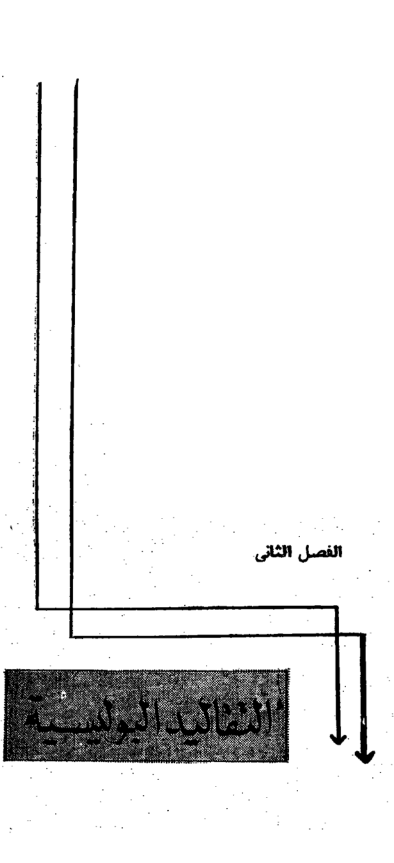
ووصل سير فيليب بعد حادث الانفجار بنصف ساعة الى غرفة مكتبه فوجدها حطاما ركاما فشرع فى اصلاحها على الفور وبلغت تكاليف

الاصلاح نيفا واثنين وعشرين ألفا من الجنيهات ، وكان من حسن حظى ان كنت وارثا لأحدث مبنى حكومى فى لندن ، وفى أحد أيام الاسبوع الاول من مباشرتى عملى دخلت حجرتى فوجدت نحو اثنى عشر كرسيا مرصوصة فى شكل نصف دائرة أمام مكتبى فسألت عن السبب فكان الجواب انها معدة لاجتماع الاسبوع الاول الذى أعقده مع الضباط الصغار وأن هذا نظام مرعى من قبل فقلت على الفور انى لا أفكر فى توجيه خطاب الى زملاء لى كما لو كنت مدرسا يخاطب تلاميذه فى الفصل وأمرت باعادة ترتيب الكراسى حول المائدة وحينما شاهد الضباط هذا النظام الجديد بدت على وجوههم الدهشة وتركت فى نفوسهم الأثر الذى كنت أهدف اليه ومنذ ذلك الحين واجتماعاتنا وأحاديثنا ودية غير رسمية يشعر كل واحد بأنه حر فى أن يدلى برأيه فيما يعرض من المسائل .

كان هذا عملا صغيرا ولكنه كبير الدلالة على ما ارمى اليه من أن يلعب كل فرد دوره كأنه عضو فى فريق لعب الكرة .

الفصل الثانى

التقاليد البوليسية



كيف يؤدى رجـل البوليس واجبه ؟ ـ الأسس التى يقوم عليها نظام البوليس ـ الاخطار التى يواجههـا رجال البوليس من الناحية السيـاسـيـة والتى تغلب عليها أول حكمدار للبوليس بالاصرار على ان رجال البوليس ليسوا فوق القانون ـ العبء الملقى على أكتاف رجل بوليس لندن أثناء الحرب ـ مشـاكل ما بعد الحرب لقوات البوليس القليلة العدد .

***

ان خبرتى أكـدت لى أن من واجب رجـل البوليس الا يظهر شعورا عدائيا ضد أى مجـرم لأن واجبه هـو أن يمسك بتلابيبه لكى يسلمه الى يد العدالة ، فاذا ما انتهى من حادث وهب نفسه الى جديد غيره ناسيا كل ماسبقه .

ان هذا الرجل الامين المجـد ، رجل البوليس الذى اذكره فى كل فصل من فصول هذا الكتاب ، اتخيله كما تبدو صورته على صفحات الجرائد فى يوم اعلان النصر والمطر ينهمر عليه . تلك الصورة التى تظهره وهو يقى تحت أزاره (حرملة) العريض ستة من الأطفال السـعداء . وطالما تذكرت بعـض هؤلاء الرجال وأنا أصـــافحهم على ما أحرزوه من نجاح فى القبض على مجرمين خطرين مسلحين بينما هم أنفسهم عزل من أى سلاح فكانوا يقولون دائما « حسنا يا سيدى لم يكن فيما فعلنا ما يستحق الذكر ، بل هو جزء من عملنا اليومى »

انى لأضرب مثلا ـ يحضرنى فى هذا المقام ـ ذلك هو الكونســتابل الذى قضى فى الخـدمة خمسة وعشرين عاما والذى اصيب فى مساء يوم سبت أثناء معركة أشعلها ايرلندى سكير من عمـال الطرق وتمكن أخيرا بمســاعدة الأهالى من

فضهـــا والقبض على المتهمين • فقد سألته لماذا لم يستخدم عصـــام البوليسية ؟ فأجابنى فى يقين « انى لأقرر لك يا سيدى الحقيقة خالصـة وهى أنى لم أستخدم هذه العصا مرة واحدة مدى الخمســة والعشرين عاما التى قضيتها فى خدمة البوليس • وقد أكون نسيت تماما اننى أحمل عصا (محجنا) » . بمثل هؤلاء الرجال تتألف قوات بوليس العاصــمة ولم يأت ذلك عفوا بل يرجع الفضل فى ذلك الى سير روبرت بيل الذى اخرج لنا هذا الرعيل من رجال البوليس فى عام ١٨٢٩ بعد نضال طويل فقد ناصبه العداء هيئات مختلفة تبـدأ من بلدية لنـدن التى خشيت ضياع امتيازاتها القديمة وايضا قضاة الامن وغيرهم ممن يرون فى انشاء بوليس العاصمة انتقاصا لسلطانهم وتنتهى بهؤلاء الذين يعيشون على نشر الجريمة واختـلال الامن وهو ما يكافحه البـوليس ويعمل للقضاء عليه .

وتجمع لبيل من خبرته السابقة فى ايرلنده ما جعله يؤمن بأن وجود قوات بوليســية مدنيــة سوف يقضى على فوضى النظام وعلى الجـريمة خاصة • وبعد لأى فاز بيل ازاء معارضة قوية بموافقة البرلمان وصـدر قانون خاص بالبوليس • وفى سبتمبر سنة ١٨٢٩ نزل الى شوارع لندن الف رجل من رجال بوليس العاصمة فلم يلقوا من الشعب تحية بل كنوهم بالكنايات واستعاروا لهم الاسماء فقالوا عنهم : « جنبرى بيل النيىء » و « الشياطين الزرق » !

وفى ألفاظ دقيقة منتقاة ظهرت نوايا اللجنة البرلمانية التى طالبه سير بيل فى سنة ١٨٢٢ بتعيينها فشاطرت الهيئات شعورها القاسى ضد رجال البوليس وقررت انه يستحيل التـوفيق بين نظام بوليسى ناجح وبين حرية العمل الخالصة والتحرر من التدخل الذى كان أحد المـزايا والنعم التى يتمتع بها المجتمع فى هذه البلاد .

ونحن الذين ســمعنا وقـرأنا عن المكائد والدســائس التى لاقاها شعبا روسيا وألمانيا من رجال البوليس السرى نستطيع أن نفهم ـ خيرا من آبنائنا الذين عاصروا ذلك العهد ـ مدى المخاوف التى كانت تهدد مولد بوليس العاصمة .

ومن حسن حظ مملكتنا أن البوليس لم يزج به فى الشئون السياسية ولم يقتصر ذلك على أفراد الضباط الذين حرم عليهم الدخـول فى اى نشاط سياسى بل أصبح دســتورا للحكومات على اختلاف أحزابها أنه

تتجنب أى عمل قد يؤدى الى المساس بالحياد الذى اكتسبه البوليس وحافظ عليه طويلا . وهى ميزة كبرى لازمت رجال البوليس منذ انشاء قواتهم .

ولا شك أن الفضل فى ذلك يرجع الى الرجلين العظيمين « ماين » و « روان » وهما أول حلقة فى سلسلة حكمدارى البوليس فقد برهنا بكفاءتهما وبسالتهما فى السنوات العشر الاولى أن البوليس المدنى قادر على المحافظة على سيادة القانون واشاعة الامن فى العاصمة البريطانية دون المساس بحرية الشعب البريطانى .

كثيرا ما كان تحت تأثير الضغط يلحق بقوات البوليس الجديدة اقارب خدم بعض اللوردات وكان أول من أساء الى نظام البوليس من هذه الناحية هو اللورد ملبورن ولكن ماين وروان وقفا له بالمرصاد ولقد حدثت فى السنوات الأولى تغييرات متعددة لأن الرجال الذين أبدوا علامة من علامات الانحراف عن الطريق المستقيم كانوا يطردون من الخدمة بغير شفقة .

وضع ماين وروان المبادىء القويمة التى لا يزال معمولا بها حتى اليوم ، وهى تظهر بجلاء مدى ما طرأ من تغيير على عقلية أفراد الشعب تجاه رجال البوليس فى السنوات العشر الاولى لانشاء قوة بوليس العاصمة وهذه هى المبادىء :

١ ـ ان رجال البوليس ليسوا فوق القانون وانما لهم ما للمواطنين العاديين وعليهم ما عليهم سواء بسواء ، ويسألون عن كل ما يرتكبون متجاوزا سلطاتهم المشروعة .

٢ ـ أن يكون البوليس بمنأى عن التحيز وأن ينفذ القانون دون خوف أو مجاملة مهما كانت الظروف المحيطة سواء كانت سياسية أو دينية أو اجتماعية أو عنصرية .

وأخيرا نجح ماين وروان فى أن يبثا فى رجال البوليس روحا جديدة وأن تكون تقاليدهم المميزة هى الانسانية والرحمة ، وعلماهم أنهم خدام الشعب البارزون لا سادته المتعجرفون ، وأن يعدوا انفسهم لحمايته فى كل آونة وأن يكونوا أصدقاء يلبون نداء من يسألون العون .

عندما صدر قانون الاصلاح فى سنة ١٨٣٢ عمت الاضطرابات والقلاقل فكانت للبوليس المدنى فرصة مواتية أتاحت لهم أن يثبتوا

كفايتهم فى تنفيذ القانون واستتباب الامن دون الالتجاء الى رجال الجيش، وباطراد نجاحهم زيدت اختصاصاتهم حتى سادت مساحة دائرة نصف قطرها خمسة وعشرون ميلا من ميدان شارنج كروس بلندن اى مايعادل ٧٤٠ ميلا مربعا وظلت حتى سنة ١٩٤٦ باقية على ما هى عليه حتى أضيفت اليها مساحة أخرى قدرها سبعة وأربعون ميلا أخرى نتيجة لتنسيق حدود اختصاص البوليس ، وبهذا تقع مدينة لندن فى وسط هذه المساحة وتمتاز بوجود بوليس خاص بها تحت اشراف حكمدارها.

وتؤدى أقسام بوليس العاصمة (المتروبوليتان) واجبها لنحو ٨٫٣٠٠٫٠٠٠ نسمة فضلا عما تقوم به من نشاط فى أعمال حكومية وتجارية وصناعية بجانب ذلك ، وتتبع قوات بوليس العاصمة وزير الداخلية بعكس غيرها من القوات البوليسية .

ولا يفوتنا ان نذكر انه عندما أنشئت هذه القوات لم تكن فى لندن الجديدة مجالس بلدية فكان من المستحيل أن تشرف على ما تتطلبه النواحى الحكومية من أعمال لا حصر لها ، أما الآن فتوجد سبعة مجالس محلية وسبعة وتسعون مجلسا قرويا ومركزيا وكل منها له نظامه من حيث الرياسة والترتيب واذا نظرنا الى ذلك من حيث حسن الادارة والكفاية فقد يكون النظام المقرر نظاما بديعا غير أننا يجب الا ندهش اذا رأينا السلطات المحلية ، ألا وهى المجالس البلدية والمحلية تنظر بعين الرضا الى نظام البوليس لأن على المديريات أن تساهم بنصف تكاليف قوات البوليس وعلى البرلمان أن يعتمد النصف الآخر .

وكانت السلطات المحلية آنفة الذكر قد طلبت مرارا الى الحكومة أن يسمح لها بأن تطلع على مشروع ميزانية البوليس قبل عرضه على البرلمان حتى يمكنهم أن يبدوا رأيهم فى طريقة انفاق المال عليها غير أن الحكومة كانت دائما ترفض هذا الطلب بحجة انه مما يتنافى مع الدستور ابلاغ مشتملات الميزانية لأية هيئة قبل عرضها على البرلمان وعلى ذلك ينبغى للسلطات المحلية أن تبدى رأيها عن طريق عضو البرلمان الذى يمثلها عند مناقشة اعتمادات الميزانية أو فى اية مناسبة أخرى .

ومن العسير أن نرى كيف تستطيع أية حكومة أن تبدى جوابا يخالف هذا الجواب ولهذا كانت السلطات المذكورة بلندن لاتحس نفس المسئولية عن قوات البوليس كما تحس بها البلدان الاخرى .

وسيتضح فيما يلى أن موقف حكمدار بوليس لندن لايمت بصلة ما

الى الدكتــاتورية . حقا ان له مطلق الســلطة التنفيذية وله القيــادة الادارية للأعمال اليومية للقوة وهو مسئول شخصيا عما تحرزه من نجاح وما يصيبها من فشل ، الا أن أمهات المسائل المتعلقة بالسياسة العلية يضطلع بها وزير الداخلية فيقرر واجبات رجال البوليس واختصاصاتهم ويحدد رواتبهم وشروط خدمتهم والتدابير اللازمة لاقامة مبانيهم واسكان رجال القوة وتزويدها بالمهمات . والعلاقة بين حكمدار البوليس ووزير الداخلية ومستشاريه فى الوزارة علاقة دقيقة لان الوزير قد يستدعى امام مجلس العموم لمحاسبته عما يفعله حكمــدار البوليس وليس من المبالغة فى شيء اذا قلنا ان تصرف كونستابل بوليس واحد قد يؤدى فى بعض الاحيان الى خروج وزير الداخلية من منصبه ، وفى الوقت نفسه لا يستطيع الوزير ــ بل ولا ينبغى له ــ أن يتدخل فى الادارة التفصيلية للقوة وكل سلطانه اذا لم يكن راضيا عن العمل أن يغير الحكمدار .

وخلفت الحرب العظمى مشاكل عدة استنفدت لحلها القسط الاكبر من اوقات رجال البوليس وبرهنت مرة أخرى على أهميتهم وأنهم خير صديق لأفراد الشعب اذا ما جد الجد ، وانى لأذكر يوم الاحد ٧ من سبتمبر سنة ١٩٤٠ يوم كان الهجوم الالمانى الخاطف وكنت المسئول عن منطقة لندن بوصفى الرئيس الادارى . قد رافقت فى اليوم التالى رئيس الوزراء فى جولة «للايست اند» حتى يرى بعينى رأسه ما حدث ، واسترعى نظرنا عندما كنا نعبر شريط سكة الحديد عند «سيلفرتون» قطة سوداء وكانت دهشتنا بالغة عندما رأينا رئيس الوزراء يقطع تفتيشه بمداعبة هذه القطة بينما كنت أنا فى هذه اللحظة أفكر فى المكان الذى ستســقط عليه القنابل المقبلة .

كان أبرز ما وقفت عليه من هذه الجولة هو عمل البوليس ففى كل مكان ذهبنا اليه كان البوليس قد أقام حصنا ، وكان على علم باصــابة كل فرد ومتى أصيب ؟ وقصــــارى القول ، فقد اكتسب ثقة الأهلين ومحبتهم .

كان البوليس بحكم منصبه أول شهود الحادث بعد وقوعه فكان يســعف المصــابين بما له من دراية ويراعى المشردين بمــا له من خبرة ويجيب على الاستعلامات بما يعلم . وكان سجل المرضى والموتى والمفقودين محفوظا فى اسكتلنديارد بناء على معلومات رجال البوليس . ولم ينس أحد من سكان لندن دينه ازاء رجال البوليس فى ابان الحرب ولن ينساه

وانى على ثقة ان مابذلوه لمواطنيهم كان ذخيرة كبيرة ادخروها فى صدورهم يحرصون عليها وينمونها .

وعندما نشبت الحرب هبط عدد القوات العاملة التى كان مفروضا وجودها وهى ١٩٥٠٠ رجل وهو يكاد يفى بالحاجة ولكن نشوب الحرب زاد الحالة سوءا فأوقف التجنيد وأطلق سراح ٣٧٠٠ رجل ليلتحقوا بالقوات المحاربة واستمر الهبوط وسوء الحال ، فما انتهت الحرب حتى كان عدد الرجال قد انكمش الى ١٢٠٠ رجل ، ولم يكن من المستطاع الاستمرار فى مواجهة الحالة الا بمساعدة القوات الاحتياطية . وفى سنة ١٩٣٩ استدعى أكثر من ٢٥٠٠٠ رجل تناولهم التخفيض حتى بلغ العدد ٤٠٠٠ رجل بقى أكثر من نصفهم حتى سنة ١٩٤٥ حين ألغيت الاوامر التى تقضى بالحاقهم بهذه الخدمة وعندما سرحت الجيوش بدأ رجال البوليس يعودون الى وظائفهم ، ودل الاحصاء على أن من قتل منهم ٥٠٠ رجل ، والحق بخدمة البوليس فى ألمانيا والنمسا وايطاليا واليونان عدد آخر ولم يكن منتظرا أن يعودوا الى الخدمة بديارهم قبل مضى وقت ما وكانت الحرب قد هيأت لبعضهم فرص الترقى الى رتب الصولات والكونستابلات فتدريبهم البوليسى يسر لهم الحصول على ترقيات سريعة فى القوات المحاربة وزاد كثيرا فى خبرتهم للناس وشئونهم .

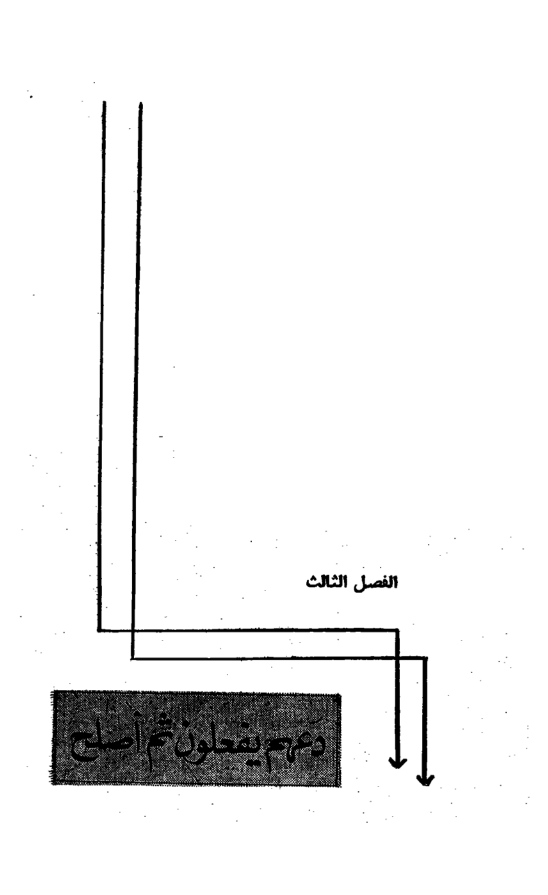
اما الضباط الذين برتب البكباشية والصاغات فقد كانوا وحدهم المسئولين عن ادارة مساحات شاسعة فى ايطاليا وهم الذين أعادوا الحياة المدنية فى هذه المناطق بعد ما أصابها من تدمير وتخريب كبير وقد عادوا ليقوموا بأعمال الدوريات والمباحث المعتادة للجرائم الصغيرة .

لا أستطيع أن أطنب كثيرا فى الطريقة التى تمكن بها هؤلاء الرجال أن يغيروا من انفسهم ليتقبلوا هذا التغيير ويستأنفوا حياة أصبحت جديدة على عملهم القديم .

وعندما أعيد التجنيد مرة ثانية فى يناير سنة ١٩٤٦ كان النقص فى عدد رجال البوليس كبيرا يجب سد فراغه وتداعى الأمل الذى كان يداعبنا فى نهاية سنة ١٩٤٦ وعلى الرغم من عودة كثير من رجالنا من الحرب وأن حركة التجنيد سارت سيرا لا بأس به فان الموقف ساء عنه فى نهاية سنة ١٩٤٥ ويرجع ذلك الى كثرة من اعتزل الخدمة وكذلك الذين استهوتهم الاجور العالية التى كانت تعرض عليهم خارج خدمة البوليس فهؤلاء لم ينتظروا حتى يستحقوا المعاش بالسن وكان ذلك

سببا فى هبوط عدد القوات فبلغت ١٤٠٠٠ رجل وهبط عـدد الضباط النظاميين الى أقل مما كان عليه فى الستين سنة الأخيرة .

وكان السـبب الرئيسى هو راتب الوظيفة وضماناتها ، ففى المـاضى كان ارتفاع مرتب رجل البوليس وضمان استقراره والمعاش المترتبعلى الخدمة كفيلة بالاقبال ، أما وقد انعكس الحال واخفضت اجور رجال البـوليس فى الوقت الذى ارتفعت فيه غـيرها ارتفاعا كبيرا ، بل وان الضمانات الاجتماعية والخدمة الصحية السليمة لافراد الشعب اضاعت كثيرا من مزايا الخدمة البوليسية ولم يك بد من مواجهـــة هذه الحالات الجديدة بتحسـين شروط الخدمة ، فالمرتب والمعاش والمسكن والترقية كانت فى حاجة ملحة لاعادة النظر فيها وتعديلها واصلاحها وكان ضروريا أن نجعلها تجذب الرجال الصالحين لخدمة البوليس ولقد حاولت جاهدا وانفقت من وقتى الكثير لعلى أجـد علاجا ناجعا للوصــول الى الهدف المنشود .



الفصل الثالث

دعهم يفعلون ثم أصلح

اذا قل عدد المجندين من رجال البوليس ازداد عدد الجـرائم ـ نتائج هبـوط المجنـدين ـ مراجعة المـرتبات والترقيات ـ تحسن الحالة الاجتماعية ـ المسـاكن ومراكز البوليس ـ الملابس وتغييرها .

***

وقد أمكننا خلال فترة الحرب اقتصاد نفقات ٤٠٠٠ ضابط بوليس تقدر بما بين ثلاثة ملايين من الجنيهات فى العام وأربعة ، وفى مقابلة هذا الوفر زاد عدد نزلاء السجون وارتفع رقم الجرائم ارتفاعا كبيرا فان قيمة المسروقات فى عام واحد فقط فى دائرة اختصاص بوليس العاصمة بلغت ٤٫٠٤٥٫٠٠٠ جنيه منها ٧٥٠٫٠٠٠ جنيه أمكن استرداده ، أما اثر الجريمة من الناحية الاجتماعية أو المالية فلا يمكن اغفاله . والواقع أنه ما من شعب يرغب فى تأمين حياته وممتلكاته الا اذا دفع الثمن فى مقابلة تحقيق رغبـاته . ذلك لأن الجـريمة فى مستواها الحالى تعتبر من الكمائيات التى لا يمكن منعها .

ان بعض الأضرار والخسائر التى لا يمكن أن يحتملها الأفراد تكبد الحكومة أموالا طائلة منجراء المحاكمات والمحاكم والنيابات وما تسـتلزمه دور القضاء واجـراءات التقاضى وانجع الطرق فى منع الجريمة كما أعتقد ، هى استكمال عدد دوريات رجال البوليس لمباشرة اعمـالهم ، ولا شك ان رقم الجرائم سوف يتناقص .

وقد كان السبب فى عدم المحافظة على امداد قوة بوليس العاصمة لتكون كاملة العدد يرجع الى أن الخدمة العسكرية قد جندت الشبان . هذا من ناحية ، ومن ناحيـة أخرى فان

ارتفاع الأجور فى الهيئات الأخرى كان عاملا لعدم اقبال الافراد على الالتحاق بخدمة البوليس ، وبالرغم من رفع مرتبات رجال البوليس ثلاث مرات فلا تزال المقارنة بينها وبين غيرها لا تسر . لقد شعرت بارتياح عندما قررت اخيرا اللجنة البرلمانية لشئون البوليس رفع المرتبات وضاعفت علاوة لندن الى عشرين جنيها بدلا من عشرة جنيهات ، وقوات بوليس العاصمة من المجندين وأحوج ما تكون الى سد العجز بها من اية قوة اخرى فى أنحاء البلاد ، وأرجو أن التحسينات الجديدة والمرتبات الحالية تعيد الحال الى ما كانت عليه .

والمعضلة الشاقة هى مشكلة الترقية وهى من الاهمية بمكان فى حياة كل فرد ، ونظام الترقى يجب أن يكفل للرجال الممتازين سرعة الترقى الى المراكز الهامة ، وأن يفاضل بين رجل ورجل بعدالة تامة ، وفى بعض الحالات الأخرى يكون الغرض الثانى أكثر أهمية من الغرض الاول ولا سيما فى هيئة كهيئة رجال البوليس حيث لا يمكن أن يفرض عليها رقابة عن كثب وأن الضابط يجب أن يمنح الثقة لأداء واجبه بأمانة ودقة، ومن حظنا أن بعض الضباط يقنعون بالبقاء فى درجة كونستبلات طوال حياتهم مع قيامهم بواجبهم البوليسى بشغف ومهارة وان كان البعض الآخر يطمح الى الترقى والظهور فاذا ما شعروا بظلم حاق بهم فانهم يتبرمون ويثورون على عملهم فتنعدم فيهم الكفاية .

وقد شعرت عندما كنت باسكتلنديارد أن كراهية عامة وريبة تدب فى نفوس الافراد من جراء الترقى بالانتخاب وكان القول المأثور « اذا لم يعجب وجهك رئيسك فلن يعرض اسمك على لجنة الاختيار » وكان هذا الشعور سائدا ولو أنى شخصيا لا أرى صحة ذلك ، فان قوة كبيرة كقوة بوليس العاصمة لا تستطيع لجنة الاختيار أن تقف على حالة كل فرد بمفردها واذن فقد يصبح الترقى أحيانا نوعا من محض الحظ (اليانصيب) فمهما توفر حسن النية فان الـ ٢٣ مفتشا الذين تتكون منهم اللجنة سيختلفون فى وضع مستوى واحد تبحث على أساسه ترقية المنتخبين، وهذا أمر له أثر فى عدالة الاختيار .

فى عام ١٩٤٧ تقدمت بمشروع جديد للترقية الى الرتب الصغيرة على أثر مناقشة اتحاد البوليس يخضع لفكرة امتحان مسابقة ولعل هذا لا يسلم من النقد فقد يكون المتفوق فى الامتحان ليس رجل البوليس العملى والعكس بالعكس .

ولكن من المهم أن يكون فى ذلك ارضاء لأفراد القوة واقناعهم بعدله

مما جعلنى لا أبالى بهذه التجربة ، لهذا أخذت على عاتقى تنفيذ هـذا الجديد وأضفت شرطين لضمان العدالة : الاول الا يباح لأى رجل دخول امتحان المسابقة الا بتوصية من رئيسه المفتش ، والثانى أن تكون الترقية تحت التجربة لمدة سنة فان لم يمض المدة على ما يرام انزل الى رتبتـه القديمة ، وقد نجح هذا النظام فعلا وفى الوقت نفسه الغيت نظام ترقيات المناطق الذى أعتقد أنه اقتبس من سلاح الطيران وهو يقضى بأن الضابط الذى يجتاز امتحان الرتبة الأعلى يرقى ترقية تحت الاختبار وفى حالة الكونستابل مثلا لا يرقى الا اذا مضى عليه فى الخدمة ١٢ سنة فاذا نقل خارج المنطقة فلن يجد سبيلا الى الترقية مهما بلغت كفايته وغيرته فى عمله . وقد يكون من سوء حظه واخفاقه فى الترقية عدم وجود وظيفة خالية أو لاصابته وقت خلوها بمرض طارىء ، وأيا كان السبب ، فان خروجه مرة واحدة من المنطقة يفقده كل أمل فى المستقبل . فبالغاء نظام المناطق هذا تقدم عدد من الرجال القدامى واجتازوا امتحان المسـابقة بنجاح ففازت القوات بضباط صف من طراز ممتاز .

اجل يوجد عدد كبير من الجاويشية الأكفاء الذين قد لا يبرزون فى الامتحانات التحريرية ولكن معهم جميع العنـاصر التى تجعلهم صالحين كل الصلاحية فلكى أتيح لهؤلاء فرصة الترقى وضعت ـ بجانب امتحان المسابقة الذى فتح الباب أمام الشبان المجدين ـ نظاما يقضى بترقية عدد محدود من هؤلاء يختارون كل عام من بين الذين قضوا فى الخدمة اكثر من عشر سنوات ، وقد كانت النتيجة طيبة وبهذا وجـد جاويشـية ممتازون وضباط ورؤساء نقط وكان لهذا النظام أثره من التشجيع طول حياة الجندى .

وكانت النتيجة أن اصبحت الرتب بعد انتهاء الحرب كالآتى :

كونستابل .

جاويش .

جاويش نقطة .

مفتش .

مساعد مفتش فرقة .

كبير المفتشين .

مراقب .

رئيس كونستابلات .

نائب مساعد حكمدار .

مساعد حكمدار .

ولم تكن رتبة جاويش نقطة قاصرة على رجال بوليس العاصمة ولم تحرز هذه الرتبة الارتياح فهى تعرقل طريق التقدم للشاب الناجح فى وصوله الى رتبة مفتش وان كانت واجباتهم لا تفترق عن أعمال المفتش او الجاويش .

وفى سنة ١٩٥٣ تقرر اغفال العمل بهذا النظام وان يوزع المفتشون والجاويشية على المحطات الفردية تبعا لحاجة العمل فيها .

أما درجات مساعد مفتش الفرقة وكبير المفتشين ومساعد الحكمدار فتقع عليهم مسئوليات جسام . وكانت مرتباتهم تقارن بمرتبات أمثالهم فى المديريات وان كانوا قد أعطوا ألقابا تقل عنها . ولقد سبب ذلك ارتباكا عندما اتصلت القوات بعضها ببعض واتضح ذلك جليا فى كلية البوليس الجديدة عندما اجتمع رجال القوات البوليسية فى أنحاء المملكة وكان نتيجة لذلك أن أطلق على مساعد مفتش الفرقة لقب كبير المراقبين من درجة ثانية ودرجة أولى وأعطى المراقب لقب كبير المراقبين وفى الوقت نفسه روعى أن يكون مرتب كبير المراقبين مقارنا بالمسئولية والمرتب لكبير مفتشى المديريات وتمت تغييرات أخرى فى ألقاب رؤساء الكونستابلات ومساعدى الحكمدار فاستبدل بالأول لقب خاطىء فان رئيس الكونستابلات كان الضابط الثانى فى البوليس ونائب مساعد الحكمدار كان لقبا قبيحا لرئيس القسم وهو لم يكن فى الحقيقة نائبا لمساعد الحكمدار .

وبعد بحث طويل ابدل لقب مساعد نائب الحكمدار ومساعد الحكمدار ، والواقع أن الألقاب الجديدة تعبر عن أعمال وظيفة الضابطين الرئيسين فى القسم .

ولئن كان هذا ليس بالأمر الخطير فانه كان فى نظرى على غاية من الأهمية فى الأعمال الادارية ، وقد استغرق منى وقتا طويلا ولم أندم فى الواقع على ما أضعت فيه من وقت اذ عاد بالفائدة المنشودة على حسن كيان القوة وكفايتها .

والعامل الثالث ذو الأثر فى نفوس المجندين : هو السكن فقد

اغتنمت فرصة مبكرة لزيارة النقط ومساكن رجال البوليس التى فى دائرة اختصاصى وقد صدمتنى الحقيقة بزيارتى مبانى ومراكز البوليس فهى قديمة مظلمة ذات سلالم متهدمة وانارة قبيحة وان بعض نقط البوليس ما كانت تتناسب بضآلتها مع أهميتها وما تشرف عليه من مساحة بل تركت منذ عهد بعيد على ما هى عليه منذ انشائها قبل الحرب الاولى.

لقد اعتدنا أن نعزو اللوم الى الحرب فى أمور كثيرة ولم نكن منصفين ولكننا فى هذه المرة لا نستطيع أن ننكر أن الحرب كانت هى المسئولة فعلا . فقبل سنة ١٩٣٩ كان اللورد ترنشارد قد وضع مشروعا لاعادة البناء وأخذ فى تنفيذه فعلا فأنشئت مراكز بوليس على أحدث طراز فى أماكن عدة وهى تعتبر نموذجا لما يجب أن تكون عليه مراكز البوليس وقضت ظروف الحرب بوقف هذا المشروع ولم يستأنف الا فى السنتين الأخيرتين من خدمتى كحكمدار .

وقد كان علينا أن نفعل بقدر ما نستطيع لتحسين تلك المبانى الباقية بأن نطليها بألوان بيضاء زاهية بعد ازالة ألوانها المظلمة ولقد عمدت الى ادخال تحسينات كثيرة لتهيئة المقاصف والغرف الاخرى والاستراحات بنوع خاص وحصلت على اعتماد لشراء صور ملونة ذات ألوان بهيجة يعلقونها على الجدران تسر الناظرين وتعوض ما انفق عليها من مال .

وفى احدى المناسبات اصطحبت زوجتى لمعاينة المساكن التى خصصت للبوليس النسائى فى « ماك نوتن هاوس » وهو أحد مجاميع المساكن الحديثة للرجال العزاب التى بنيت قبل الحرب تنفيذا لمشروع اللورد ترنشارد . وكان فى غرفة الاستقبال مقاعد من جلد ذات مساند غاية فى النظافة منسقة تنسيقا جميلاً ولحظت زوجتى أن منظر الغرفة لايشعر المرء أنه فى بيته ، فلما أكدوا لها أن القاعدة مريحة جدا قالت : انى واثقة من ذلك من حيث أنها كراسى للرجال أما نحن النساء فملابسنا اقل سمكا من ملابسهم ولذلك نشعر ببرودة لهذه المقاعد واستطردت تقول : انها تعتقد أن من الخير وجود مرآة حتى يصفف النساء شعرهن ويهندمن ملابسهن وما أحب ذلك الى قلوبهن وصاح أحد الخدم : (مرآة) وهو يحاول جهده بدافع الاحترام لزوجة الحكمدار أن يخفى من صوته لهجة الفزع .

ربما كانت هذه أشياء تافهة ولكنها لها قيمتها . وكانت مشكلة

المساكن هــذه أهم مانواجهه وعلى الأخص أثرها عنــد رجال البوليس المتزوجين والمجندين منهم الذين جاءوا من خارج لندن .

وجهت عناية فائقة لهذه الناحية اذ كان الضباط يستحيل عليهم العثور على مساكن لهم . واذا عثروا على مساكن كانت الايجارات أعلى من الحد الأقصى لعلاوة السكن برغم زيادة هــــذه العلاوة أكثر من مرة خلال سنوات الحرب وقد حصلت على الموافقة على انشاء ٥٠٠٠ منزل للمتزوجين منهم وان من بواعث ارتياحى أن تعرف أن هــذا المشروع كان يسير الى طريق التنفيذ عند مغادرتى كرسى الحكمدار وقد لا يمضى عام أو عامان حتى يكون قد تم تنفيذه فعلا وكثيرا ما فاجأت سكان هذه المساكن الجديدة بزيارة مباغتة ، ومن أســعد ذكرياتى هو سرور بعض الزوجات الصغيرات اللواتى حظين أخيرا بعد افتراق دام سنوات ببيت يمرحن فيه هن وأزواجهن وأولادهن .

« لن تتصور ... » قالتها فتاة والدموع تغمر عينيها . المعنى الذى تعبر عنه عندما تبدل عشك الذى به غــرفة واحدة بشــقة جميلة على الطراز الحديث ان فى هذا بداية الحياة لنا .

انى لسعيد أن أقول ان مشكلة المبانى ستبقى أثرا سيئا قائما يدل على الحاضر واذا كان رجال البوليس فخورين بعملهم ويتمتعون باحترام الجمهور عن جدارة فانهم يتلقون ذلك برغم وضاعة المبانى الحكومية التى يزاولون فيها أعمالهم فليس مركز البوليس هو الجهة الرئيسية للبوليس فحسب ، وانما هو المكان الذى يلجأ اليه كل الناس من جميع الطبقات ليتلقوا النصــــيحة والعون . فالواجب يحتم الا يجدوا أنفسهم فى غرف حقيرة من عهد الملكة فكتوريا تشمئز منها نفوس المترددين وانما ينبغى أن تكون المبانى بهيجة رحبة ، وهى أغلب ما تكون كثيرة الضوضاء ضيقة الغرف مظلمتها ولن يستطيع رجال البوليس أن يؤدوا أعمالهم فى هذه الظروف على الوجه الاكمل .

وبالرغم من الكثير الذى حدث فى السنوات الاخيرة من تحسينات فى المكافآت المــادية والمســتوى الاجتماعى لرجال البــوليس فان طبيعة أعمالهم اذا ما قورنت بغيرها فى الوظائف الأخرى تكون سببا فى امتناع الشبان من الالتحاق بقوات البوليس واذا أقبلوا فلا يلبثون أن يستقيلوا بعد وقت قصير للبحث عن عمل أقل ارهاقا . ففى المقام الاول ضرورة خضوع رجل البوليس للنظام وهذا أمر قاس ... ويروى لى الضباط

القدامى عما كان يقاسيه المجند من جاويش العهد الماضى الذى كان يحكمهم بالارهاب وكان ينسب الى الواحد منهم تهمة سوء السلوك لأتفه الأخطاء .

سرعان ما مرت الايام فوجدت أنه ليس فى نظام التأديب القائم ما أنقده فقد وضع ليكفل العدالة وعدم المحاباة لكل من يتهم بارتكاب مخالفة ولو أن لكل فرد حق استئناف الحكم الى الحكمدار وفى الحالات الخطيرة يستأنفه الى وزير الداخلية فقلما وجدنا ما يدعو الى مخالفة ما صدر عن مجالس التأديب .

ورجل البوليس خاضع لعدد من المحظورات لا يخضع لها المواطن العادى فيتحتم عليه فى حالتى العمل والراحة ان يسلك سلوكا لا يشين القوة البوليسية أو يبعث على الريبة فى أنه يتحيز لهذه الجماعة أوتلك. وفى أمور معينة يجد أن حريته فى التصرف يقيدها القانون بكل صراحة وأن لوائح البوليس تتطلب منه أن يمتنع عن أى نشاط يحتمل أن يتدخل فى تنفيذ واجباته بغير محاباة وعلى الأخص النشاط السياسى .

وتقر السلطات محل اقامته وكذلك يجب عند اختياره من يسكن معه او من يؤجر له جزءا من مسكنه الخاص أو مسكنه البوليسى أن تفرض عليه رقابة شديدة وكذلك يحظر عليه أن يرفض عمدا أو يهمل فى الوفاء بأى دين يستحق عليه قانونا .

وعليه أن يخصص كل وقته لعمله البوليسى وليس له أن يمارس اى عمل يدر عليه ربحا دون اذن من الحكمدار ويحرم عليه أن يشترك فى محال الخمور أو الملاهى المرخص بها فى منطقة بوليس العاصمة وما يسرى عليه يسرى على زوجته ومن يلوذ به من أفراد أسرته الذين قد يقيمون معه .

أما ساعات العمل فمسألة أخرى تتناول اسرة رجل البوليس وحياته الاجتماعية ولا سيما من يرتدى منهم الزى الرسمى لمدة ثمانى ساعات يوميا مدى ستة أيام أسبوعيا ولما كان عمل البوليس متواصل الحلقات فرجاله يعملون بالمناوبة . ونوبات العمل ثلاث . صباحية . ومسائية . وليلية . وتبدأ من الساعة السادسة صباحا ثم الساعة الثانية مساء ثم العاشرة مساء . وتتغير عادة كل شهر مرةبهذا تصبح أمسية رجل البوليس فى شهر من كل ثلاثة أشهر وقفا على العمل . وعندما يحل دوره يجب عليه أن يعمل فى يومى السبت والأحد وأيام عطلة البنوك فى أيام عمل لرجل البوليس فضلا عما تستلزمه دواعى الاعمال الطارئة الهامة من

وقف أجازاته لمدة اسبوع أو أكثر ورجل البوليس ككل مواطن يسره أن يحظى بالتفرج على الحفلات التى تماثل حفلات التتويج ولكنه يعلم أنه فى هذه المناسبات يحرم من راحته أياما كثيرة قبل الاحتفال وبعـــده ليكون فى العمل .

ازاء تلك القيود العديدة المفروضة على حياة رجل البوليس الخاصة رأيت من الأهمية أن أمحو ما ليس ضروريا منهـــا . فما وضعت الحرب اوزارها حتى بادرت بالغاء قيدين رأيت أن لا ضرورة لبقائهما . أولهما ان يستغنى عن حصول رجل البوليس اذن بالزواج اذا لم يقض أربع سنوات فى الخدمة ، والثانى أن يحصـــل رجل البوليس العـــزب المقيم بمساكن البوليس على اذن اذا تأخر عن الحضور الى مسكنه بعد منتصف الليل .

ان العجز فى عدد رجال البوليس خلق لنا مشـكلة لم تكن موجودة قبل الحرب . تلك هى المكافأة الاضافية عن أوقات العمل الزائدة وأنه يكاد يكون من المستحيل أن ينتهى عمل رجل البوليس بانتهاء الساعات الثمانى فى اليوم فقد يقبض على رجل قبيل انتهاء نوبته ويتحتم عليه أن يقـود المقبوض عليه الى مركز البوليس وأن ينتظر حتى ينتهى من استجوابه فيفرج عنه أو يساق الى السجن ومن القول المأثور ان الحوادث لا تقع الا عندما يتأهب رجل البوليس للانصراف . يقولها رجل البوليس وهو يستسلم لقضاء الله وهو يحس فى قرارة نفسه بالرضاء والارتياح .

وفى الظروف العادية يمكن أن نفسر سبب هذا السرور بأنه سيعوض دائما بأوقات راحة أخرى اذا كانت قوة البوليس مستكملة العدد ، غير اننا بعد الحرب لم نستطع أن نحقق ذلك فتراكمت ألوف من ســاعات العمل الاضافى بلا أمل فى التعويض عنها .

قررت الا يكتفى بالتعويض المادى عن ساعات العمل الاضافى المعمول به ، ولكننى كنت أطلب اليهم أن يتطوعوا لأداء عمل اضافى محدود نظير اجر يدفع لهم فورا على شرط ألا ينال هذا العمل الاضافى من صحته . كثير منهم من كان يرحب بأن يتكسب من هذا السبيل مبلغا اضافيا . وبذلك تيسر لى ان أملأ دركات كثيرة ما كان لى أن أملأها كلها أو بعضها بغير هذه الوسيلة .

وسرعان ما تمخض ذلك عن ظهور شىء خطير اذ عمد بعض الضباط الى تجاوز حدودهم فكانوا يتصيدون اتهامات تافهة بغية الحصـــول على

مكافآت اضافية بحضورهم فى الصباح التالى أمام المحكمة . ولم استطع أن أجد دليلا على مثل هذا التصرف ، ولكننى وجدت من الضرورى الا أوجد ثغرة لمثل هذا الغرض ، فقررت ألا يصرف شيء كمكافأة عاجلة فى أداء عمل اضافى كالحضور امام المحكمة أو ما شابه ذلك .

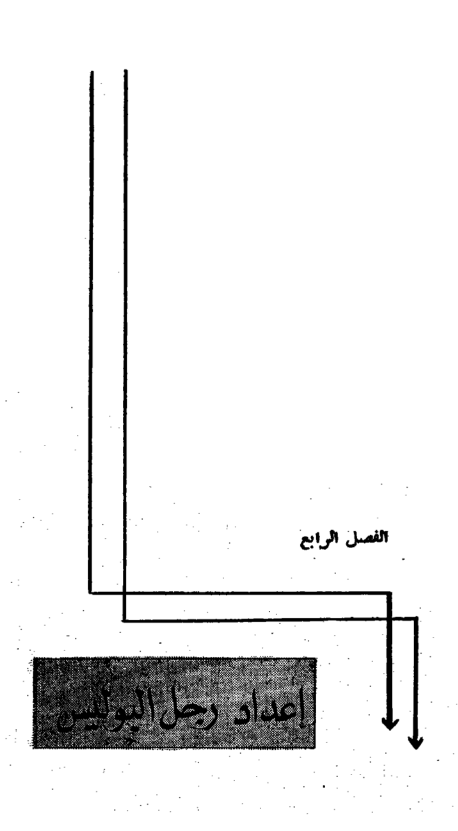
واخيرا على ان أعود الى مسألة الملابس . فمنذ سنوات عدة لم تتغير ملابسهم فقياسا على النظام المتبع فى الجيش قديما كان تقرر لها مدة طويلة للاستعمال غير أن ملابس جندى الجيش طرأ عليها تغييرات كبيرة فى السنوات الاخيرة ولذلك كان من الواجب ان يتناول التعديل ملابس رجال البوليس فالزى بالغ الاهمية بالنسبة لهم فعندما يشتد البرد شتاء أو الحر صيفا يضطر رجل البوليس أن يجوس خلال «دركة» سعيا أو يقف فى مكانه منتظرا ، وما لم يكن حسن البزة كساء وحذاء فقد تتأثر صحته والرجل المعتل الصحة لا يستطيع أن يقاوم تقلبات الجو الانكليزى سنة بعد أخرى لمدة ثمانى ساعات يوميا فى ستة أيام من كل أسبوع .

ولهذا السبب كان الكشف الطبى شديدا بالنسبة للمجندين . وعقب الحرب ألفت لجنة فى وزارة الداخلية لكى تبحث بعناية موضوع ملابس البوليس وقد أوصت بادخال عدة تعديلات عليها وكان أهم ما لفت النظر استبدال السترة ذات الياقة العادية بأخرى مفتوحة الرقبة ترتدى بغير ياقة أو رباط . لقد سبب ذلك تذمرا عند القدامى الرجعيين ولكن الغالبية رحبت بالتعديل وكان البعض يرد أن يرتدى قبعة مثل التى يرتديها ضباط الاقاليم . لتحل محل القبعة المعمول بها حاليا فى العاصمة والتى يرجع تاريخها الى زمن بعيد بل هى من التقاليد المعروف بها رجال البوليس . ولما اقترح على هذا الاقتراح انقسمت الآراء مناصفة بين القبعتين وعلى ذلك وقف تنفيذ الاقتراح . وانى لسعيد أن تبقى الحال على ما هى عليه حتى لا يحرم رجال البوليس فى لندن من هذه الظواهر التقليدية المميزة لهم .

والمعطف أعيد تعديله ليكون ذا بنيقة (ياقة) مفتوحة بدلا من (الياقة) القديمة العالية والحرملة الثقيلة اللامعة التى لا ينفذ منها المطر استبدل بها معطف أزرق من نوع (الماكنتوش) يلبس فى الظروف الاعتيادية ويوضع فوقه (حرملة) مانعة للماء عند اشتداد البرد .

وسيأسف كثير من رجال البوليس القدامى على حرمانهم من الحرملة البراقة لانها كانت تقى الاكتاف عند هطول الامطار الغزيرة واذا ماطويت كانوا يستخدمونها سلاحا نافعا اذا ما أحسن استخدامها ولكن هذا ليس مقياسا يقاس عليه بحذافيره فى سائر ملابس البوليس ٠

بهذه الوسائل المختلفة أرجو أن أكون قد وفقت فى التخفيف عن رجل البوليس وأن أكون ساهمت فى تحقيق ما أصبو اليه من انشاء قوات سعيدة راضية ٠



الفصل الرابع

إعداد رجل البوليس

تنظيم بوليس العاصمة · لجنة الانتخاب · التدريب- تحت الاختبار (حارس أمن الملكة) مدرسة تدريب للبوليس السرى · مدرسة قيادةالسيارات · كلية البوليس الوطنية ·

***

يعين الحكمدار بواسطة العرش بناء على توصية وزير الداخلية ووظيفة الحكمدار يصفها الامر الملكى بأنها (قاضى الأمن لمقاطعات لندن ومرل سكس وكنت واسكس وغيرها من أحياء لندن) ·

ويعاون الحكمدار نائب الحكمدار وأربعة مسـاعدين وكلهم يعينون كذلك بوصفهم قضاة أمن ولو أنهم هم والحكمدار غير مسـموح لهم بمزاولة اية سلطة قضائية · أما تعيينهم كقضاة أمن فتقليد تاريخى يرجع الى ما قبل انشـاء مجالس احياء لندن عندما كانت ادارة البلاد فى أيدى قضاة الامن فى أحياء المدن وأظنهم القضاة الاداريين الباقين فى الوقت الحاضر ·

وسلطات وواجبات الحكمدار مستمد بعضها من تعيينه رئيسا لبوليس العاصمة وبعضهـا من تشريعـات أصدرها البرلمان · والحـكمدار وان كان مسـئولا عن ادارة القوات بالطريقة التي يقوم بها أفرادها لتنفيذ واجباتهم فهو لايستطيع ولا يحـاول أن يرسم بدقة الطريقـة التى يتبعهـا أحد الكونستابلات فيما يصادفه فى الظروف المختلفة ·

ليس رجل بوليس اسكتلنديارد كما يعتقد الناس مجرد بوليس سرى · ان اسكتلنديارد هى قوات بوليس العـاصمة فمنها كل فروع القوة الرسمية والبوليس النسائى والمباحث الجنائية والبوليس النهرى ودوريات المرور والبوليس الراكب وفرقة الكلاب البوليسية · ومن الخطأ الذى يسود افهـام الجمهـور أن الحكمدار له سلطان على قوات البوليس فى

الاقاليم والضواحى خارج العاصمة · ان ذلك لم يحدث فيما مضى ولن يحدث فى الوقت الحاضر ·

ان فى انجلترا وبلاد الغال ١٢٥ قوة بوليسية فى الاقاليم والضواحى يتراوح عددها من ١٠٠ الى ٢٨٠٠ رجل ولكل قوة رئيس كونستابلات له سلطان مستقل · ولو أن بوليس العاصمة يشمل نحو ثلث قوات المملكة جميعها فعلا · فعلاقاتهم بالقوات ليست علاقة الرقابة بحال من الاحوال · بل علاقة المودة بين شقيق كبير واخوته الصغار فى أسرة كبيرة ·

ويؤدى رجال بوليس العاصمة خدمات وطنية كثيرة مثل حماية الاسرة المالكة والوزراء والمحافظة على المكتب الرئيسى للسجل الجنائى وادارة تحقيق الشخصية وادارة بصمات الأصابع ، غير أن الرجال التابعين لاسكتلنديارد لا يتدخلون فى قضية جنائية خارج لندن الا اذا استعانت بهم ·

والعمل فى اسكتلنديارد موزع بين الاربعة المساعدين للحكمدار بطريقة تجعل كلا منهم مسئولا عن مجموعة من المسائل متصل بعضها ببعض فى جميع أنحاء المدينة على النحو الآتى :

مساعد حكمدار فرقة (أ) :

وهو مسئول عن البوليس النظامى فيما يتعلق بتوزيع أنواع العمل والتنقلات والتأديب والترقية بين أفراد القوة ·

مساعد حكمدار فرقة (ب) :

وهو مسئول عن أعمال المرور والنقليات البوليسية وتدريب سائقى البوليس ودوريات المرور ·

مساعد حكمدار فرقة (ج) :

وهو مسئول عن أعمال المباحث الجنائية والقسم المخصوص ·

مساعد حكمدار فرقة (د) :

وهو مسئول عن تدبير شئون المعيشة للقوات ومسائل المجندين والتدريب والاختبار ·

وأنشىء حديثا مكتب صغير للبحث ورسم الخطط وضع تحت اشراف

نائب حكمدار مهمته دراسة الآراء الجديدة والمحافظة على نظام القوة .

وبجانب هذه الادارات البوليسية توجد ادارتان مدنيتان وهما ادارة السكرتارية المسئولة عن المكاتبات العامة والاقسام المدنية والاستعلامات العامة والاحصاءات والمرتبات والمعاشات والسجلات الاخرى . والادارة القضائية ومهمتها الافتاء فى المسائل القانونية وتولى الاجراءات والاتهامات .

وتنقسم العاصمة الى مراكز تتبعها فرق بوليسية تختلف بحسب أهميتها وعدد سكانها . فكل فرقة تنقسم بدورها الى فروع قد تكون ثلاثة أو أربعة تحت اشراف مراقب وهو أكبر مرجع فى النظام البوليسى وهو مسئول عن جميع أعمال رجال البوليس فى منطقته .

وتحدد لمراكز البوليس دوائر اختصاص تقسم الى «دركات» يشرف عليها رجال نظاميون تحت رياسة كونستابل نظامى وهؤلاء الرجال مازالوا هم العاملين على منع ارتكاب الجرائم فى نظام البوليس البريطانى ومن المدهش أن تجد فى ذاكرة الضباط العاملين أنه لم يكن من قبل نظام تدريبى لجندى البوليس .

ويروى أحد الضباط الذين لا زالوا بالخدمة ان أول يوم اختير فيه لخدمة البوليس أمر بأن يقدم نفسه الى أحد المراكز صباح يوم الاثنين فلما توجه اليه لبس الزى الرسمى وأخبر فى ايجاز أنه ليس هناك ما يستدعى وجوده سائر النهار وانما عليه أن يعود فى الساعة السادسة من الصباح التالى وبهذا الاعداد تسلم عمله .

والمعمول به الآن يختلف اختلافا بينا عن ذلك فهناك اختبار دقيق لطالبى التوظف بالبوليس فقد أرسلت ٢٣٠٠٠ استمارة الى طالبها فى سنة ١٩٥٢ أعيد منها أكثر من ٨٠٠٠ فبعض طلاب التوظف لم يقبلوا بسبب السن أو الطول أو الجنسية أو غير ذلك من الاسباب ولكن ستة آلاف منهم تقريبا قد استدعوا لمكتب الاقتراع لكشف الهيئة ولم يحضر منهم غير خمسة آلاف ، وقد رفضت لجنة الاختبار المؤلفة من الحكمدار ومساعد السكرتير من فرقة (٥) وكبير المراقبين وكبير مراقبى مدرسة التدريب عددا يبلغ نحو ١٢٥٠ شخصا ولم تقتصر مهمة اللجنة على ذلك بل كان نصب عينيها البحث عن الاخلاق والذكاء . وأخفق فى الكشف الطبى ألفان فكان الباقى بعد ذلك نحو ١٧٥٠ وهم الذين تقرر قبولهم اذا جاءت التحريات عن سلوكهم مرضية وأنهم اجتازوا الاختبار العلمى فأخفق من هذا العدد ٥٠٠ لهذه الاسباب وانتهى الامر بقبول ١٢٥٠ طالبا فقط

وبعد هــذه التصفية الدقيقة يذهب الطلبة النـاجحون الى احدى مدرستى التدريب البوليسية وهمـا مدرسة بيل هاوس وستنمستر أو هندون للتدريب على دراسة تستغرق ثلاثة عشر أسبوعا للناجحين .

ويلحق فى كل أسبوع جماعة ما بين عشرة الى خمسة عشر شابا لكل من المدرسـتين حيث يوجـد ١٥٠ مجندا يباشرون التدريب . والناجحات من البوليس النسـائى يحضرن نفس الدراسـة التدريبية كزملائهن من الرجال .

وعند العودة يخصص لكل مجند غرفة للنوم والجلوس ويعطى الزى الرسمى ويقسم اليمين أمام مسـاعد الحكمدار . وقد حضرت هذا الاحتفال عدة مرات أثناء خدمتى فاتيحت لى فرصة لتأكيد أهمية العمل المقبل عليه هؤلاء المجندون وضرورة المحافظة على التقاليد المرعيـة التى تؤدى بها هذه القوة عملها فى خدمة الدولة .

ويختلف الكونسـتابل عن أى موظف عام بحمله عبء المحافظة على الأمن والقسم الذى يؤديه كالآتى :

« اقسم انا (فلان) وقد عينت كونستابلا فى فرقة بوليس لندن أن أعلن فى جد واخلاص وصدق وأؤكد انى سأخدم بأمانة وصدق ملكتنا (الملكة اليزابث) فىوظيفة الكونستابل وسأؤدىعمل الكونستابل للمحافظة على الأمن ومنع وقوع السرقات والجرائم الآخرى والقبض على الخارجين على الأمن وأبذل بكل احترام أقصى جهدى ومعلوماتى لاقوم بواجبـات وظيفتى المذكورة بالذمة وكما يقضى القانون » .

وهو بصفته كونستابلا لا خادما للحكمدار يؤدى عمله ويكون مسئولا شخصيا عن تصرفاته فى عمله وكثيرا ما تحمله الظروف على أن يتصرف وحده ولا تسنح له الفرصة للرجوع الى رؤسائه الضباط لمده بالمعونة والارشاد .

ولكى يمارس هذه السلطة تماما يجب عليه أن يكون ملما بقانون الجنايات وأن يتدرب على الموقف الذى يتخذه حيال الجمهور .

وفى الثلاثةعشر أسبوعا المقررة للدراسة يتعلم المجندمختلف المواد وهى تشمل قانون الجنايات وتنظيم أعمال المحـاكم الجنائية وقوانين المرور والاماكن ذات التراخيص والقمار والمراهنة وتاريخ تنظيم قوة البوليس نفسها . ومن الناحية العملية يتدرب على فن الدفاع عن النفس وتحرير التقارير وجمع وتقديم الادلة .

وليس التعليم قاصرا على تلقى المحاضرات ولـكن ليكون واقعيـا ومفيدا تمثل حوادث خيالية وتصطنع محكمة قضائية يديرها معلم حيث يقدم فيها الطالب حالة محتملة الوقوع ويناقشه فيها الممتحن .

وفى نهاية مدة الدراسة اذا جاز الطالب الامتحان يلحق بفرقة البوليس فيعمل بها مدة عامين تحت الاختبار ويستمر فى التعليم ويكون فى بداية الأمر مرافقا لضـــابط أقدم منه يؤهله لتأدية أعمال رجال البوليس . والفـــكرة السـائدة عندى عن المجندين الأحـــداث انهم ممتازون .

واذكر أن أحد الكونستابلات ولم يكن أتم تدريبه الا منذ عهد قريب شاهد سيارة خارج محل تجارى بمدينة كنجستون فساوره شعور خفى بأن فى الامر شيئا غير عادى فقفز على سلم السيارة فجرى السائق بسرعة جنونية وحاول أن يقذفه باحتكاك السيارة بأعمدة النور . وفى شوارع كنجستون ظل الكونستابل متعلقا برغم كل المحاولات للتخلص منه واخيرا اصطدمت السيارة بسور احدى الحدائق والقت بالكونستابل من فوق السور الى الحديقة ولكنه تمكن من النهوض وتسلق الســور وثبت أن السيارة كانت مسروقة فعلا كما جال بخاطره . ولما هنأته على ذلك صارحنى بأنه يعتبر أن ذلك العمل المجيـــد ليس الا جزءا من عمله اليومى وكثير من هم على شاكلته .

وهناك كونستابل صغير حديث العهد بالتخرج صـــادفته تجربة تختلف عن سابقتها . ففى صباح أحد أيام السبت فى الشتاء الثانى بعد الحرب كنت ذاهبا مع زوجتى بالسيارة لنشترى بعض لوازمنا فنزلنا عند باب المتجر ورحت أبحث عن مكان فى شارع جانبى لاترك عربتى فيه وبعد قليل حضرت الى زوجتى وسألتنى أن أصحبها لاعاين شيئا راقها فلما عدت الى السيارة وجدت كونستابلا حديث السن واقفا بجوارها وبيده الدفتر الذى يدون به المخالفات فسألته عما اذا كان رأى خطأ فقال : نعم ألا تعلم أن السيارة تعترض طريق عبور المشاة فأجبته بحدة : لا وكيف يتسنى للمرء أن يبصر طريق العبور والطريق مغطى بالثلج ولكنه قال بغلظة : ولكنك تستطيع أبصـــار اللوحة المميزة وانى مضطر لأن أرفع تقريرا بذلك الى الحكمدار يا سيدى فقلت له : حسنا ما عساى أن أفعل عندئذ . فسألنى : هل تعرف الحكمدار ؟ فأفهمته أننى هو ذا الحكمدار ولكنه نظر الى بارتياب ثم قال : انى لى أن أعرف انك هو ؟ . وحار كيف يتصرف وسألنى عن بطاقة تحقيق الشخصية .

ولم أكن فعلا أحمل بطاقة ولكنى كنت قد نسيت أن أقدم له شعار الحكمدار الفضى الذى بحلقة المفاتيح . ومـــع ذلك فزوجتى قدمت له بطاقتها وبعد أسئلة أخرى اقتنع الكونستابل ثم تذكر انه شاهد صورتى بأحد الافلام بمدرسة التدريب . لقد نصحته بأن كل ما يفعله هو الا يمحو ما ســطره فى دفتره ، انما عليه أن يرفع تقريرا الى نقطة البوليس التابع اليها وهناك يعرفون ما يفعلون وعندما تركت السيارة أنا وزوجتى وجدت الكونستابل يبدو عليه الخوف فوجهت زوجتى أليه الحديث بقولها كفاك ايها الضابط ترضية انك الضابط الوحيد الذى كان له شرف اســتجواب الحــكمدار فأجابها مكتئبا (ذلك هو حظى ياسيدتى فانى غادرت مدرسة التدريب منذ شهر واحد وهذا هو أول عمل بوليسى أعمله وعلى أن أضيف أننى حذرت الحكمدار لخرقه اللوائح) .

وقبيل انتهاء مدة التجربة يقضى الكونستابل مدة منفصلة فى فروع التخصص لاعمال البوليس كادارة المباحث الجنائية ودوريات سيارات المرور وفرقة نهر التايمز وله عندئذ حق اختيار الفرع ذى الزى الرسمى أو يتقدم للالتحاق بأحد أقسام التخصص .

وعلى هؤلاء الذين يقع الاختيار عليهم أن يدربوا تدريبات عدة اولها التدريب فى البوليس السرى بمعهد (هندون) الذى يقدم اليه من يختارون للالتحاق بادارة المباحث الجنائية . وفى كل عام يندب اليها ثلثمائه جندى تقريبا من بوليس العاصمة والمديريات والمقاطعات ومن وراء البحار ليدرسوا بها والدراسة تستغرق عشرة آســابيع ويقوم بالتعليم ضباط ادارة المباحث الجنائية الخبيرون وأعضاء معامل تحليل الطب الشرعى والاساتذة المدنيون والعسكريون فى ادارة اسكتلنديارد ويعاونهم محاضرون من الخارج كالنائب العام وأســتاذ عــلم الامراض وآخرين .

أما الدراسة النظرية فتبدأ بدراسة القانون الجنائى والاجراءات الجنائية بما يعــود على الطالب بالفائدة ومن أهم ما يجب على ضــباط البوليس ، معرفته الظروف التى تخــوله حق القبض على الافراد فاذا ما تجاوز حدود اختصاصه فللمقبوض عليه آن يطالب بتعويض عن حبسه بغير حق مما قــد يقضى بتغريم البوليس مئــات متعددة أو آلافا من الجنيهات . فمثلا اذا وجد رجل يحمل ليلا آلات كسر البيوت فقد يحق القبض عليه اذا لم يستطيع الادلاء بمعلومات مقنعة عن حمله اياها ولكن اذا كان ذلك نهارا فيقع على عاتق ضــابط البوليس اثبات أن هــذه

الا اذا حملت لارتكاب أمر غير مشروع قانونا ويخصص وقت كاف للالمام بطريق استجواب المتهمين وأن شئت فقل بفن الاستجواب . وعليه أن يتعلم القواعد القضائية التى وضعت فى سنتى ١٩١٢ و ١٩١٨ لأن فى مخالفتها ما يقضى على الجهد المبذول وقد يظن لاول نظـرة ان هذه الاجراءات التى وضعت لتحمى البرىء قد يستفيد منها المجرم وتقف عقبة فى سبيل التحريات اذ أنه محظور استجواب متهم مقبوض عليه أى الذى تقرر اتهامه فى ارتكاب جريمة قبل اعـلانه بها والا كان ذلك سببا فى افلات المتهم والواقع أن هذه الاجراءات لا تقف حائلا ازاء مهارة رجل البوليس السرى • وهنا يبدو جليا مجال فن الاستجواب ••

وتلقى على مسامع الطلبة محاضرات أخرى تبين مدى معونة معامل الطب الشرعى فى أعمالهم فهناك محاضرات عن السموم وأهمية الدم فى تحريات الجريمة وفائدة المجهر والتحاليل الكيمائية والاشـــعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء .

ولن تأتى الخبرة والحذق لرجل البوليس السرى عن طريق الاستماع للمحاضرات مهما كان ألمعيا ولكن عليه أن يســتخدم معلوماته المكتسبة حديثا بطريقة عملية ولتحقيق هذه الغاية يقضى جماعات الطلاب أوقاتا عدة فى التمرين العملى على حوادث اجرام من صنع الخيال .

فيشكل تمثال لشخص بالحجم الطبيعى ويفترض موته بعدة طرق ويترك للطلبة البحث عن كيفية الوفاة وأسبابها ويمنح الطلاب درجات على حسب ما يبذلونه من جهد وبصفة خاصة عند وصولهم الى مــكان الجريمة وملاحظتهم مفاتيح اكتشاف الجريمة والمحافظة عليها والأهميــة المترتب عليها دقة وصف الطالب للحادث نظريا وعمليا وعليه أيضا أن يحفظ كيف يميز ويحتفظ فى ذاكرته بمميزات الوجوه وبصفات الشخصية ليتعرف عليهم . ويعين الضباط المتمرنون أحسن الطرق لتوجيه قوة الملاحظة وكيفية اكتساب المحتالين والمزورين والمبتزين لثقة الفريســة وكيف يعالج الجريمة فى ميادين السباق ويتعلم الطالب على أيدى المهرة فى فنهم طرق فتح الخزائن واغلاقها واستخدام السلاح والمتفجرات وأنواع وخواص الاحجار الكريمة والمجوهرات .

وفى (هندون) مدرسة لتعليم قيادة السيارات لا تقتصر مسئولياتها على تعليم دوريات المرور ولكن تتخطاها الى قيادة عربات البوليس .

وهنا يلقن من سيناط بهم مراقبة أعمال المرور أن مهمتهم ليست

ضبط المخالفات ولكن اعطاء القدوة الصالحة والنصيحة التى بها يشجعون على ضمان الامان فى القيادة الحريصة والمجاملة على الطريق . وعندما يكون أحدهم مسئولا عن تنفيذ لائحة المرور يكون مزودا بلائحة اجراءات المحكمة وقواعد أداء الشهادة ويجب عليه أيضا أن يكون ملما باشارات المرور وممرات عبور المشاة والشوارع ذات الاتجاه الواحد والاماكن المصرح بالوقوف فيها والمحظور الانتظار بها والمسموح بالوقوف فيها على جانب واحد ويقضى ثلاثة أسابيع فى هندون فى دراسة عميقة . وضابط البوليس الناجح الذى يفوز بالنجاح فى هذه الدراسة فى هندون يجب أن يكون سائقا مقتدرا بل يجب عليه أكثر من ذلك اذا ما اضطرته الظروف أن يقود سيارته بسرعة فى لندن .

ومن أهم ما يشتمله التدريب العالى فى هندون ملاحظة السيارات وايقافها وهى تنهب الارض مسرعة فهذا يستدعى قسطا وافرا من المهارة وتحكما فى الاعصاب لان ملاحظة السيارات فى الشوارع وهى تسير بسرعة ٧٠ أو ٨٠ ميلا فى الساعة من الامور المألوفة . ورجل البوليس ــ خلافا لما يظنه الناس بناء على التصوير الخاطىء من الصحف ــ لا يدرب على اعتقال السيارة أو العربة الهاربة بل عليه أن يستنفد صبر سائق هذه السيارة اما بملاحقته باستمرار أو الجرى خلفه واما باضطراره الى الاتجاه الى طريق جانبى .

وتنفيذ قوانين المرور ليس فى ذاته عملا يرتضيه الجمهور بل هو محفوف دائما بخطر انقلاب الرأى العام ضده فدوريات المرور لا تتابع القانون ولكنها تهدف بطريقة مهذبة معقولة الى الحصول على تأييد الجمهور لها . ونجاح رجل البوليس فى تسابقه مع السائقين الخصوصيين ذوى المهارة الفائقة هو رأس مال له لانه يبين بجلاء أن رجل بوليس المرور . وان كان ظاهر عمله أن يسدى النصيحة والتحذير ولكن حسبه أن فى مكنته أن يدعى بحق أنه سائق ماهر للسيارة والموتوسيكل وربما كان أقسى اختبار فى حياة هؤلاء هو ما جرى فى مسابقة مونتكارلو حيث دعا سير وليم روس منذ أربع سنوات فريقا من المعلمين بمدرسة القيادة الى قيادة احدى سيارات شركة تالبوت فى السباق وقبلت هذه الدعوة تحية منها للمدرسة وانتهازا للفرصة لكى يكتسب ضباطنا خبرة قيمة .

وفى سنة ١٩٥٣ لم تصب فرقتنا بأية خسارة فى سباق مونتكارلو وكان ترتيبها التاسعة والعشرين ولما وجه سؤال فى مجلس العموم عن

اشتراك البوليس فى السباق أمكننى أن أؤكد لوزير الداخلية أن نفقات الضباط لم تكن عبئا على الخزانة العامة وان الضباط استغلوا أجازتهم السنوية للاشتراك فى المسابقة .

ان الأمل الطبيعى لكثير من الشبان عند الالتحاق بالبوليس هو الحصول على ترقية واذا ساعدهم الحظ فى المستقبل فقد يصـلون الى أكبر منصب فى هذا السلك فاذا كانت خدمة البوليس سليمة منتظمة لوجب أن اتيح هذه الفرصة لجميع من يلتحقون بها وقد كانت سياسة الحكومات المتعاقبة لعدة سنوات مضت أن تشغل أعلى وظائف قوات البوليس من بين الصفوف والا يؤتى بضباط من الخارج الا فى الظروف النادرة التى لا يوجد المرشح اللائق بين قواتها .

ان مشروع انشاء كلية لبوليس العاصمة وهى الكلية التى انشئت قبل الحرب لقبول شبان جامعيين وخريجى المدارس العامة ومنحهم رتبة مفتش نقطة كان هذا المشروع معارضا لهذا المبدأ ولهذا كان مثار تذمر من رجال البوليس ·

وكلية بوليس العاصـمة التى أغلقت عند نشوب الحرب لم يعد افتتاحها فيما بعد ولكن حل محلها كلية بوليسية تسير على مبدأ مخالف لمبدأ الكلية القديمة فالجديدة كليةقومية لا تقتصر على بوليس العاصمة ولا تتسـع لغير الطلبة الملتحقين فعـلا بقوة البوليس والذين انتخبوا للترقية الى وظيفة مفتش أو يكادون ينتخبون لهذه الرتبة ·

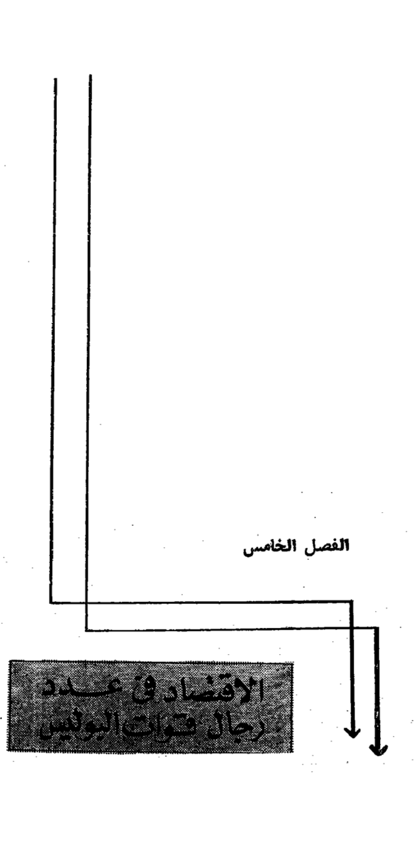
كنت عضوا فى مجلس مديرى الكلية منذ انشائه . وكنت القى المحاضرات لكل فرقة متخيرا موضوع العلاقة بين البوليس والصحافة وهو موضوع كنت أعقد عليه أهمية كبيرة طيلة مدة عضويتى .

ولا يقتصر الالتحاق بهذه الكلية على المتفوقين من رجال بوليس العاصمة والأقاليم ولكن تتسع لضـباط قوات بوليس المستعمرات . ومن أثمن ظواهر هـذه الكلية هو ذلك الاختـلاط الذى يقع بين رجال القوات المختلفة أثناء المحاضرات وخارجها فكل واحد منهم ما يدلى به من واقع تجاربه وان ضباط المستعمرات ليقدرون كل التقدير الفرصة التى أتاحتها الكلية لهم بتلقينهم طرق وتقاليد بوليس الدولة الأصلية ·

وكان من الأهمية بمكان أن تفتتح الكلية بعـد الحرب بأسرع مما يمكن فبدلا من أن ننتظر حتى تقام لها أماكن جديدة · قررنا أن نستخدم موقعا ليس واسـعا بنى خلال الحرب ليأوى اليه العمـال فى مصـنع

طائرات بمدينة بريتون وقد أصلحت هذه المبـــانى بعد ادخال بعض التعديلات عليها ولو أنه كان يعوزها بطبيعة الحـال بعض التجميــل المعمارى والبيئة الملائمه ولكنها وفت بحاجات الكلية الجديدة قبل أن ترتبط بمبان جديدة ذات تكاليف باهظة واذا كانت الكلية قد نجحت فى ظروف الانتقــال المتقدم ذكرها فان الفضـــل يرجع الى البريجـــادير (دنكان ون) الذى استطاع أن ينجح فى خلال خمس سنوات فى اقامة منظمة حية نامية يفخر بها رجال البوليس .

وللبيئة والتقـــاليد قيمتهما فى خدمة البوليس ، كأى شىء آخر ، ولذلك فان مديرى الكليه اخذوا يبحثون عن مقر دائم لها وبعد أن لاقوا صـــعوبات عدة وفقوا الى شراء منزل جميـــل قريب من (افرسلى) فى مقاطعة (همشير) سيتخذ مركزا تقام حوله مبانى الكلية الحديثة .



الفصل الخامس

الاقتصاد في عدد رجال قوات البوليس

لماذا لا يمكن انزال مستوى التجنيد . الخطوات التى اتخذت للاقتصاد فى عدد أفراد القوة ـ المدنيون بدلا من رجال البوليس ـ قضية ضباط المرور ـ تجربة ابردين ـ طلبة البوليس .

***

لقد اتعبت القارىء كما أتعبت نفسى وأنا أكتب هذا الكتاب عن رجال بوليس العاصمة منذ الحرب وذلك بموالاة ذكر عجز القوات . ولا غرابة فى ذلك . ولايضاح ما أقول فغالبا وطبيعيا أن يوجه الى السؤال التالى . اذا كان لديك عجز فى قواتك فلماذا ترفض الحاق المجندين الذين يتوقعون للالتحاق بالقوة ؟. وفضلا عن ذلك فماذا أنت صانع لكى تنتفع برجالك الى أقصى حد ؟. وهاتان النقطتان المقبولتان تحتاجان الى جواب . وجوابى عن المجندين أننا أنزلنا مستواهم الى الحد الأدنى الذى رأينا فيه السلامة فأنزلنا الحد الأدنى للطول من خمس أقدام وتسع بوصات الى خمس وثمان فكانت النتيجة أن تناول النقد ضآلة أحجام كثير من رجال البوليس الصغار . ولو أن ثلث وظائف المجندين للحرب يشغلها من هم فوق الست أقدام طولا ولا يتجاوز ١٤٪ من هم دون الخمس أقدام وتسع بوصات . وأعتقد أن من الخطأ تخفيض مقياس الطول أكثر من ذلك لأن الطول والقوة البدنية غالبا ما يسيران جنبا الى جنب .

أما المستوى الطبى فلم نتساهل فيه . لأن أقل نقص سيكون أثره ضارا بقوة البوليس أو الفرد . وعمل رجل البوليس . كما أؤكده يتطلب شروطا صحية وقوة بدنية وينبغى للطالب أن يحتفظ بها من خمس وعشرين سنة الى ثلاثين سنة . وبينما أن قوات البوليس مستعدة

لتمريض عدد قليل ممن خذلتهم قواهم البدنية فى السنوات الأخيرة من خدمتهم فانه لا يوجد الا عدد محدود من الوظائف الصالحة لهـــذا الغرض ولا يوجد عادة ما يبرر الاحالة الى المعـــاش لاســباب صحية الا هذا السبيل . ولما كان الضابط يستحق معاشا بعد خـــدمة عشر ســـنوات فمن الضرورى . محافظة على مصـــلحة دافعى الضرائب والاتاوات الحكوميـــة . آن يكون رجـــال البوليس المعينون بصـــحة جيدة .

والاختبار العلمى يكاد يكون بدائيــا بما يكفل للطالب أن يؤدى عمله . وعمل رجل البوليس الحديث يتطلب المزيد من الذكاء . ولا يتفق مع الكفاية المطلوبة خفض المستوى لاكثر من ذلك . والدراسة التدريبية تستنفد مقدرة المجندين ومن ضياع الوقت والمال أن نأتى بأفراد الى مدرسة التدريب لا يستطيعون هضم المعلومات .

وأما جوابى عن السؤال الثانى . وهو هل من الميسور الانتفاع بقوى الفرد البدنية انتفاعا كاملا ؟ . فانى آخر من يدعى تعذر امكان ادخال تحسينات ما ولقد بذل الكثير فى هذا السبيل .

وكان العجز أظهر ما يكون فى (الدركات) وكثيرا ما سـمعنا أن الناس يبدون الملاحظة الآتية : انا لانكاد نشاهد أحدا من رجال البوليس فى (دركات) أحيائنا بلندن . وهذا يساير الواقع الى حد كبير .

ولما كان بعض الواجبـــات المختلفة التى لايتيسر اغفالها ذودت بالرجال اللازمين كضباط النقط أو الضباط المنوط بهم أعمال خاصة ومع حساب الغائبين بالاجازة أو المرض فان العدد الباقى (بالنقطة) كثيرا ما يكون قليلا بحيث لا يكفى لتزويد (الدركات) بالرجال . وبالزيادة المتوالية فى أعمال التخصص وبالعجز فى الرجال ساءت الحال حتى أمكن وصفها بالمأساة . وكان عدد العاملين بالدوريات والدركات فى سنة ١٩٣٢ هو ٨٨٪ من العدد اللازم لها . ولكن هذا الرقم تضاءل فى سنة ١٩٥٢ الى ٤٤٪ .

والى حد ما أمكن سد الثغرة فى المحطات الخارجيـة بواسطة ضباط يركبون الدراجات أو الموتوسيكلات فيقطعون مسافات أكبر ويجوســـون سراعا خلال ساحات شاسعة قليلة السكان وينفقون الوقت الاكبر فى أرتياد هذه المساحات حيث تستوجب الحالة وجودهم . ومنذ سنوات كان النظام المعمول به هو أن تفرض دوريات أضــــافية على الدركات

الاعتيادية بحيث تبدأ من الدركات وتنتهى اليها فى مواعيد مختلفة حتى تسد الثغرة عند تغيير النوبة .

وليس هناك بديل حقيقى من رجل البوليس المعين فى دركه أو فى المرور لأنه بتجواله فى صمت فى منطقة معروفة له بأهلها ومبانيها يكون سريع الملاحظة فى كل ما يمكن أن يطرأ فيها من غير المألوف .

وكان واجبى أن أركز كل ما أستطيع من الرجال فى (الدركات) والدوريات لمواجهة أحوال الضرورة القصوى وذلك فى أعمال المواصلات وغيرها فى النقط أو الجهات الرئيسية • وهناك بعض وظائف من هـذا القبيل ينبغى اسنادها الى الرجال المسنين القادرين على اداء مثل هذه الأعمال تبعا لحالتهم الصحية • وفى غير هذه الظروف فقد وضعت نظاما يقضى بأن يحل كلما تيسر ـ كتاب مدنيون محل ضباط البوليس وبهذا عاد ضباط كثيرون الى أعمال (الدركات) وشبيه بذلك ما حدث عندما مددنا ضباط ادارة المباحث الجنـائية بالكتبـــة والمختزلين فكان لديهم فسحة من الوقت بحيث يستطيعون أن يتفرغوا لاعمال البوليس السرى•

وقد يتغير على مر السنين مدى الاعمـــال الكتابية التى يقوم بها المدنيون فى المقر الرئيسى وكان أول ما تقرر أن زود المجلس المشـــترك للحكمداريين بثلاثة من الكتبة ولكن نهاية مرتباتهم كانت ضعف مايتقاضاه المراقب ولما زاد العمل اشتد الميل الى اسناد هذه الاعمال الكتابية الى ضباط من البوليس وعلى ذلك بلغ عدد الضباط الذين يؤدون أعمالا كتابية فى سنة ١٩١٤ اثنين وثمانين ضابطا فى مقابلة تسعة وأربعين مدنيا . وكانت الزيادة الضخمة فى العمل الجديد الذى نشـــأ بسبب الحرب أدت الى زيادة عدد المدنيين الى ثلاثة أمثـــالهم حتى سنة ١٩٣٠ غير أن عدد الضباط ظل ثابتا لم يتغير •

وفى فترة ما بين الحربين حل المدنيون محل ضـــباط البوليس فى الفرع الاحصائى ومكتب الممتلكات المفقودة وقسم اجراءات المرور ومصلحة السيارات العامة والسجل بادارة المباحث الجنائية ونقلت مهمة اعداد كشوف الرواتب من أقسام البوليس الى موظفين مدنيين فزادت الاعمال زيادة كبيرة بالرغم من كل ذلك • وبلغ عدد رجال البوليس فى أوائل سنة ١٩٥٣ ألفا فى مقابل سبعمائة مدنى .

وفى أثناء ذلك ظهر عاملان جديدان أولهما : خطورة العجز فى عدد

رجال البوليس والثانى زيادة تكاليف الضباط المدنيين اذا تساوى العدد من الطرفين بسبب العلاوات المتوالية فى رواتب الاولين ٠

واقتصادا فى عدد رجال البوليس ونفقاتهم كان لابد من الأخذ بما انتهت اليه لجنة اللورد (اوكسلى) بأن لا مبرر فى أى حال لمنح مرتبات ومعاشات وامتيازات بوليسية الى أفراد لم يستخدموا لتأدية أعمال بوليسية وقد ألفت لجنة من مندوبين من وزارة الداخلية ومن مكتبى برياسةالسير (ارثر ديكسون) فى ابريل سنة ١٩٤٩ مهمتها بحث توزيع الاعمال بين الضباط والمدنيين .

وعرضت اللجنة باسهاب فىتقريرها المؤرخ فى يوليو سنة ١٩٥٣ الى تنظيم المصلحة وأوصت باستبدال جميع ضباط البوليس بمدنيين فى عدد من الفروع وأن يحل محل بعضهم عدد من المدنيين ٠ والمصالح التى تناولها هذا النظام هى مصلحة السيارات العامة وقسم التصوير الفوتوغرافى وقسم أوراق القضايا والمراسلات وتسجيل بصمات الاصابع ومكتب السجل الجنائى وقد قبلت هذه المقترحات ووافق عليها وزير الداخلية وهى الآن موضع التنفيذ . وقد لا يتيسر تنفيذ هذه المقترحات فىبعض الفروع الا بالتدريج ٠حتى اذا ما بلغت الكمال بلغ الاقتصاد أكثر من مائتى ضابط .

كان همى من كل هذه التغييرات أن أتجنب تشتيت رجال البوليس فى تأدية أعمال يستطيع المدنيون القيام بها ، ومن المهم أيضا أن نحصل على أحسن النتائج من الضباط فيما هو منوط بهم . وكان حتما أن أواجه نقدين أولهما : كثرة عدد الضباط الذين يركبون السيارات فلم يكونوا على اتصال بالجمهور وما تستدعيه حاجاته . وثانيا كثرة عدد المستخدمين ومراقبة حركة المرور وتعقب السائقين المخالفين وفى هذا ما يطيح بواجبهم الحقيقى من منع ارتكاب الجريمة أو كشف ما وقع منها . والنقد الاول شديد الصلة بما أسلفت اليه من قبل . وهذا النقص فى عدد رجال الدرك لا يصدر الا عن الذين لا يدكون الدور الباهر الذى تلعبه السيارة والراديو فى منع الجريمة وضبطها وليس من المغالاة القول بأنه بدونهما كان يستحيل بقوة قليلة العدد أن يواجه المستوى الذى بلغته الجريمة وأعمال العنف بعد الحرب حتى مع النجاح المتواضع الذى أصبته فى السنوات الاخيرة ونقد توظيف رجال البوليس فى أعمال المرور يقرن فى الغالب باقتراح أنه يمكن أن يحل محلهم هيئة خاصة لملاحظة المرور وهذا الاقتراح يظهر أنه مبنى على سلسلة عجيبة من

الأضاليل وهى أنه من اليسير اختيار ملاحظى المرور وأنهم يحتاجون الى تدريب أقل ؛ وأنه ليس من الضرورى أن يكونوا بنفس المستوى البدنى والصحى أخيرا . وهذا هو السبب الأساسى لهذا الاقتراح بغير شك انهم لا يكبدون الحكومة ما تكبده بالنظام الحالى .

وبغض النظر عن المشاكل التى يحدثها وجود درجتين للضباط يسيران جنبا الى جنب أحدهما لكونستابل له سلطان يستمده بحكم التقاليد والقانون . والأخرى من طبقة أدنى محدودة السلطان ولا أرى أن مثل هذا الرأى جدير بالنظر فضابط بوليس المرور فى نوبته ليس حارسا للمرور فقط وانما هو موجود ليلبى كل نداء عاجل ليعالجه بما له من سلطان واجب . فعندما يختبر رتلا من السيارات ليأذن لها بالترخيص أو يباشر مخالفات وقوف السيارات فى الشوارع أو عدم اضاءتها ليلا يجب أن يكون فى كل وقت متيقظا لكل أنواع الاحتمالات . فمثلا اذا بلغ عن سرقة من عربة أو عن شخص تدعو تصرفاته الى الريبة فله من السلطة ما يخوله القبض فورا على المتهم واذا أمر أطيع لأن أوامره محترمه وكل مقاومة لأوامر رجل البوليس أثناء تأديته واجبه تعد جريمة والملاحظ الذى هو من درجة أدنى يلقى هذه الطاعة التلقائية من الجمهور .

وبجانب هذا فانى أرى وفرا يذكر فى النفقات أو تيسيرا فى تعيين الحراس فليس مأمونا أن ينتخب أشخاص لهذه المهمة الا من أحسنهم أخلاقا لأن ظروف عدم الامانة كثيرة والخدمة محاطة دائما بضمانات التأديب ولصاحبها حق المعاش ومن ناحية تقرير المعاش وحدها فان المقاييس الطبية لا يحسن تخفيضها ومن ناحية العمل يكون من الضرورى توافر اللياقة الطبية لأن كل من لهم خبرة بالموضوع متفقون على أن العمل شديد الارهاق وأنه يجب القيام به فى جميع فصول السنة مهما كانت الأحوال الجوية . ولقد كان ملاحظو المرور لا يطالبون بأداء أعمال ليلية الا أنهم يتولون أعمالهم فى الصباح الباكر وينصرفون عنها فى المساء ويعملون أيام العطلة الأسبوعية والعطلات العامة .

كثيرا ما يقال ان حياة ضابط البوليس القائم بأعمال الدركات حياة رتيبة غير أنه يوجد كثير من الأساليب يمكن بوساطتها تغييرها من وقت لآخر باسناد أنواع أخرى من أعمال البوليس اليه فكونستابل الدرك الذى رأى مجرما مثل (رستى) وقبض عليه أخبرنى أن هذه المناسبة التى وقع فيها الحادث جعلت عمل البوليس عملا لذيذا . وهذه المناسبات لا تتاح لحارس المرور الذى يجب عليه أن يلتزم عمله المتشابه سنة بعد أخرى

باستمرار وهو يؤدى عمله بارشادضابط البوليس والفرص المواتيةلترقيته محدودة • ومنحه راتبا أقل كثيرا من راتب البوليس يرجح الا يجذب الى هذا العمل الا رجالا قليلى الاهتمام قليلى فرص النجاح • ولست أرى ما يبرر انتخابهم دون رجل البوليس الاعتيادى •

ومن وجهة نظر البوليس سيكون من المجحف أن حراس المرور الجدد الذين لا يدخلون فى سلك الكونستابلات لن تكون لهم سلطة القبض فى حالة ارتكاب جرائم خطيرة من جرائم المرور ولن يكون لهم سلطة العمل كاحتياطى بوليس فى أوقات الطوارىء • وأختتم كلامى بقولى : انه لا يوجد بديل مرض من رجال البوليس لتطبيق قوانين المرور •

وفى الوقت ذاته ينبغى لى أن أقرر أن قسطا كبيرا من وقت رجال البوليس ضاع بغير وعى منهم ولا سيما فى تأدية شهادة خاصة بجرائم المرور أمام المحاكم وقد قدمت اقتراحات متعددة لتوفير هذا الوقت : منها تنظيم أعمال المحكمة بحيث تنظر قضايا المرور فى يوم معين أو جزء من يوم وقد جرب هذا الاقتراح فى محاكم لندن المختلفة وأصاب بعض النجاح ، واقتراح آخر يقضى بأن يعدل القانون بحيث يسمح لقائد السيارة المعترف بذنبه أن يفعل هذا بطريق البريد وأن يستغنى عن شهادة البوليس فى هذه القضايا • فمثل هذا النظام لا يضر بالمخالف بل انه متبع فعلا فى اسكتلندا وبعض المستعمرات البريطانية •

ومن بين الوسائل التى نوفر فيها عدد قوات البوليس هو النظام المسمى بمشروع ابردين ففى سنة ١٩٤٨ أدخل رئيس كونستابلاتابردين فى قسم من المدينة نظام فرقة ميكانيكية بعد أن قضت فترة تجربة عامة فشملت جميع أنحاء المدينة وألغيت الدركات الفردية وقسمت المدينة الى أقسام كل منها مزودة بفرقة تتألف من ثلاثة كونستابلات الى تسعة تبعا لأوقات النهار وأيام الأسبوع • وللدواعى البوليسية فى المنطقة • وكان يعين جاويش رئيسا للفرقة له سلطة توزيع أعمال رجاله بالطريقة التى يراها وتوضع تحت تصرفاته عربة بها راديو تليفونى مستقبل ومرسل يستعين به على الاتصال المستمر برؤسائه ولتنقل الرجال بسرعة الى المكان الذى تستدعى الحالة انتقالهم اليه وهؤلاء الرجال كانوا يمنحون سلطات كبيرة فى (النقط) التى يعينون فيهـا وينفذون بهـا أعمال (دورياتهم) حسبما يرونه •

ولما وجد أن هذا النظام الجديد قد زاد من اهتمام الجاويش ورجاله بأعمالهم وهيأ للجاويش فرصة طيبة يتولى فيها القيادة والتنظيم مستقلة

عن مجرد الرقابة كما ظهر أيضا أن ادخال تنويع على أعمال الأفراد قد ساعد على التخفيف من حدة رقابة أعمال الدرك وأدى الى تحسين الحالة الصحية والنفسية لأفراد القوة وأخيرا دون المساس بالصلة الوثيقة بين البوليس والجمهور فان هذا النظام دل على أنه لا يقل دقة عن النظام السابق ان لم يزد عليه ٠

وقد أوفدت ضابطا الى (ابردين) لدراسة هذا النظام فظهر أن بعض القوات أدخلت تعديلا عليه وبناء على ما تلقيت من تقارير رأيت أن أقوم بتجربة كاملة فى أربعة أقسام فرعية لأخذ مزايا المشروع الذى يقضى بأن استخدام عربة اللاسلكى يمكن من ارسال الأفراد بسرعة الى حيث تدعو الحاجة اليهم وهذا ما كان يحققه بطبيعة الحال بوليس العاصمة المركزى عن طريق عربات اللاسلكى ٠ فالمشروع فى شكله الأصلى أثار بعض الصعوبات لأن قلة عدد الرجال لدينا جعل من العسير أن نتجنب ادخال تعديلات مستمرة فى أعضاء الفرقة ولكى نستكمل العدد اللازم كان لزاما علينا أن نقوم بأعمال انتقال كثيرة اذ كان يضطر الأفراد الى التوجه من أقسامهم الاصلية الى مركز الفرقة التى عينوا فيها ٠ واختل بذلك الترتيب الاعتيادى الموضوع للأجازات وتغيير الدوريات فعدلنا من أمرها لنتغلب على الصعاب وبذا أمكن اتباع هذا المشروع أكثر من سنتين ٠ وهو يفضل النظام القديم فيما يتعلق بأعمال الفرقة فى المسائل الخاصة بالحوادث ومقدار الجرائم والاعتقالات وفض الاجتماعات غير القانونية ٠

ويتوقف الكثير على ما يتمتع به الجاويش رئيس الفرقة من مقدرة وسرعة بديهة وعلى الاهتمام الذى يبديه مفتش الدورية ٠ فاذا كان مستواه عاليا فان نظام الفرقة سيكون أفضل بغير شك من النظام القديم لأنه يبعث فى أعضاء الفرقة اهتماما جديدا فى اظهار جماعتهم بمظهر التنافس مع الفرق الأخرى وهو يسمح للجاويش أن يتصرف برجال فرقته وأن يقدر كفايتهم عن كثب وأن يستخدمهم مرة هنا ومرة هناك على حسب مقتضيات الأحوال وأن يستغل عنصر المفاجأة وهو عنصر له قيمته فى أعمال البوليس كما أن له قيمته فى أعمال الحرب ولذا قررت أن يمتد المشروع من الأقسام الأربعة الفرعية الى أجزاء أخرى من لندن ولو أن احتفالات التتويج حالت دون تنفيذ ذلك عاجلا ، الا أن الخطط كانت معدة للعمل بها عندما تركت العمل ٠

ومثل هذا التوفير فى عدد رجال البوليس لا يسد الا فراغا قليلا من أولئك الألوف من الرجال الذين يحتاج اليهم ٠ فلما ووجهت بهذه الحقيقة المرة صممت على أن أنهج منهاج بعض قوات الاقاليم ٠ وأن أنشىء

قوة من طلبة البوليس يأمل أن ما أصاب نجاحا كبيرا خارج لندن قد يصيب نجاحا فيها وبمجرد أن أعلن عن هذا المشروع أغرقتنا الطلبات بكثرتها من طراز طيب من الشباب فاخترنا مائة وسبعين طلبا من بين أكثر من ثلاثة آلاف ٠

وطلبة البوليس تتراوح أعمارهم بين ١٦ و ١٧ سنة وغرضهم أن يظلوا بهذه القوة الى أن يستدعوا للتجنيد فى سن ١٨٫٥ ورواتبهم تتراوح بين ٤ بنس ٦٥ شلن ، ١١ بنس ٧٦ شلن أسبوعيا على حسب السن ويزودون بالملابس الرسمية ٠

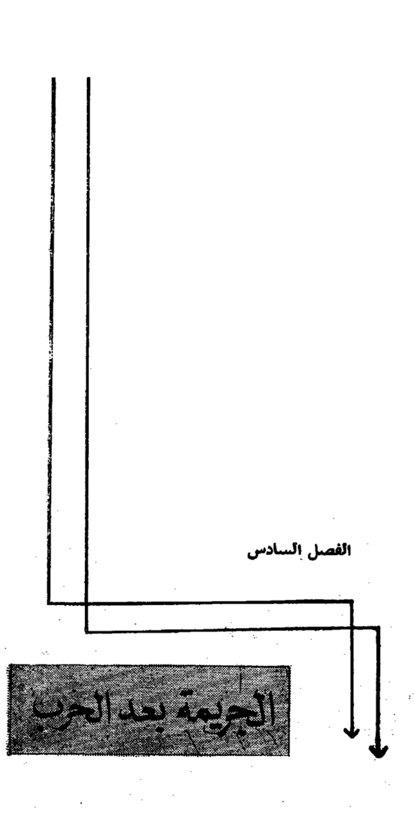
وبعد قضاء شهر فى مدرسة التدريب البوليسى تعين أماكن عملهم فى قسم أو فى فرقة أو فى المركز الرئيسى ٠ فمن كان يعيش بلندن فهو يظل عادة يعيش فى منزله أما القادمون من المديريات فيسكنون بسكن البوليس أسوة بالعزاب من رجال البوليس ٠

وهم يخففون عبء رجال البوليس الاعتياديين بقيامهم بأعمال الروتين وبمراقبة مرور التلاميذ فى الطرقات والكتابة على الآلة الكاتبة وأعمال التليفون وكان عدد الطلاب ٢٥٠ طالبا فى يوم التتويج ونيط بهم العمل فى منطقة الاحتفال بالتتويج فى ذلك اليوم ٠ وقام سبعون منهم بعمل طيب بايصال رسائل للصحف ولشريط الاخبار وشركات التلفزيون اللاتى يجب أن تخرج صورهم الفوتوغرافية من وسط المنطقة المزدحمة بالناس لتلحق طبعات الصحف فى (فليت ستريت) أو لتصديرها بالطائرة فى بعض الأحيان الى أمريكا وأوربا ٠

كذلك أدى الطلبة الضباط الأعمال المنوطة بهم فى ظروف أشد قسوة فأحدهم وعمره ١٧ عاما كان يعمل باسكتلنديارد فى أحد الأيام فشاهد معركة فى (هاى مركت) ففرق بين المتنازعين الى أن وصل ضابط نظامى ٠ وصبى آخر فى نفس السن واسمه (اسبرو هوك) أى (صقر العصافير) وهو اسم على مسمى وكان له من يقظته أنه شاهد فتاتين كانت أوصافهما قد سبق نشرها على أنهما مطلوبتان للعدالة فتعقبهما الى أن التقى بأحد الكونستابلات وألقى القبض عليهما ٠

وكان عدد الطلبة الضباط فى بداية الأمر قليلا لأن العمل الذى كان يمكن أن يسند اليهم محدود ولا يحقق غرضنا لو أننا شغلنا أوقاتهم جزئيا ٠ غير أن التجربة أوجدت أنواعا أخرى من الأعمال فقررت بموافقة الجميع أن أزيد العدد الى ثلثمائة ٠

ولم نشرع فى انشاء قوة الطلبة الضباط لكى نستفيد منهم فورا ٠ انما كان الأمل ان الطلبة بعـــد أن يلموا بالعمل داخل الكلية يهتمون به حتى اذا ما قضوا مدة التجنيد الالزامى عادوا الى وظائف كونســـتابلات نظاميين ٠ ومن سبق القول أن نقرر مدى ما تم من هذا ولكن استرشدنا بتجارب القوات الاخرى لتوقعنا أن يعودوا الينا زرافات وبودنا ألايستدعى أبدا الطالب الضابط للاشتراك فى أعمال القوات المسلحة وانما يسمح له بأن يلتحق فى البوليس بوظيفة كونستابل اذا بلغ التاسعة عشرة فيؤدى حينئذ خدمته الالزامية غير أن ادارات التجنيد لم توافق على ذلك خشية أن تلجأ جهات أخرى الى مثل هـــذا الطلب وانى أعتقد عموما أنه خير للطالب أن يغادر البلاد فى خدمة القوات المسلحة ٠ ففى ذلك توســـيع لخبرته قبل الاستقرار فى أعمال البوليس ٠



الفصل السادس

الجريمة بعد الحرب

أسباب ازدياد الجريمة بعـــد الحرب • مســـئولية الهاربين من الخدمة • الفدائيون ــ الشذوذ الجنسى ــ جرائم العنف مبالغ فيها ــ كراهية البوليس ــ القيود التافهـــة ــ المقامرة ــ مراهنات الطريق ــ النســـاء فى قوة البوليس ــ البغاء ــ اقتراح ســـلطات لنفى غير المرغوب فيهم من رعايا الكومنولث •

***

كانت أولى تعاليم السير ريتشارد ما بين لرجال بوليس مدينة لندن الجدد قوله • ان اختفاء الجريمة هو أصدق دليل على كفاية رجال البوليس • واذا اتخذنا ما تقدم مقياســـا عليه فان قوات بوليس العاصـــمة وأية قوات أخرى بالمملكة لا تستطيع أن تحظى الا بقليل من الرضى نتيجة لاحصاءات الجرائم التى وقعت فى السنوات التى تلت الحرب • ولكن فحص أسباب الجرائم واحصاءاتهـــا منذ سنة ١٩٤٥ ليس مهما بلغت أرقام الاحصاءات دليلا على نقص فى مهـــارة أو نشاط قوات قليلة العدد بعد أن واجهت بشـــجاعة وبراعة أعمالا يكاد يكون من المستحيل تأديتها •

يقال دائما ان زيادة الجرائم نتيجة حتمية لكل حرب كبيرة • وأيدت التجربة عقب الحرب العالمية صحة هذا القول وما جرته من خراب ولم يكن البوليس واهمـــا فى تقديره المشاكل التى سيكافحها •

لم تكن الحرب يوما لتولد روح احترام حياة للافراد ولما يملكون • وحرب غايتهـــا الافناء كالحرب الاخيرة اضطرت الحكومات الى أن تحد من حريات الافراد وحقوق التملك فمن غير المعقول أن تكون الحروب مدرسة يتوقع الانسان منها أن يسود الناس احترام القوانين وتزدهر فيها حقوق الغير •

وقد جلبت الحرب أيضـــا قيودا متعددة وهى وان كانت ضرورة المجهود الحربية لم تكن كذلك للرجل الذى يشعر بأنه لم يقابل هذهالقيود بنفس الشعور النفسانى الذى كانت تحمله الجريمة فى معناها القديم وبذا نشأ الاستهتار بالقوانين وعم حتى امتد تدريجيا الى دائرة واســعة المدى .

ان الحرب نفسها أتخذت شـــكلا غير معروف حتى اليوم فألوف من الناس انتزعوا من بيئتهم المألوفة وأجليت النساء والأطفال والشـــيوخ مرتين أو ثلاث مرات أو أكثر وأسكنوا فى أماكن غريبة عليهم وبين أناس جدد بطرق غير مألوفة وقاسى الأطفال من ذلك بنوع خاص وحرم مئات الألوف من الشعور بالاستقرار والطمأنينة ـ هذا الشعور اللازم لتنمية عقل الطفل . وبعد الحرب لم يكن ليثير الدهشـــة أن يوجد بين هؤلاء الصغار الذينبلغوا دور المراهقة نسبةكبيرة من المجرمين المقدمين للمحاكمة.

وبغض النظر عن الآثار الأدبية والاجتماعية فان نظام الاظلام (عدم الاضاءة) وأعمال التخريب المادية الناشئة عن الغارات الجوية تضافرت لتلقى بين الشبان وسائل اغراء غير معروفة فألوف الأبواب والنوافذ التى لم تمتد اليها يد الاصلاح الا جزئيا هيأت فرصة عجيبة للخطف والسرقة . وحينما كان يقبض على المجرمين الأحداث كان على مصـــلحة الاختبار والمدارس المعتمدة ومعاهد بورستال أن تعالج شئون هؤلاء الأحداث بعدد قليل من الموظفين اللازمين لأنهم أعطوا كثيرا من خيرة شـــبانهم للقوات المحاربة فكان الباقون يعانون ألما نفسانيا من أنهم غير قادرين علىمعالجة هذا العدد الوفير من الصغار الذين انيط بهم أمرهم .

وســـاد الظن أحيانا أن تدريب ملايين الشـــبان على أعمال الحرب كان فى حد ذاته ســـببا يؤدى بهم الى اســـتخدام العنف اذا ما عادوا الى حياتهم المدنية وكان يعزى الى تدريب الفدائيين وحده دون سواه هذا الخلق ولكنى لم أجد لهذا الزعم أساسا من الحقيقة .

فالفدائيون يدربون فى الواقع الى درجة كبيرة من التنظيم النفسى . والاعتماد على أنفسهم مستهدفين غرضـــا مظلما فهموه وقبلوه . ولكن لا هم ولا أعضاء القـــوات المسلحة الآخرون قدموا سببا جوهريا لتبرير هذه التهمة الباطلة ولا تنس أنهم يمثلون جزءا كبيرا من شبابنا وشاباتنا ولم يجد البوليس فيما مر به من تجارب ما يؤيدها غير أنه اذا لم يكن من العدل أن تحمل القوات المســـلحة المسئولية عن زيادة جرائم العنف فليس يصح هذا بالنسبة لجرائم الخيانة .

ان الحرب بطبيعتهـــا مدعاة للاسراف والذين خاضوا غمارها كانوا يشعرون دائما بتحللهم الى حد ما من روح الاحترام للملكية فهم يأخذون كل ما احتاجوا اليه على أنه ربح أو عثور على لقيا ولكن واقع الأمر لا يعدو اللصوصية ٠ وقد أتى بعضهم لسوء الحظ بعادات اكتسبوها ابان الحرب الى الحياة المدنية عندما عادوا اليها فليس عجيبا اذن أن ترتفع الجريمة بعد الحرب فتبلغ مستوى جديدا عاليا ٠

وثم طائفة أخرى يعزى اليهـا سبب زيادة الجرائم بعد الحرب وهى طائفة الهاربين من الحرب فقد بلغ عددهم عدة ألوف ولا شك أن بعضهم وجد من العسير عليه أن يستقر هـــادئا فى حياة مدنية مع مضى الزمن وبدون بطاقة تموين ولا بطاقة تحقيق الشخصية وقد أصبحتا من لوازم الحياة الحديثة ٠ وجد هؤلاء أن من العسير عليهم أن يجدوا عملا يرتزقون منه بطريق معتاد فلجئوا الى الجريمة كحل مؤقت لمشاكلهم ٠

غير أنه قد بولغ كثيرا فى احصاءات الجرائم المنســـوبة اليهم فان المجرم الخطير لا يجد الا صعوبات قليلة فى تزويد نفسه بكل ما يحتاج اليه من مستندات بيد أن قسطا وافرا من جرائم بعد الحرب اقترفتها فتية تقل أعمارهم عن سن الاقتراع ولم يكونوا هاربين من الجندية ٠

والجريمة فى القانون الانكليزى تنقسم الى شعبتين رئيسيتين ٠

١ ــ جرائم قابلة لاقامة الدعوى ٠

٢ ــ جرائم غير قابلة لاقامة الدعوى ٠

وتشمل الأولى جميع الجرائم الخطيرة التى تنظرها المحاكم بنـــاء على اقامة الدعوى أى أمام قاض ومحكمين ، اما فى دورات موسمية أو أمام محكمة الجنايات ٠ وهى لا تنظر دائما على هـــذا الوضـع لأن كثيرا من المتهمين يرغبون فى أن تتم محاكمتهم أمام القضاء المســـتعجل أى أمام قاض معين أو أمام هيئة من القضاة ٠ غير أن هذه الجرائم مهما اختلف نوع المحكمة التى تنظرها فانها تدخل فى عداد الجرائم الصالحة لاقامة الدعوى فيها وهى تبدأ من سرقة ستة بنســـات الى جريمة القتل ٠ أما الجرائم الأخرى فتنظر كلها أمام محكمة مستعجلة وتشمل من الجرائم ما يماثل جريمة السكر ومخالفة القرارات أو اللوائح الحكومية وجرائم المرور الصغرى وعلى العموم فهى أقل خطورة وأقل شـــناعة من الجرائم الصالحة لاقامة الدعوى فيهـــا وكثـيرا ما تنم عن الاهمال بل على سوء

الحظ أكثر من النية الاجرامية ولو أن جريمة كجريمة القيادة الخطرة للسيارات يصعب حسبانها من هذا الطراز ٠

وبناء على ما تقدم فان احصاءات الجرائم الصالحة لاقامة الدعوى فيها تمثل رقما قياسيا لحالة الجريمة وهذه الارقام هي ما نشير اليه كلما تكلمنا فى هذا الصدد ٠

وأرقام الاحصاء الصالحة للمقارنة لا ترجع الى ما قبل سنة ١٩٣٣ عندما أدخل لورد ترنشارد نظاما جديدا لاحصاء الجريمة وكان هذا النظام يقضى بتسجيل كل جريمة بلغ عنها الا اذا دلت التحريات صراحة على أن البلاغ غير حقيقى وأنه كيدى وقبل هذا التاريخ كانت البلاغات التى لا تتوافر فيها الأدلة تشطب من السجلات بناء على رأى الضابط الرئيسى فى المنطقة وترتب على هذا أن أسلوب الاحصاءات لم يكن موحدا كما كان هناك اغراء حقيقى يدفع الضابط الرئيسى لحذف القضايا المشكوك فيها مخافة أن يتضخم سجل نقطته الخاص بالجرائم المجهولة الفاعل ٠

ونتيجة القاعدة المعمول بها الآن قد تؤدى الى أن يشمل الاحصاء حالات ليس فيها فى الواقع أية جريمة وهـــذا خطأ ستنجلى حقيقته مع مرور الزمن ٠

ان غالبية الجرائم هى ما تقترف ضد الملكية سواء بالســـطو أو السرقة وقد زادت بأكثر من ١٥٪ فى سنة ١٩٣٨ والسرقة يصعب منعها أو اكتشافها فورا ولكن حوادث السطو تختلف عنها كل الاختلاف ولذا تنال قسطا خاصا من العناية ولسوء الحظ كان النقص فى عدد الرجال يحول بين رجال الأمن وبين السيطرة عليها فى كل مكان ولو أن عربات اللاسلكى عوضت الى حد كبير هذا العجز فاذا وصل ركب احدى السيارات بسرعة فقد يعتقل اللصوص قبل ارتكاب الجريمة أو متلبسين بها ٠ وحتى لو أخفق فى هذا فان التعجيل بالحصول على أوصافهم وأوصـــاف سيارتهم كثيرا ما يؤدى الى اعتقالهم عند تفتيش المنطقة المحيطة بهم وفى كلتا الحالتين فان القبض العـــاجل يوفر جميع الوقت الذى يضـــيع فى التحقيق بعد وقوع الجريمة ٠

ويعمل احصاء دقيق بالأوقات التى تقع فيها حوادث السطو وتسجل أماكن السطو بشكل واضح فى غرفة الخرائط وهى خرائط كبيرة الحجم تبين أقسام البوليس بالعاصمة ٠ ووضع أعلام برتقالية اللون على خريطة ضاحية ما تدل لأول وهلة على وجوب اعطاء عناية خاصة لهذه الضـــاحية بوساطة الدركات والدوريات وسيارات اللاسلكى والفرقة الطائرة اذا

استدعى الأمر ذلك • ولقد ساعدت كذلك الكلاب البوليسية بشـــكل متواضع فى معالجة هذا النوع من الجرائم واذا ما زاد عددها واتســـع استخدامها فيزيد بغير شك نصيبها فى المكافحة •

ولو أن جهود البوليس فى معالجة هذا النوع المزعج من الجريمة لم تنل ما تصبو اليه من نجاح فلقد خففت أكثر مما كان منتظرا فى هذه الظروف فمن سنة ١٩٤٩ تمكن البوليس من ازاحة الستار عن أكثر من ٢٥٪ فى حين كانت النسبة فى السنوات من ١٩٣٣ الى ١٩٣٨ هى ١٩٪ وقد كانت القوات حينذاك كاملة العدد وبهذا تكون المقارنة فى مصلحة قوات بوليس ما بعد الحرب وتبين أن الاجراءات التى اتخذت لتحسين وسائل النقل والمواصلات والعلاقات العامة للقوات الحديثة ساهمت الى حد ما فى التخفيف من أثر النقص فى عدد أفراد القوة •

تستدعى الجرائم ضد المال (الملكية) عملا بوليسيا أكبر وتثير مشاكل أكثر صعوبة من الجرائم ضد الأفراد ولكنهـا قلما تبلغ هـذه الدرجة فى اثارة الشعور ولذلك لا يهتم بها الا ضحاياها البائسون •

والجرائم ضد الأفراد ــ وهى جزء ضئيل من جملة جرائم السنة ــ لا تبلغ من حيث العـــدد الا نحو ٥ر٥٪ من عدد الجرائم ضـــد الملكية ولكنها منذ الحرب زادت بنفس النســـبة تقريبا وليست الزيادة فى حوادث القتل أو الشروع فيه أو التهـــديد بالقتل ولكنها فى حوادث الجروح والجرائم الجنسية • فالاصابات بالجروح تنشـــأ عادة من معارك صغيرة أو خلافات عائلية وفى كثير من الحالات لا تكون الاصابات خطيرة ولكن عددها قد زاد عما قبل الحرب بنسبة ثلاثين أو أربعين فى المائة •

وزادت الجرائم الجنسية زيادة خطيرة شديدة الجسامة فلم تقتصر الزيادة على جرائم التعدى على النسوة • ولكن الجريمة غير الطبيعية بين الذكور زادت بأكثر من ثلاثة أضـــعاف ما كانت عليه قبل الحرب وأن ارتفاع العدد من ٢٢٤ حالة شذوذ جنسى فى سـنة ١٩٣٨ الى ٧٣٦ فى سنة ١٩٥١ لا يرجع الى عدم نشاط البوليس وليس من شك أن هـذه الجرائم اتسع نطاقهـــا أكثر مما تدل عليه الارقام لان البوليس منـــذ سنوات عدة قصر تدخله على حوادث الفعل الفاضح أو فســـاد الفتيان والشبان •

ان قسما كبيرا من الأهالى أصبح لا ينظر الى هذه الجرائم بعين التأفف كما كان الحال فى الماضى وهذه احدى نواحى المشكلة وليس ذلك فريدا فى نوعه فى بلادنا بل مثل هذا أو أسوأ منه منتشر فى كثير من

البلدان الأخرى ولو أنه لا يتيسر عند المقارنة بيننا وبينهم لسببين. اما لأن الشذوذ الجنسي لا يعد جريمة جنائية واما لاختلاف القوانين .

ومن الصعب تحديد أسباب هذه الزيادة فهي تماشي التراخي العام في المبادىء التي تتطلبها حسن العلاقات الجنسية ولكنا في حاجة الى أكثر من ذلك لنبين الزيادة الخطيرة في أسباب حوادث المفسدين .

ان العجز عن مواجهة مطالب الحياة الحديثة . ونشدان اللذة والتسلية والأرباح المادية يتوالى ظهورها الفينة بعد الفينة في تاريخ المجرمين فبالنسبة لبعضهم قد يكون الالتجاء الى طبيب نفساني علاجا كما دلت التجربة التي أجريت في مدينة (ورموورد سكوب) قبل الحرب الا أن نسبة الحالات التي يمكن علاجها بهذه الطريقة ضئيلة جدا والمشكلة يعوزها الحل العاجل أو الميسور .

ومشكلة (الوست اند) مشكلة عرضية تستدعي دوريات ليلية منتظمة يقظة لكل ما يريب وبخاصة حول الأماكن العامة وهذا عمل غير سار ولا يحبه أحد ، والدوريات التي لا يلحق بها أحد الكونستابلات الصغار أو قليلو التجربة تتغير كل ثلاثة أشهر وهم يقومون بالدوريات كل اثنين معا ليتوفر بذلك في كل وقت وجود شاهد من الضباط أما كبير المفتشين الذي يتولى الرياسة فيغير أيضا بين وقت وآخر حتى ينتفي احتمال تعرفه بمن يعملون في هذا الحي أو يمارسون أنواعا أخرى من الرذيلة ويتعرضون لما يقدم لهم من مغريات .

ويوجه البوليس نشاطه على وجه الخصوص الى منع اغراء الشبان ولا سيما المجندون في الجيش في سن ١٨ر٥ . وبين اسكتلنديارد والسلطات الحربية اتصال وثيق في هذا الشأن .

يضاف الى الجرائم ضد الأفراد جرائم السرقة بالاكراه ولو أن الاحصاء الجنائي يدرجها بين الجرائم ضد الملكية وقد زاد هذا النوع من الجرائم منذ الحرب زيادة كبيرة وبلغ القمة في سنة ١٩٤٨ اذ كان عدد الحوادث ٣٧٣ حادثا أي أكثر من ثلاثة أضعاف متوسط ما وقع منها خلال السنوات الخمس السابقة على الحرب . وبعد عام ١٩٤٣ أخذ العدد يهبط بالتوالي حتى بلغ ٢١٤ في سنة ١٩٥١ ثم ارتفع ثانيا في سنة ١٩٥٢ الى ٢٩٨ .

تستدعي السرقة بالاكراه الى دعاية كبيرة في الصحف وأن الغريب اذا طالع ما تكتبه الصحف عنها فيحق له أن يعتقد أن الجنايات

بلندن لا تفترق عما يقرأه عن القصص المثيرة لرعاة البقر فى أمريكا والواقع أن فى كل من الخمس السنوات الأخيرة حدث أقل من ثلثمائة جريمة سرقة من هذا النوع فى جميع أقسام بوليس العاصمة ولم نستخدم أسلحة ما فيما يقرب من سبعين فى المائة منها واعتمد السارق على استخدام قبضة يده ٠

كثيرا ما تناولت الكتابة والأحاديث هذا الموضوع فأصبح من الجدير بالذكر مقارنة الأرقام هنا مثلا بأرقام جرائم الولايات المتحدة التى نشرها المكتب الاتحادى للمباحث الجنائية فى الستة الأشهر الأولى من سنة ١٩٣٥ فقد كانت ضحايا القتلة ٦٤٧٠ وأكثر من ٥٤٠٠٠ اعتدى على أعراضهم أو شرع فى قتلهم و ٢٩٠٠٠ هاجمهم لصوص يحملون البنادق أو أسلحة أخرى أو يستخدمون القوة ويبلغ عدد سكان الولايات المتحدة نحو عشرين ضعفا لعدد سكان مدينة لندن ولو قسمت هذه الأرقام على عشرين لكان نصيبنا غاية فى التواضع ولا أعنى بهذا التهوين من شأن هذه المشكلة بل أقصد أن أظهر النسبة الحقيقية ٠

أسلفت القول بأن الجرائم التى تحركها النيابة العامة تكاد تشمل جميع الجرائم الخطيرة التى تقع تحت طائلة القانون ولكنها تمثل نسبة صغيرة من الجرائم التى تنظر أمام المحاكم ، ومن بين الذين يلقى بوليس العاصمة القبض عليهم نحو الثلثين منهم متهمون بجرائم لا تقام فيها الدعوى فى حين يعلن للحضور أمام القضاء مائة ألف آخرون بناء على طلب البوليس لسؤالهم عن هذه الجرائم الصغيرة وعدد هذه الاعلانات تضخم كثيرا خلال الحرب وبعدها مباشرة بالمخالفات التى ارتكبت ضد لوائح زمن الحرب وقد لقى الاختفاء التدريجي لهذه اللوائح ترحيبا كبيرا من رجال البوليس لأنه تركهم أحرارا لتركيز اهتمامهم على الجرائم الجدية الخطر كذلك دلت التجارب على أن قانونا لا يلزم الناس احترامه خليق بأن يفقد سائر القوانين بصفة عامة احترامهم لها ، وفى مجتمع رفيع كمجتمعنا لابد من وضع لوائح ترعى المصلحة العامة ٠ غير أن التجارب العملية تجعل ضابط البوليس يتفق مع هؤلاء الذين يرون لأسباب أخرى وجوب الاقلال ما أمكن من هذه اللوائح وعدم الاحتفاظ بشيء منها الا بالقدر الذى تدعو اليه الضرورة صراحة ٠ وكثير من رجال البوليس يذهبون الى أكثر من هذا الحد ويقولون انه مالم تنفذ اللوائح الجديدة تنفيذا كاملا فمن الخير ألا تصدر ، ومن وجهات نظر البوليس يصبح القانون الذى لا ينفذ لعنة أو هرطقة سواء كان عدم التنفيذ مرجعه سوء فهم القانون أو سوء صيغته أو نشوء عدد كبير من الجرائم يستحيل الاحاطة بها ٠

وعلى النقيض لما يعتقده الناس · قلما يكون الايعاز باصدار لوائح اضافية صادرا عن البوليس الذى يتفق فى هذا الموضوع وفى كثير من المسائل اتفاقا كبيرا مع ما يراه رجل الشـــارع أكثر من اتفاق المشرع مع رجل الشارع فأحد أعمال البوليس غير المجزية والتى تجلب لهم كثـيرا من المتاعب هو تنفيذ القانون الخاص بالمراهنة والمقامرة فلن تجد فى أى ميدان آخر قانونا كهذا القانون يعوزه ويسوده الاضطراب والسخف فهو عبارة عن عملية ترقيع من جزازات ونتف بعضها حديث وبعضهـــا بال بلغ من العمر أرذله · وهو يضم فى خليط غير متجانس مواد تصـــور خوف أفاضل الناس من الشر وشغف الرياضيين بالمتعة البريئة ·

وقد أضيف الى كتلة التشاريع المضـــطربة سلسلة من الأحكام القضائية نجحت فى أن زادت الفوضى سوءا ، ولا يوجد ما يســـتدعى تطهيرا كاملا كهذه الحالة الا أن الحكومات واحدة بعد أخرى خشيت الاقدام عليه وتركت هذا الواجب لمن يخلفها ومع ذلك فالمتوقع من البوليس هو تنفيذ القانون وان كان لا يؤمن به ، لأن القانون لا ينير الطريق أمامهم وعليهم أن يوجهوا أنفسهم وأن يفرضوا على القانون تفسيراتهم الشخصية له وبهذه الطريقة يكونون قد بذلوا ما يستطيعون لتنفيذ القانون بأحسن ما تمليه عليهم قواعد الذوق الســليم ونصروا عنايتهم على أنواع المقامرة التى تسىء الى الجمهور أو التى يمارسها بالربح أناس أذكياء لا ضـــمائر لهم على حساب الضحايا الأبرياء ·

وعند أداء شـــهادتى أمام اللجنة المؤلفة لبحث موضـــوع القمار واليانصيب اقترحت أن يعدل القانون ليكون عمليا فلا يعتبر القمـــار محرما الا اذا اتضح أنه يمارس كتجارة يستفيد منها صاحبه ربحا ماليا وقد قبلت اللجنة المشار اليها هذا الرأى وضمنته مقترحاتها فاذا صـــدر به تشريع لأنقذنا من موقفنا الحالى الذى يجافى المنطق · هذا الموقف الذى يجعل لعبة بريئة من لعب البوكر فى النادى عملا غير مشروع وبذا نتفرغ الى دائرة أقل اتساعا يكون فيها تهديد حقيقى للمصلحة العامة ·

وفى الوقت الحاضر تخضع دور القمار لأحكام البند السادس من قانون القمار الصـــادر فى سنة ١٨٤٥ والذى يخول حكمدار البوليس بناء على طلب كبير مراقبى البوليس سلطة اصدار أمر يخول لضـــباط البوليس المذكورين فيه حق دخول دور القمار وأن يستولوا على ما بهـــا من أموال المقامرة وأدواتها وأن يعتقلوا الأشخاص الموجودين بها ·

وقبل اصدار هذا الأمر يجب على مراقب البوليس أن يقتنع بأن

القمار دائر فى الدار ويكون ذلك عادة بمراقبة رجال البوليس له لأنه يتعذر عادة دخولها فى حين يكون اللعب جاريا • فاذا ما تسلح رجال البوليس بهذا الأمر اقتحموا المكان وغالبا يختفى الشخص المسئول عن المخالفة واذا ما أدين مدير الدار قام المالك الحقيقى بدفع قيمة الغرامات ويستبدل بالمدير مدير آخر • وبعد فترة من الزمن قد تطول أو تقصر يستأنف العمل من جديد • وبعض دور القمار أغار عليها البوليس أربع مرات أو خمسا فى أشهر قليلة • الا أن الارباح كانت من الكبر بحيث جعلت أصحابها لا يبالون بدفع الغرامة ثم يظلون يباشرون عملهم •

غير أن مدى هذا البلاء كثيرا ما يغالى فيه لأنه يكاد يكون مقصورا على محال الطبقة الدنيا فى الوستاند والايست اند وأغلب اللاعبين هم قبرصيون أو مالطيون أو من الشعوب الملونة • وفى بعض الأحيان تصبح شهرة بعض دور القمار فى الضواحى معروفة فتتخذ الاجراءات ضدها ولكنها حالات قليلة •

والمراهنة فى الشوارع مشكلة أشد خطورة والقانون هنا مثله كمثل قانون المقامرة كلاهما غير منطقى بل يزيد عليه سوءا بأن يزود الشكوى بمادة أخرى هى أنه يوجد قانونان أحدهما للغنى والآخر للفقير ولكل شخص أن يراهن بالنقد على سباق الخيل • أو يراهن بالنسيئة فى مكاتب الرهان ولكن لا يجوز أن يتوجه الى هذا المكتب ليقوم بالدفع ولا أن يراهن بالشارع •

ومراهنات الشارع كثيرة جدا وتستنفد قسطا كبيرا من وقت البوليس وهو لا ينجح الا فى القليل من هذه الحوادث لأن الفاعلين الأصليين قلما يقبض عليهم والغرامات التى تفرض على من يديرون العمل ووكلائهم يعدونها فى حكم مصاريف الادارة وبذا لايستطيع أن يعمل أكثر من أن يحد من مزاولة هذه المراهنة •

والجانب الآخر الخطير لهذه العملية هو الحقيقة المرة من أن ضباط البوليس قد يرشون من وقت لآخر وان كان عددهم قليلا واذا ماضبطوا عوملوا بشدة غير أن أصحاب دور المراهنات لا يفتئون يدعون أنهم يدفعون الرشاوى للبوليس حتى يتمتع مديرو أعمالهم بحرية العمل وهذه الادعاءات من اليسير قولها وان كان من العسير تنفيذها وتستغرق التحريات وقتا طويلا وحتى اذا كانت الادعاءات باطلة فانها تلوث سمعة البوليس مع أنه لم يثبت أكثر من اثنين أو ثلاث من دعاوى الرشوة خلال عام بين جميع أقسام البوليس أثناء مدة رياستى عليها •

ولحل هذه المشكلة ــ مشكلة مراهنة الشوارع ــ اقترحت على اللجنة الملكية أن تسجل أسماء أصحاب مكاتب المراهنات وأن تصرف رخص مكاتب الرهان وقد دل هذا النظام على صلاحيته فى ارلندا ، وأيدت اللجنة هذا الاقتراح فهو يبسط عمل البوليس ويتيح القانون تنفيذا صحيحا · ولا شك أن هذا الاقتراح سيلقى معارضة · غير أن هذه المعارضة سيكون من الصعب تبريرها بسبب أن قسطا كبيرا من المقامرة على كرة القدم وسباق الكلاب لا يزال فى حمى القانون ·

لا تثير أعمال اليانصيب مشاكل مهمة · فقد نجح البوليس فى حصر اليانصيب غير المشروع فى نطاق ضيق جدا · وقد أباح قانون سنة ١٩٣٤ اليانصيب الصغير الخاص ·

ولكثير من رجال البوليس نظرة خاصة مستقلة الى القمار فاذا كانت البلاد بوساطة برلمانها ترغب فى اباحة أنواع معينة منه أو تحرم أنواعا أخرى · فرجال البوليس مستعدون لبذل قصارى جهدهم لتنفيذ ما تقصد اليه اللجنة التشريعية الا أنهم يطلبون أن يكون الفارق بين النوعين قائما على أساس واضح مفهوم والا يطالبوا بتنفيذ قوانين يرى عـــدد كبير من الأهلين أنها مدعاة للسخرية وانها غير عادلة فضلا على أنها لا تلقى تأييدا من الرأى العام ·

وثم واجب آخر صعب وغير سار ·· ذلك هو تنفيذ القانون الخاص بالدعارة والتحريض على الفسق · وهنا يتبين مرة أخرى أن القانون غير عادل ولكنه فى كل محاولة تبدو لاصلاحه نجد معارضة كبيرة حتى ان الحكومات لا تود أن تحترق بنار هـــذه المحاولة وكثيرا ما يوجه اللوم الى البوليس لتقاعده عن اتخاذ الاجراءات اللازمة وليس البغاء فى ذاته جريمة ولكن العيب عيب القانون ·

وليس فى قوة القـــانون الحالى أن يلغى البغاء مهما اشتدت وطأة التنفيذ · ويتفق معى كل ضابط بوليس بأنه من المشكوك فيه أن يتصور وجود قانون يؤدى الى ذلك الغرض ومع ذلك فالبوليس ما زال يقوم بدور (مسز بارنتجنون) التى تبحث عن مكنسة تكنس بهـــا المحيط الأطلسى وصفوف البنات والنســـاء تتوالى يوما بعد يوم على المحاكم وهن يدفعن الغرامات التى أصبحت قيمتها غير متناسبة بسبب هبوط قيمة العملة ثم بعد ذلك يذرعن الشوارع جيئة وذهابا ·

ولكن اذا كان تنفيذ القـــانون الجنائى فى هذا الصدد غير مرض فالعكس يمكن ان يقال فى الاجراءات الواقية لمنع الجريمة بوساطة رجال

البوليس ولا سيما البوليس النسائى فواجبهن البحث عن البنات والفتيات المهددات أخلاقيا وبتصرفهن الحازم والممزوج بالعطف أصبحن الوسيلة لانقاذ عدد كبير منهن فى كل عام من حياة الدعارة واعادتهن الى آبائهن أو ردهن الى الحياة الكريمة ٠

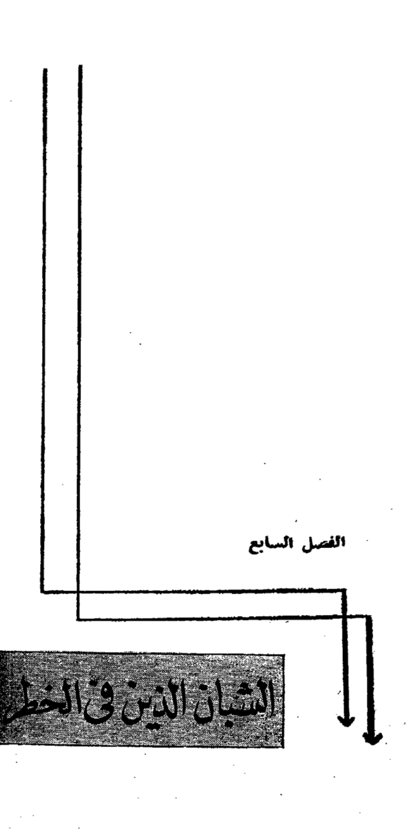
ويلقى قانون الأجانب عبئا كبيرا على عاتق رجال البوليس اذ يبلغ عدد المسجلين منهم فى دائرة اختصاص بوليس العاصمة ١٢٠٫٠٠٠ وأغلبهم من البولنديين والروس والألمان والايطاليين وفى كل عام يصـــدر وزير الداخلية أوامره بنفى عدد يتراوح بين المائة والمائتين من المملكة المتحدة وتنفيذ هذا يستلزم من ضباط بوليس العاصمة أن يقطعوا آلاف الأميال فى رحلات داخل المملكة المتحدة ٠ وفى كثير من دول أوربا ٠

كثيرا ما يظن أن الجرائم فى جملتها سببها الأجانب ولكنى أخشى أن يكون مبعث هذا الظن رغبة تمليها الأمانى ليس الا ٠ وأن معظم مجرمينا نشئوا فى بلادنا ويجب أن ينظر فى أمرهم هنا ٠ وقد تقدمت أكثر من مرة باقتراح لتعديل القانون حتى يخولنا اعادة طبقات معينة من الرعايا البريطانيين الذين يعيثون فى الارض فسادا واعتادوا الجريمة الى بلادهم فالقبرصيون والمالطيون وباقى رعايا بريطانيا الملونين مسئولون عن نسبة كبيرة لا تتفق مع نسبة عددهم فى عدد كبير من الجرائم المتصلة بالقمار وكسب العيش الدنىء عن طريق المومسات لابيع المخدرات والخمور ٠ واذا أمكن ارسالهم الى بلادهم بعد ادانتهم فسوف يبدو تحسن واضـــح فى الاحياء التى يبذلون فيها نشاطهم ٠

والرأى السائد حتى الآن هو أن من المهم جدا الابقاء على المبدأ الذى يمنح أية رعية بريطانية مهما كانت ، جنسه أو لونه حق الحضور الى الوطن. كما يحلو للكثيرين منهم أن يصفوه مع أنهم لم تقع عيونهم عليه ٠

وانى أقدر القيمة السياسية من بقاء هـــذا المبدأ وأود ألا أقترح الخروج عليه ولكن اذا كان لا يقتصر حق كل جزء من الكومنولث على نفى الأجانب بل يتعداه الى نفى الرعايا البريطانيين الذين يخالفون القانون فكيف لا يكون لنا ولو سلطة محدودة جدا لاخراج غير المرغوب فى بقائهم ممن يخلون بواجب الضيافة مع بقاء الحق العـــام فى الدخول ٠٠ وهـــذه السلطة قد لا يلجأ الى استخدامها كثيرا وأن مجرد وجودها وسيلة للوقاية كما حدث أخيرا لأحد اخوان (مسيتا) الذى ثبت ادانته منذ أربع سنوات مضت فكان ذلك مانعا لباقى أعضاء الأسرة من الحضور الينا من مصر ودول البحر الأبيض حيث كانوا يعملون ٠

الفصل السابع



الشبان الذين فى الخطر

أســباب جريمة الأحداث ــ أثر الأسرة ــ حوادث توماس وهارى جنكنز ــ قتل اليك دانتيكس ــ معالجة المجرم العنيف ــ الشقيقان كريج وزميلهما بنتلى ــ اطلاق النار على كونســتابل البوليس ميلز ــ خطر اباحــة منح الترخيص بالأسلحة النارية ــ لماذا لا نسلح رجال البوليس ؟

***

من أشد ظواهر ما بعد الحرب انذارا بالتشاؤم تلك الزيادة المطردة فى الجرائم التى يرتكبها الشبان ولا سيما فتيأن السادسة عشرة والسابعة عشرة وقد كانوا أطفالا ابان الحرب ، وقليل منها ما كان ارتكابه مصحوبا بالعنف مما يجتذب كثيرا أنظار الجمهور حتما ٠

وتعزى أسباب كثيرة للأحداث الذين يقترفون جرائم العنف هذه ، وانى شخصيا أشك فى الأثر المعزو الى الكتب والأفلام المثيرة ، فالولد الاعتيادى يحب ما يثيره كما كنا نفرح ونحن فى مثل عمره بقراءة كتب القصص المخيفة التى تباع ببنس ٠٠ ! ولكننى أشك فى أن هذا الطفل ينقل مليا مايقرؤه أو يشاهده فى الفيلم فقد يقلد العرضى منها كمشية السكير أو طرق المباهاة للعصــابات الخرافية ولكن تأثير هذا فى النفس لا يكون أعمق غــورا من تقليدنا للهنــود الحمر والقراصنة ٠

وأعتقد أن كثيرا من الأولاد الذين يقعــون فى خطر ، كان لابد من وقوعهم فيه سواء قرءوا كتبا أو شاهدوا أفلاما أو لم يفعلوا هذا أو ذاك فأس البــلاء فى الواقع كامن فى الأسرة المتهدمة ويرجع اليها ســبب الاجرام فى كثــير من الحوادث فحياة هؤلاء الأطفال بعيدة عن الاستقرار فهم فى سن مبكر يشنون الغارة على المجتمع ٠ وهم يحاولون خلق دنيا

لأنفسهم بدلا من الحياة الاعتيادية المستقرة التى يجب أن يحياها كل طفل .

ومع أن حياة كل من « هارى جنكنز » الذى أطلق النار على « اليك دانتيكس » وحياة « كريستوفر كريج » الذى أطلق النار على كونستابل البوليس « ميلز » فى مدينة كرويدون والذى كان لكل منهما أخ يكبره فى جريمة من جرائم العنف واذا ضل أحد أفراد الأسرة فغالبا ما يتبعه آخرون .

وبدراسة جرائم الأحداث نشاهد أن اتجاه الأخ الاكبر أقوى مايكون تأثيرا فى أخلاق اخوته من أى شىء آخر .

لقد عاشت أسرة جنكنز فى حالة ضنك فى مدينة « برموندسى » وفى عام ١٩٤٥ ادين « توماس جنكنز » الأخ الأكبر لهارى جنكنز أحد المحكوم عليهم فى قضية قتل الكابتن « روبرت بنى » من البحرية الملكية الذى لقى حتفه على أثر توقيفه سيارة كانوا يقودونها فوق كبرى لندن بعد غارة خاطفة وتحطيم فى المدينة ، وقد أنشأ أحد أصدقائه مدالية «بنى» وهى تمنح كل عام الى من أدى من المدنيين أشجع عمل لتدعيم القانون والنظام فى منطقة بوليس مدينة لندن أو فى دائرة لندن .

وقد حكم على توماس جنكنز بالسجن ثمانى سنوات فى هذا الحادث وحينما أفرج عنه عاد الى ارتكاب الجريمة ، وفى سنة ١٩٥٣ اتهم فى حادث ربما أدى الى ادانته فى قتل ضابط بوليس .

ففى فبراير سنة ١٩٥٣ وصل الى علم البوليس أن لصوصا يعتزمون سرقة كاتب أجور عند عودته الى مصنع بمدينة « شاتهام بلاس هاكنى » ومعه نقود أحضرها من البنك ، ولكى يفسد البوليس خطتهم رأى أنه بعد أن يترك كاتب الأجور مبانى المصنع متجها الى البنك يجب أن يقف مدير المصنع بأحد النوافذ المطلة على الطريق لمراقبته ، وعندما يجمع الكاتب المال يسأل تلفونيا عما يفعل بعد ذلك فاذا كان المدير ارتاب فى شىء وجب عليه ابلاغ بوليس هاكنى حيث يتلقاها الضباط المعينون لمراقبة المصنع عن كثب .

وحوالى الرابعة مساء رأى المدير ثلاثة رجال عرفوا فيما بعد وهم : روبرت ساندرز ، وتوماس جنكنز ، وجون كراكنل يتلكأون حول « شاتهام بلاس » فأبلغ البوليس . وقبيل الخامسة تحدث الكاتب تليفونيا ليسأل عما يفعل فأجيب بأن يتجه الى المصنع ، ولما وقفت به

السيارة أمامه صعد المدير الى قمة السلالم الموصلة الى المصنع . وبصعود الكاتب الدرج تبعه أحد الرجال الثلاثة فصاح المدير وعندئذ وضع الرجل يده فى جاكتته من جانب صدره الأيسر فسرعان ما عاجله المدير بضربة من قضيب حديدى فجرى هاربا والمدير من خلفه يجرى ووراءه كذلك بعض العمال .

فى هذه اللحظة كان ثلاثة كونستابلات هم « سنتش » و «دورست» و « بولدوين » ، قد أبلغوا باشارة لاسلكية أثناء وجودهم بالدورية فى السيارة أن يتجهوا الى « شاتهام بلاس » . ولما وصلوا شاهدوا جنكنز وساندرز يجريان بعيدا فطاردوهما بالسيارة وعند مفترق الطريق اتجه جانكنز وساندرز اتجاها مخالفا له واستمر الضباط يقتفون آثارهما على الأقدام .

ولما صار سنتش على قيد خطوات من ساندرز أعلن أنه ضابط بوليس وأمره بالوقوف ولكن ساندرز صاح قائلا « اغرب عنى يا ابن الفاعلة ! والا أفرغت رصاصة فيك » وعندئذ أخرج مسدسا من جيبه وأطلقه وخر « سنتش » على ركبتيه ثم قام ثانية وحاذاه « دورست » واشتبك الضابط مع ساندرز الذى أطلق طلقتين أخريين ، وبعد معركة حامية جرد ساندرز من سلاحه ووجد أنه يحوى ثلاث رصاصات أطلقت وثلاث أخرى باقية للاستعمال ، وأصيب سنتش بجرح صغير فوق عينه اليمنى ، ووجد فى حزام معطف المطر ثقب من رصاصة ولم يصب دورست باصابة ما . وفى الوقت نفسه أمسك برلدوين بجنكنز وبعد معركة ألقى القبض عليه .

وكان ساندرز مثل جنكتر من المجرمين الخطيرين القساة وسبق له أن هرب من بضعة أسابيع سابقة من سجن واكفيلد حيث كان ينفذ عقوبة السجن المحكوم بها عليه وهى أربعة عشر عاما لحيازته سلاحا بقصد تعريض حياة الجمهور للخطر . وأما الرجل الثالث كراكنل فولى هاربا حتى ضبط أخيرا ، وفى ٣٠ من مارس سنة ١٩٥٣ قضت محكمة الجنايات المركزية بسجن كل من ساندرز مدى الحياة وجنكنز خمس سنوات وكراكنل ثلاث سنوات .

كانت الظروف المحيطة بقتل اليك دانتيكس فى ٢٩ من ابريل سنة ١٩٤٧ كتلك الضوضاء التى تحدث بالطريق العام ، وهى تلقى ضوءا على نوع الحياة التى تقع فيها مثل هذه الحوادث .

حوالى منتصف الثالثة مساء وقعت غارة سلب على محل رهونات فى

شارع شارلوت بحى سوهو فقد هاجم رجلان ملثمان المستخدمين بمسدس أطلق منه رصاصة أو اثنتان ، وفى خلال المعركةأطلق ثالثالرصاص وهو واقف بالباب ، وقذف مستر كيتس مدير المحل البالغ من العمر سبعين سنة الرجلين بأحد المقاعد فوثبا فوق طاولة المعروضات وجريا الى عربة كان ينتظرهما فيها الرجل الثالث ، وقد ســـد طريق العربة بوساطة سيارة نقل فاضطر ثالثهم الى مغادرة العربة وهاموا على وجوههم وبينما هم يجرون رأى مستر كيتس رجل يركب موتوسيكلا يجرى وراءهم ثم سمع صوت عيار نارى ووجد راكب الموتوسيكل يرتمى بجوار الرصيف وعندما عرج الرجال على طريق « توتنجهام كورت » اشتبك أحد المدنيين مع واحد منهم وأسقط من يده المسدس الذى كان يحمله غير أن الرجل تخلص منه والتقط مسدسه واختفى وكان راكب الموتوسيكل هو اليك دانتيكس وقام ضابط البوليس فعمل له الاســعافات الأولية ولكنه لفظ آخر أنفاسه قبل وصوله الى المستشفى وكان يعمل ميكانيكى سيارات وله زوجة وستة أطفال صغار ٠

وما حدث بعد ذلك كان مثالا عمليا طيبا للعمل الروتينى للمخبر فان الرجال الثلاثة رآهم ثلاثة وعشرون رجلا أدلوا بأوصافهم وطبيعى فى مثل هذه الحوادث الخاطفة ألا تتفق الأوصاف ولحسن الحظ استطاع مستر كيتس أن يدلى بوصف جيد للرجلين اللذين دخلا حانوته وأن يقرر أنهما أطلقا النار على سائق الموتوسيكل ٠

فأولا يجب البحث عن الرجال ٠ بعد ثلاثة أيام من ارتكاب الجريمة تقدم سائق سيارة أجرة الى مركز بوليس « توتنجهام كورت » وقرر أنه فى حوالى منتصف الساعة الثالثة من مســاء ٢٩ من ابريل كان يسوق سيارته فى شارع « توتنجهام كورت » عندما قفز رجل على سلم السيارة فأزاحه سائقها وراه يتجه نحو مبانى مكتب يدعى « بروك هاوس » فاستدعى البوليس خادم هذا المكتب الذى قرر أنه كان واقفا بالباب فاذا برجلين ينحيانه عن مكانه ويصعدان على السلم جريا ، ثم رآهما يغادران المبنى كما لاحظ أن أحد الرجلين تخلى عن المعطف الذى كان يرتديه عند دخوله وقد أيد سائق سيارة نقل شهادة الخادم ٠

وقد وجد بواب « بروك هاوس » مفتاح سيارة تعرف البوليس فورا عليه بأنه مفتاح السيارة التى استخدمت فى الغارة ٠ لقد سرقت السيارة من شارع قريب لمحل الحادث قبيل القيام بالغارة ٠

وبعد ذلك بيومين وجد أحد الرســامين فى بروك هاوس معطفا

المرجال وفى جيبه قلنسوة وقفازان وكان المعطف مخبأ خلف طاولة غير مستعملة وقد نزع من المعطف القصاصة التى عليها اسم صانعه غير أنه عند تفتيشه عثر كبير المفتشين الذى كان يباشر تحقيق القضية على بطاقة صانع المعطف فكانت هاديا الى أنه صنع فى مصنع « تاجيو برتون ليمتد» الذى يضم عددا كبيرا من الخياطين ودلت سجلات المصنع على أن المعطف سلم لأحد ثلاثة فروع فى لندن فاستجوب مديرو هذه الفروع عن مبيعاتهم وأخيرا استطاع مدير فرع «ويتفورد» أن يقرر من سجلاته أن هذا المعطف بيع فى ٣٠ من نوفمبر سنة ١٩٤٦ الى رجل يدعى توماس ويقطن فى منزل ١٦٠ « بارك بلدنجز » فى جنوب شرقى لندن رقم ١٥ ٠

استجوب المخبرون « مسز فيراكمب » فى هذا العنوان فقالت ان هذا المعطف لزوجها « توماس كمب » ولكنه سرق منه منذ بضعة أسابيع فى أحد المحال العامة وقوبل كمب نفسه قبل أن يعود الى داره فقال بعد تردد انه فقد معطفه فى احدى دور السينما وأخيرا اعترف بأنه كان يبحث عن معطفه فى الفترة الواقعة بين ٥ من مايو و ١٠ منه سنة ١٩٤٩ وأخبرته زوجته أنها أعارته الى أخيها شارلس هنرى جنكنز من نحو أسبوع ٠

هذه التحريات التى تضمنت مقابلات عشرات من الناس استغرقت أكثر من أسبوعين وفى ١١ من مايو وجد جنكنز وسئل عن تحركاته يوم ٢٩ من ابريل فامتنع فى بادىء الأمر عن الكلام ولكن عندما عرض عليه المعطف وأحيط علما بالمكان الذى عثر عليه فيه قال انى لا أستطيع أن أجزم بأن هذا المعطف لتوم ولكن يشبهه ولن أزيد على هذا شيئا لأن الأمر يبدو لى جد خطير ٠

وفى اليوم التالى استجوب ثانية بعد أن حذر وأبلغ أنه سيعرض للتعرف عليه فقال لو تعرف على أحد لأخبرتكم عن المعطف ولكنى لن أقول أين كنت الا فى آخر الأمر ولا أحمل نفسى وزر ما حدث ٠

عرض للتعرف عليه فى ١٣ من مايو ولكن لم يتعرف عليه أحد من الشهود ومع ذلك فقد حجزه البوليس وبعد ظهر هذا اليوم قدمت أخته مسز كمب لتقابله ٠

قال جنكنز لها : اخبرى كبير المفتشين لمن أعرت المعطف فأجابت متسرعة الى حد ما : هل تقصد أن أقول « أنا » ؟!! فأجاب جنكنز : بالطبع ٠

وذكرت مسز كمب اسم « بيل ولسن » وهنا أضاف جنكنز اننا رأيناه منذ أسبوعين فى « سوث اند » ، وكان يتسكع وبصحبته فتاة شقراء

تعمل فى مقهى فى أول الحى واذا أردتم أن تذهبوا الى سوث اند فيجدر بكم أن تتوجهوا الى رقم ٣٢ ولست أدرى اسم الطريق ٠ واهتم كبير المفتشين بهذه المعلومات لا لأن لها قيمة فى ذاتها وانما لأن جنكنز الذى يعرفه البوليس كان يعرف عنه حماية شركائه ٠

توجه كبير المفتشين الى سوث اند وكان ولسن قد غادرها وبمساعدة بوليس المنطقة عثر على ساعتين سرقهما فى احدى حوادث السرقة السابقة فى « كوينزواى » فى « بايزواتر » ظن فيهما أن جنكنز كان متهما بارتكابها ، وكانت تقدر قيمة المسروقات بنحو خمسة آلاف من الجنيهات كما عثر على بندقية استخدمها فى الحادث نفسه شاب يبلغ من العمر احدى وعشرين سنة اسمه « جراجتى » ، وكان العثور على البندقية فى حديقة تطل على البحر ، وعلم المخبرون من أحد المرشدين أن شابا عمره ١٧ عاما يدعى «ترنس رولت» يعمل شريكا لجنكنز فاستدعى وباستجوابه اعترف باشتراكه مع جنكنز فى ارتكاب الجريمة ، ولكنه ادعى أنه لا يذكر أين كان فى ٢٩ من ابريل ، واستدعى جراجتى أيضا واستجوب عن تحركاته فى ذلك اليوم ولكنه ادعى أنه كان مريضا وملازما الفراش ولما لم يقم دليل يدين جراجتى أو ترنس رولت فقد سمح لهما بالانصراف ٠

ثم وجه المخبرون اهتمامهم ثانية الى جنكنز وأخته مسز كمب وبحسب أقوالهما تكون مسز كمب قد أعارت المعطف الى أخيها وأنه أعاره بدوره الى ولش ٠

فى السادس عشر من مايو كان يسير جاويش من البوليس السرى ـ عمل من قبل فى بوليس العاصمة ويعمل الآن بالبوليس البحرى الملكى ـ فرأى ولش فى الطريق وكان يعرفه بحكم عمله السابق ويعرف أنه مطلوب للاستجواب فى حادث دانتيكس فاحتجز ولش وسلمه الى أحد ضباط بوليس العاصمة وعندما استجوب ولش قال على الفور : انى أدرك خطورة الأمر وسأدلى لكم بنصيبى فى حادث « كوينزواى » ولكنى أبرىء نفسى من حادث « شارع شارلوت » فلا شأن لى به ! ٠٠

ثم اعترف بما اقترف فى حادث « كوينزواى » مع جنكنز وجراجتى ورجل آخر، وذكر أنه توجه الى سوث اند ثم تصرف فى المجوهرات ببيعها لتجار متعددين فى « الويست اند » ، واعترف أيضا بأنه فى اليوم السابق على يوم ارتكاب هذه الحادثة توجه هو وجنكنز وجراجتى الى جانب محل الرهونات فى « شارع شارلوت » لمعاينته وبناء على هذه الأقوال احتجز جراجتى مرة أخرى وحذر فأجاب على أثر التحذير : «وأظن

انه قد أخذ بعض الناس يثرثرون منذ أن استجوبتموني وقد سمعت أنكم وضعتم أيديكم عليهم جميعا وما أريد أن أقوله يحتاج الى امعان الفكر » ، ثم وصف بعد ذلك تفصيلات ما حدث في سرقة « كوينزواى » الذى اعترف بارتكابه مع « جنكنز » و « ولش » ورجل آخر وفي خلال سرده للموضوع كان حريصا على أن يستبدل باسم جنكنز اسم ولش عند تعرضه لحادث الغارة على المحل ثم تعرف على البندقية وعلى قرابها اللذين وجدا في سوث‌اند وعلى معطف وجد بعنوان جنكنز واعترف بأن هذه الأشياء كان يستخدمها ويلبسها في حادث كوينزواى . تبين في هذا الوقت السبب الذى من أجله خان جنكنز زميله ولش لأن ولش اختص نفسه بكل الثمرة في حادث « كوينزواى » فانتقاما منه ذكر جنكنز حكاية المعطف المعار رغبة منه في أن يصبح ولش متهما في مقتل دانتيكس .

كان لهذه الرواية صدى بعيد الأثر لم يكن يعنيه جنكنز لأنها أدت في بداية الأمر الى استجواب ولش ثم ادخال جراجتى في التهمة في حين كان جنكنز حريصا على ألا يزج باسمه فيها .

وفي خلال ذلك كان أصغر الثلاثة وهو « ترنس رولت » موضوعا تحت المراقبة وبعد أن أدلى جراجتى بأقواله عرف مقر ترنس رولت من عنوان له في بلدة « برموندسى » وأقتيد الى مركز توتنجهام كورت حيث انهار وقال والغم يحز في قلبه : آمنت بأن الحقيقة لا بد من أن تظهر لأنى أراكم قد وضعتم أيديكم « على كريس » وهو يعني بهذا الاسم جراجتى .

وراح يعترف ويقول : « ان الذنب واقع على لا مخالة فأنا السبب في القبض عليهم فقد دبرت الأمر وها أنا أسرد عليكم كل ما كان من أمرنا . أن كريس لم يقصد قط قتل ذلك الرجل » .

واستطرد يعترف بما اقترفه في السطو على المحل التجارى وسرقته منه الاسلحة النارية وبعض الذخيرة وكيف استخدمها هو وجراجتى وجنكنز في غارة «شارع شارلوت» ووصف ما حصل بعد ظهر ذلك اليوم من اطلاق النار ومن هربه مع جنكنز في بروك هاوس حيث أخفى جنكنز المعطف والقلنسوة .

وألقى القبض فورا على جنكنز ووجهت اليه رسميا تهمة القتل كما وجهت الى جراجتى ورولت وبدأت محاكمتهم أمام المحكمة المركزية الجنائية أمام القاضى « هاللت » في ٢١ من يوليو سنة ١٩٤٧ واعترف جراجتى

ورولت بما حدث ولكنهما ادعيا أن نصيبهما فى الحادث لم يبلغ درجة القتل لأن غرضهما المشترك الذى خرجا من أجله تم عندما سرقا المتجر ٠

أما جنكنز فاستند على ادعائه أنه لم يكن وقتئذ بمكان الحادث غير أن المحكمة لم تصدق الشهود واستمرت المحاكمة ستة أيام وقد تعرض القاضى فى حيثياته الى جراجتى ورولت بالنص القانونى الآتى :

واذا حاول أحد الأفراد لمصلحة العـــدالة فى وقت ارتكاب الجريمة وتعقب المجرم وهو يحاول الهرب من محل الحادث وكان المجرم يعلم نية هذا الفرد ومع ذلك يستخدم المجرم احدى وســـائل العنف لمنع هذا الشخص من ايقافه فعلى المجرم الذى يفعل هذا أن يتحمل تبعة ماينجم عن فعله ويصبح متهما بالفعل اذا كان اجراء العنف الذى يتخذه ينشأ عنه قتل شخص ولو بغير قصده ٠

وبعد خمس وأربعين دقيقة أصدر الحكم باداتتهم فى جريمـة القتل وحكم على جراجتى وجنكنز بالاعدام أما رولت فلأنه قاصر فكان القرار يقضى بحجزه الى أن يفرج عنه صاحب الجلالة وتأيد الحكم استئنافيا وفى ١٩ من سبتمبر سنة ١٩٤٧ نفـــذ حكم الاعدام فى جنكنز فى سـجن « بنتونفيل » ٠

ويوجد لسوء الحظ كثير من الشـــبان مثل اخوان جنكنز الذين وجدوا أنفســـهم فى حياة الجريمة وهم فى سن العشرين المبكرة وهؤلاء يقدمون لنا احدى المشاكل العويصة التى يواجههـــا قانون الجنايات وهم فى حربهم مع المجتمع يتبعون القاعدة القديمة والخطة السهلة التى تقـول ان الذى يأخذ هو صاحب القوة ، وان الذى يحتفظ بما أخذ هـــو الذى يستطيع ذلك ٠

فهم لا يعترفون بأى قانون وضعى أو أدبى اذا اعترض فائدة لهم٠ فماذا نصنع أو ما الذى ينبغى علينا أن نفعله حيالهم ؟

« عاملوهم بالقســوة » هذا رأى الذين يدينون بمذهب الارهاب ويندمون على تغير الحال التى كانت سائدة فى سالف الزمان من شدة فى نظام السجون ٠ ولكن القسوة وحدها لم تؤد يوما ما الى أى تحسن ، والعود الى ارتكاب الجرائم كان طبيعة القرن التاسع عشر أكثر منه فى هذه الأيام ٠ وما أكثر ما وجدت فى بداية عهدى بوزارة الداخلية فى سجلات معتادى الاجرام منذ ثلاثين أو أربعين سنة مضت أنهم عوقبوا بأحكام قاسية بالسجن فى مستهل حياتهم فكانت سببا فى أن أصبحوا

كالوحوش الضارية ثم ان اتصالهم بمن هم أعرق منهم فى الاجرام دمغهم بطابع الجريمة فى الحيـــاة الدنيـا وما تملأ الحرارة نفوسهم فسرعان ما يستأنفون نشاطهم مع زملائهم القدامى فى الجريمة ولا يلبثون حتى يعودوا الى السجن وهكذا تستمر حلقة الأسى ٠

وكل من له خبرة بذلك النظام القديم يوافقنا على فشله ، مثله مثل كل نظام يقوم على معـــاملة الآدميين كمجرد أرقام لأنه مهما كان النظام تاما داخل السجن فسوف تنتهى مدة العقوبة ويعود السجين طليقا الى الدنيا الواسعة ٠

واذا لم يحل محل النظام الآلى المتبع فى السجون نظام أشد منه احكاما فانه من الراجح أن يستأنف السجين حياة العبث من جديد ٠

حقا ان الحياة التى تسير كل خطوة فيها بارشاد وملاحظة وتخلى صاحبها من كل مسئولية مادام بعيدا عما يجلب له الأذى لتمتص كل تفكير فى الابتكار وتتركه أضعف من أن يستطيع مواجهة الحياة فى الخارج بل أضعف منه حينما دخل السجن ٠

منذ بضع سنوات يحث المسئولون عن السجون فى بلادنا وبلاد كثيرة أخرى عن طريقة جديدة وهى مبنية على الاقتناع بأن كل مسجون يعتبر انسانا وليس مجرد رقم فى السجل ، وأن فترة السجن لا نضعها نصب أعيننا وسيلة للعقاب فى حد ذاته بل وسيلة للاصلاح والتهذيب فنأمل أن تمنع الاحداث المجرمين من أن يصبحوا مجرمين عتاة ٠ ان نظام « بورسال » الذى يقضى بأن يبعد عن السجون ابعادا تاما كل مجرم تقل سنه عن احدى وعشرين سنة أثمر ثمرة طيبة الا أنه لا يزال يؤخذ على نظام بورسال بعض المآخذ وهى النواة الصلبة فى مشكلة السجون وقد اختصت بعناية كبيرة منا كأعضاء فى لجنة السجون فى السنوات السابقة على الحرب ٠

جمعنا « تشلزفورد » نحو ١٥٠ شابا فى حوالى الخامسة والعشرين من العمر كانوا متهمين فى بعض الجرائم الخطيرة وهؤلاء الشبان أخضعوا لنظام تدريبى شديد قاس أشرف عليه مدير بارز هو كابتن فيلبس الذى كان يعمل فى الجيش مع القوات الاسترالية خلال الحرب العالمية الأولى وقد لقى متاعب أذكرها جيدا لأنهـا جاءت فى الوقت الذى توليت فيـه رياسة اللجنة بعد ذلك بقليل ٠ فمؤامرة «دارتمور» فى سنة ١٩٣٢ كانت خميرة للقلق فى جميع سجوننا ٠ وقد كان الكابتن فيلبس يجمع بين

السيد الحـــازم والقلب الواعى الكبير وعلى الرغم من قلة المعاونة التى تلقاها كان تأثيره فيهم عظيما لدرجة أن خمسين أو ستين فى المائة من بين سجنائه ولوا بعيدين عن الشر بعد الافراج عنهم وهذه النسبة المرتفعة أكبر مما كنا نأمل الحصول عليه وقد دلت على فساد الرأى القائل بأنهم لابد عائدون الينا ٠

فعلى هدى هذه التجربة وأمثالها أنشأنا النظام الجديد الذى يقضى بالتعليم الاصلاحى للأحداث معتادى الاجرام ولم يمض على تنفيذه وقت كاف للحكم على نتائجه غير أنى لا أشك فى أنه اذا أحسن اختيار الموظفين القائمين على تنفيذه فان تجربة «تشلز فورد» ستعيد نفسها ٠ ولا مندوحة من وقوع بعض الهنات ، وأنها ستكون موضعا للتشنيع الا أن هذا ينبغى ألا يحول بيننا وبين المضى ٠ ولست أظن أنه فى وسعنا أن نتخلى عن الأمل فى أن يعود بعض هؤلاء الشبان الى الحياة المحترمة ، وأن الربح الذى تحصل عليه فى حالة النجاح ليستحق كل ما يبذل فى سبيله من مال وجاه ٠

أما عن مواضع الاخفاق فيبقى لدينا النظام الجديد ، وهو نظام الحجز الوقائى ، وهو يستخدم الآن على نطاق أوسع مما كانت قوانين ما قبل الحرب تجيزه ، وبمقتضاه يتيسر ابعاد كل عائد قاس لم يستجب الى طرق الاصلاح الأخرى زمنا طويلا وذلك لحماية المجتمع ٠ فاذا كان عدد من يمكن اصلاحه قليلا فقد كفى الجمهور شرهم عدة سنوات ٠

نشـــأ الاخوان « كريج » فى ظروف أحســن من ظروف الأخوين جتكنز وهذا يذكرنا بأن الفقر دائما منبع الجريمة ٠ كان أبوهما موظفا فى أحد البنـــوك ، وكانوا يعيشون فى الضـــاحية السكنية بمدينة كرويدون ٠ وقع الأكبر كريج فى خطر ٠ ففى منتصف الساعة الثالثة مساء ١٤ من سبتمبر سنة ١٩٥٢ وصل الى البوليس بلاغ بأن رجلين اسم أحدهما كريج والآخر « برنى » يقيمان فى كنتجون وأن فى حوزتهما فراء وملابس مسروقة وقيل انهما كليهما مسلحان ويرجح أن يستخدما مسدسيهما ما لم يؤخذا بغتة ، وان التعجيل فى القبض عليهما أمر واجب لأنهما يزمعان التصرف فى المسروقات على وجه السرعة ٠

على الفور توجه مفتش البوليس السرى الى محل وجودهما ومعه اثنان من الجاويشية مع سائق سيارة بوليس ٠ وتوجه الثلاثة الأولون الى حجرة بالطابق الثانى فى المنزل فوجدوا الباب مغلقا ، ولما سمع المفتش صوت نافذة تفتح صعد السلم مسرعا ٠ ولما نظر الى الخارج رأى «برنى»

متسلقاً ماسورة المدخنة فناداه وأمره بالهبوط ، ولكن برنى تسلل الى قطعة من الارض مسورة تجاور المنزل وهنا هبط الجاويشان السلم بسرعة فوجداه يشرع فى تسلق سلم خشبى يؤدى الى اسطبلات خلف المنزل فى حين كان سائق البوليس يحاول الامساك به ٠

وقعت معركة عنيفة بينهم ٠ انتهت بغلبة رجال البوليس عليـــه واقتيد الى الحجرة التى بالدور الثانى ٠ وهى الغرفة التى دخلها المفتش باحثــا عن كريج ، وقد وجـــد بعض الفراء والملابس المسروقة فى أحد القماطير ٠ فبقى اثنان منهما مع برنى وتوجه الآخران الى الغرفة المجاورة وكانت مغلقة الباب ٠

بعد فترة من الزمن فتحت امرأة البـــاب ٠ ولمـــا دخل البوليس الحجرة ٠ وكان كريج نائما بها ٠ استيقظ ومد يده تحت الوسادة يبحث عن مسدسه فهجم عليه الجاويشـــان وانتزعا المسدس ٠ وكان صـــمام الأمان مفتوحاً والمسدس محشوا وفى جيوب كريج بعض الطلقات ٠

تبين بعدئذ أن هذين الرجلين كانا متهمين فى حادث سرقة مصحوبة بالقوة ومطلوب القبض عليهما فى «والتهام أبى» فى «لكس» وقد حوكما أمام محكمة جنايات « أولد بيلى » وأدينا فى تهمتى سرقة مع حمل ســـلاح ٠ وسرقة مصحوبة بالقوة ٠ كما أدين كريج بتهمـــــة حمل الســـلاح بقصد تعريض الحياة للخطر ، وأدين برنى بتهمة اخفاء أشياء مسروقة وحكم على كريج باثنتى عشرة ســـنة عن كل تهمة ، وعلى برنى بالعقوبة نفسها عن التهمتين الأوليين وسبع سنوات عن تهمة اخفاء أشياء مسروقة٠ وكنتيجة طبيعية لهذه الجريمة كانت تلك المعركة الصاخبة التى لم تشهد لندن مثيلا لها منذ معركة سدنى ستريت فى سنة ١٩١٠ حينما اشترك مستر تشرشل ــ وكان حينذاك وزيرا للداخلية ــ فى حصار بيتر النقاش وشركائه ٠

فى الساعة ١٥ر٩ مساء السبت ٢ من نوفمبر سنة ١٩٥٢ وصلت الى مركز بوليس كرويدون اشارة تليفونية من رجل يقول انه رأى رجلين يتسلقان سور بوابة موصلة الى أحد المحلات التجارية ، وفى خلال عشر دقائق كانت فرقتان من البوليس قد وصلتا ، وكان ضـــــباط المباحث « فيرفاكس » و « هاريسون » و « ين ويجدن » فى احدى السيارات ٠ أما « مايلز » و « ماكدونالد » فقد كانا بسيارة اللاسلكى وكان اللصوص على ما قيل ــ فوق سـطح المخزن ولذلك تســـلق « فيرفاكس » ماسورة المدخنة فوجد على السطح رجلين بجوارها فظل يتسلق حتى صار على بعد

ستة أقدام منهمـا وخاطبهما قائلا « أنا ضـابط بوليس فأخرجا من خلف المدخنة » ٠

فرد عليه أحدهما ــ وقد عرف فيما بعد أنه كريستوف كريج « ان كنت تريدنا فتقدم واقبض علينا » ٠

قال فيرفاكس « حســنا » وهجم عليهما وقبض على ثانى الرجلين وهو « بنتلى » ثم تحول يقتفى أثر « كريج » الا أن بنتلى تمكن من الهرب وهو يصيح « ناوله اياها يا كريج » ٠

وما انتهى من قوله حتى سمع طلقا ناريا ــ ولم تكن الطلقات النارية بالأمر المألوف فى شوارع لندن وذلك من حسن الحظ ــ وكان فيرفاكس وزملاؤه لا يحملون سلاحا فأصيب فيرفاكس فى كتفه وسقط على الارض ٠ ومع ذلك نهض من سقطته وأخذ بتلابيب بنتلى وأطلقت رصـاصة أخرى ولحسن الحظ أيضا لم تصبه ٠ وتمكن فيرفاكس من أن يجذب بنتلى خلف مصباح فى السطح وسرعان ما فتشه فوجد معه سكينا وقبضة حديدية ٠ وعندئذ أخبر بنتلى أنه سيقوده الى أحد الأبواب ليتقى به الطلقات النارية ٠ الا أن بنتلى حذره من أن كريج سيعيد اطلاق النار عليه ٠

بعد ذلك بقليل صرخ ماكدونالد ــ وهو رجل بدين أخفق فى محاولة تسلق ماسورة المدخنة ــ قائلا انه على مقربة من السطح لكنه لا يستطيع الصعود اليه فخرج فيرفاكس من مأمنه وأعانه على صعود ما بقى من مسافة قليلة وأخبر ماكدونالد أنه أصيب بعيار نارى ٠ وهنا قال بنتلى « انى طلبت من المغفل ألا يطلق النار » ٠

وصاح فيرفاكس يطلب الى كريج أن يلقى مسدسه فأجابه كريج « تعال خده » ثم أطلق رصاصة أخرى كانت مصوبة الى هاريسون الذى تمكن من الصعود الى السطح وكان يزحف على السطح المائل (المخزن) متجها نحو السطح المستوى ولم يكن يحمل سلاحا أيضا وكان يضع قدمه فى الميزاب وظهره الى السطح ٠ ولذا كان هدفا صالحا لكريج الذى أطلق عليه مرة أو مرتين ، فلما وجد هاريسون أن استمراره فى زحفه بمثابة انتحار أخذ فى الهبوط ثم عرج على سلم المنزل ومعه مفتاح للباب الموصل للسطح ، ويلاحظ أنه خلال هذه المعركة التى دارت مع شخص مسلح يائس يجلس على سطح المنزل وسط ظلام الليل لم يفكر أحد من رجال البوليس فى الانسحاب أو انتظار المدد ، ولكن رجال البوليس الذين كانوا فى أسفل المكان صعدوا فوق السـلم سراعا ٠ وعندما دخلوا من الباب

الموصل للسطح أطلق كريج النار مرة أخرى فسقط قائدهم « مايلز » بعد أن اخترقت رصاصة ما بين عينيه ·

خرج كريج من خلف المدخنة وأخذ في اطلاق النار ولكنه في هذه المرة كان يطلقها نحو السلم فتخطى هاريسون جثة مايلز وألقى بعصاه نحو كريج ثم قذفه بزجاجة وبقطعة من الخشب ولكنه أخطأه ·

سكر كريج بنشوة القوة وصاح : « أنا كريج ، لقد حكمتم على أخي باثنتي عشرةسنة أقدموا يا رجال البوليس التوافه · انى لا أعدو السادسة عشرة سنة ·· » وأطلق رصاصة أخرى وظل يردد ما يقول :

وهنا قال لهم بنتلى خذوا حذركم وإلا أطار رءوسكم برصاصه · ثم حينما كان رجال البوليس يهبطون به السلم توجه الى كريج وقال: « انظر يا كريس انهم يأخذونني الى أسفل المنزل · وسواء قصد بهذا القول ان يطلق كريج النار أو لم يقصد فقد أطلق كريج النار على الفور » .

أثناء ذلك كان الخبر بلغ مسامع رجال بوليس كرويدون فأرسل ضابط النقطة من تلقاء نفسه دون طلب منه بعض المسدسات · وبعد أن تسلح فيرفاكس الجريح عاد الى السطح وصاح في كريج : « ألق مسدسك فأن معي مسدسات مثله » ·

جرى فيرفاكس نحو كريج وهو يطلق النار في الظلام وصاح كريج يقول له : « نعم ان مسدسك من نوع كولت ٤ ــ ٥ هل أنت تختفى وراء المجن (الدرع) وهل هو مما لا يخترقه الرصاص ؟ وهل تود أن تدخل معي مباراة في اطلاق النار ؟ ان هذا ما أبغيه ···· »

ثم وجه كلامه الى بنتلى وسأله : هل أصابك سوء يا دريك · وعندئذ سمع صوت طلقات أربع ثم صوت طلقة أخرى تبعها صوت كريج وهو يقول : « لقد فرغ المسدس » ·

وحاول الجرى لمغادرة السطح فسقط بين يدى ضابط البوليس الذى كان واقفا أسفل المكان على مسافة ٢٠ قدما · ومع أنه أصيب اصابة فادحة فانه قال لمن حوله « وددت لو أنى مت · أرجو أن أكون قد قضيت على الجميع » ·

توجهت في صباح اليوم التالى الى كرويدون بعد هذه المعركة اليائسة وقابلت هاريسون وماكدونالد وجاك · الذى كان أيضا على السطح ــ أما فيرفاكس فكان حينذاك في المستشفى وكان هؤلاء الرجال الثلاثة الذين

صانوا بجدارة تقاليد بوليس العاصـــمة ، أقل اهتماما بحوادث الليلة الماضية منهم بمصير أرملة رجل البوليس « مايلز » الذى قتل بالرصاص • وكان شعورى فى الواقع شعور من يدخل منزل أسرة توفى أحد افرادها فجأة وان من بين ما يمتاز به رجال البوليس هو أنهم حينما يقع واحد منهم أو أحد أفراد أسرته فى ضيق يقدمون كل مساعدة بغير حساب •

وفيرفاكس الذى رأيته فيما بعـــد هو رجل وسـيم الوجه متوسط الحجم وهو مثقف مفكر أقرب الى الكتبة منه الى رجال البوليس • ومع ذلك فهو رجل كفاح ، وقد أخذ يهون من الدور الذى لعبه فى المعركة عندما كان يسرد على بطريقة صريحة الأعمال التى أتاها على السطح دون أن يحاول أن يصبغها بصبغة مؤثرة كان يراها جزءا من عمله اليومى وقد قام بما يمليه عليه الواجب •

وقد تماثل للشفاء سريعا ورقى بعد وقت قصير الى رتبة جاويش واعترف فيهـا بعـد بشـجاعتـه فمنح « صليب جورج » أما هاريســون وماكدونالد فمنحا « ميداليةجورج » وأما جاكفمنح «ميدالية الامبراطورية البريطانية » كما منحت ميدالية بوليس الملك للشجاعة الى « مايلز » بعد وفاته • وفى الاحتفال بجنازته فى كنيسة كرويدون اجتمع حشـــد من الناس لتكريم ذكراه • كان من بينهم وزير الداخلية وكل ضباط البوليس من جميع الرتب •

وفى الوقت المناسب وجهت تهمة القتل الى كريج وبنتلى وقدما للمحاكمة بتهمة القتل • وبنى الدفاع عن بنتلى على أساس أنه وزميله كريج ولو أنهما كان لهما غرض مشترك عندما دخلا المخزن • فهذا الغرض انتهى بمجرد القاء القبض على بنتلى • وعلى ذلك فلا يعتبر مدانا فى جريمة القتل • ولم يقبل هذا الدفاع وأدين كل من المتهمين ، ولما كان كريج دون السن فقد حكم عليه بالسجن حتى يفرج عنـه بالعفو الملكى فى حين تأيد الحكم استئنافيا ضد بنتلى • وقد رفض وزير الداخلية تأجيل تنفيذه ونفذ فيه حكم الاعدام فى سجن واندورث •

وأحد أسباب بروز هاتين الحادثتين اللتين وصفتهما هو أن القتلة استخدموا الأسلحة النارية فى محل عام • وأن ذلك نادر الحـــدوث فى بريطانيا •

ان عدد الحوادث المصحوبة بحمل السلاح فى أقسام بوليس العاصمة تتغير فى عام عن الآخر منذ سنى الحرب فهى ما بين عشر حوادث وستة

وأربعين وبالرغم من تهويل الصحف في هذا الموضوع في السنة أو السنتين الأخيرتين فان احصاءات السنوات ١٩٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ هي على التوالي ١٦ ، ١٠ ، ١٩ ، وهي ليست بحال من الأحوال أرقاما غير طبيعية. ونسبيا مهما كانت ضآلتها ففي ذلك أكبر العزاء . وهذه الحوادث على قلتها نسبيا لازالت أكثر من أن تدعو الى ارتياح وتظهر الحاجة الى وجوب تطبيق قانون الأسلحة النارية الصادر في سنة ١٩٣٧ تنفيذا صارما وهو القانون الذي بمقتضاه لا يسوغ لأي شخص أن يحرز سلاحا ناريا بدون الحصول على شهادة من حكمدار البوليس . والأسلحة التي بأيدي اللصوص لا رخصة لها وانما حصلوا عليها عن طريق السرقة أو بوسائل أخرى غير مشروعة .

وفي أعقاب الحرب مباشرة وردت كميات كبيرة من الأسلحة النارية الى هذه الدولة عن طريق الذين خدموا في مسارح القتال فيما وراء البحار. واجراءات الرقابة الدقيقة والتفتيش في ألمانيا وفي جهات أخرى ، وفي موانى الدخول وضعت حدا عاجلا لهذا النوع من التجارة ، بيد أن النداء الذي وجه لتسليم الاسلحة النارية أسفر عن الحصول على ما يقرب من ٣٠٫٠٠٠ قطعة وأدت ادانة ماري جنكنز وشركائه الى الاستيلاء على بعض المسدسات والى هبوط عاجل في عدد جرائم القوةوان كان هبوطا مؤقتا .

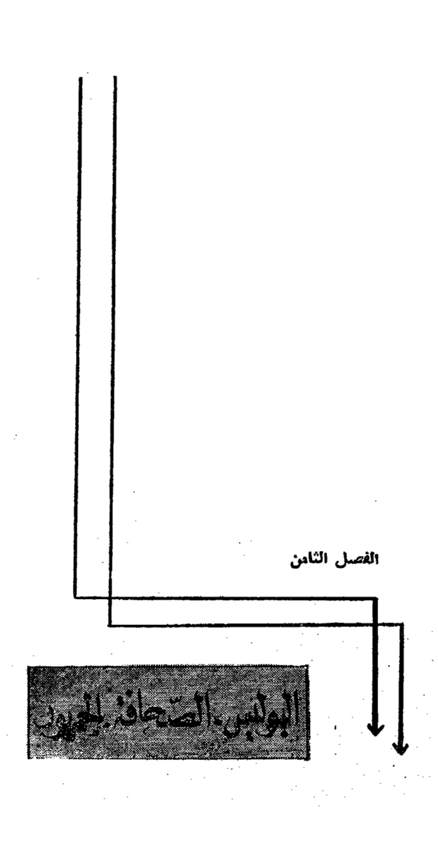
كثير ممن يطلبون الحصول على ترخيص بأسلحة نارية يرغبون في أن يكون لديهم السلاح لحماية أنفسهم في منازلهم لانهم يستشعرون الخوف مما يقرءونه عن مهاجمة أصحاب الدور . ومن النادر أن يحمل لصوص المنازل سلاحا ولكن اذا عمم حمل السلاح لسكان الدور لتولد عن ذلك خطر حقيقي اذا اقتدى اللصوص بهم واستعملوا السلاح عند دخولهم وخروجهم طبقا للأسلوب الذي ينهجه رجال العصابات في الافلام السينمائية . وهذا الاحتمال — فضلا عن الخوف من أن طالب رخصة السلاح قد يكون غير أهل لذلك أو أنه سيء النية — حمل وزير الداخلية أن يقترح على جميع رؤساء البوليس أن يتشددوا في اعطاء هذه الشهادة ما استطاعوا .

وبوصفي كوني حكمدارا رفضت عددا كبيرا من هذه الطلبات وبخاصة اذا كان سبب الطلب هو رغبة الطالب في حمايته في مسكنه الخاص لأنه اذا قبل هذا كسبب مبرر لما كان لعدد التصاريح نهاية وبذلك يتدهور الحال سريعا . على أن لكل طالب يرفض الحكمدار طلبه أن

يستأنف لدى هيئة عليـــا · وفى فترة قيامى بأعمال الحكمدار كان عدد الاستئنافات كثيرا أو لم ينجح منها الا اثنان فقط ·

والقضايا التى تماثل قضية جنكنز وكريج تؤدى الى اقتراح وجوب تسليح البوليس ، أما رجال البوليس أنفسهم فلايرغبون فيه لانهم يعتقدون أنهم لو سلحوا لزاد الميل عند المجرمين الى أن يتسلحوا أيضا وأن يطلقوا الاسلحة فى الحال · وفى خلال ثمانى سنوات لم يقابل من رجال بوليس العاصمة بالرصاص الا اثنان ولم يجرح بالأسلحة النارية الا أربعة أو خمسة وهذا على نقيض الحال فى الولايات المتحدة الأمريكية التى يحمل فيها رجال البوليس الأسلحة النارية ، فقد قتل منهم فى سنة واحدة هى سنة ١٩٥١ ــ ٦٤ شخصا ·

نحن ندرب رجال البوليس على المصـركة غير المسلحة وهم يكادون ينجحون باستمرار فى تجريد الخصم المسلح من سلاحه دون أن يصابوا هم بأذى ·



الفصل الثامن

البوليس.. الصّحافة.. الجمهور

تزويد الجمهور بالمعلومات ـ تعاون الصحافة والجمهور فى القاء القبض على دونالد جورج توماس ـ الخطوات التى تتخذ لتصحيح الاشاعات المضللة ـ الجرائم المبلغ عنها والتى لم تقع أبدا ـ نظام ٩٩٩ ـ غرفة الاستعلامات ـ سيارات اللاسلكى أثناء العمل ـ المواصلات العمومية والدولية ـ حاملو ميدالية ينى ـ عناية البوليس بتجنب الحيف ٠

***

منذ اللحظة التى أصبحت فيها حكمدارا أدهشنى الاهتمام الشديد الذى أظهره كل من لقينى فقد كنت أسأل على الدوام عن آخر ما وقع من الجرائم ، وكثيرا ما يكون السائل وقد طالع صحف الاخبار يعلم عنها أكثر مما أعلم ٠ فالبوليس يمس حياة المواطن الاعتيادى من مواضع عدة تجعل من المستساغ فهم ما يبديه من اهتمام ٠ وهذا الاهتمام يظهر واضحا فى الاشادة بهذه المسائل فى الصحف حيث تسجل أعمال البوليس يوما فيوما قريبة كانت أو بعيدة عن الصواب ٠ فحوادث البوليس تتصدر عمود الاخبار وكان أحد قراراتى الاولى وجوب الاعتراف بهذه الحقيقة وأن نفيد منها فعلى أية حال يستحيل منع نشر أعمال البوليس حتى لو كان هذا المنع مرغوبا فيه فالصحف ذات خبرة فى جمع الاخبار وقد مضى العهد الذى كانت فيه أعمال المصالح الحكومية أو البوليس سرا يجب عدم الافضاء به الى رجل الشارع ٠

لقد انتهزت كل فرصة أتيحت لى لالقاء محاضرات فى الأندية والمنظمات من كل نوع عن عمل البوليس وكثيرا ما كنت أذكر قصة عن جاويش متقدم فى السن هز رأسه عندما أدخل أول تليفون الى اسكتلنديارد وقال فى أسى « لست أدرى فى أى طريق نحن مسوقون ٠ فلن يطول بنا الوقت قبل أن يبدأ الجمهور فى دق التليفون لنا » ٠

هذه الحالة الذهنية استمرت الى حين وصل الى اسكتلنديارد · وما زلت أذكر فزع أحد الضباط الصغار عندما أعلنت بأنى اتفقت مع مصور صحفي على أن يأخذ صورا لأحد مؤتمراتى الصباحية وكان على أن أقنع هـذا الضابط بألا يخفى وجهه وراء قطعة من الورق عندما كانت تؤخذ الصورة ··

انى أعتقد تماما أن الجمهور الذى يدفع أكثر من ١٨ مليونا من الجنيهات سنويا لبوليس المدينة يحق له أن يعرف ما تقوم به قوة البوليس وقيمة ما يحصل عليه ازاء ما يدفع من مال · وكان من أول ما فعلت الحصول على الموافقة على تعيين ضابط استعلامات للجمهور ·

كان موجودا فى ذلك الوقت مكتب صحافة صغير فى اسكتلنديارد · وكان يعطى جزءا محدودا من المعلومات عن الشئون البوليسية · غير أن موظفي هذا المكتب لم تكن لديهم الخبرة كالصحفيين أنفسهم فشعرت بضرورة ربط علاقاتنا بالصحافة على أساس مرض · وأن يكون الضابط المشرف على هذا المكتب رجلا وقف على الوسائل المتبعة فى حى الصحافة فى « فليت ستريت » ويعرف القائمين بالعمل هناك ·

ولقد أسعدنى الحظ عندما وفقت فى الحصول على خدمات «ب·هـ فيرنلى » فقد عمل سنوات عدة فى دنيا الصحافة كما اكتسب خبرة كضابط صحفى فى شركة الاذاعة البريطانية وفى وزارة الحربية وفى الهند · وكان عنوان الوظيفة هو ضابط استعلامات للجمهور روعى فى اختياره توكيد أن الغرض من انشاء هذه الوظيفة الجديدة هو توزيع الاخبار وتجنب النقد الذى كثيرا ما كان يوجه الى ضباط الاتصال من أنهم لم يعينوا الا للاطراء على وزرائهم أو المصالح التابعين لها أو لتلمس الأعذار لهم ·

وبعد ذلك بقليل دعوت رؤساء تحرير صحف لندن اليومية لمقابلتى وبعد أن أوضحت لهم بصراحة الموقف من حيث الجريمة ــ وقد كان حينذاك باعثا على القلق الشديد ــ أخبرتهم أن سياستى هى أن أعطى الصحافة أوفى البيانات وأسرعها عن نشاط البوليس الا ما تدعو الضرورة الى تجنب اذاعته مما قد يتدخل فى تحقيق قائم أو فى سير العدالة وقد اتبعت هذه السياسة منذ ذلك الحين حتى اليوم وأتت بأحسن النتائج للطرفين ·

وكانت الاخبار السرية تحترم فى كل الظروف ، وكان الجمهور يفيد من الحصول على بيانات صحيحة ولم يكن هذا مطردا فى كل الاوقات ·

فقد حدث مرة خلال التحقيق في حادث قتـــل أن كنت أقضى عطلة فى « ديفون » حينما أخبرنى الخادم انى ـ بحسب ما جاء فى جريدة صباحية ـ عقدت مؤتمرا فى منتصف الليل فى اسكتلنديارد مع « رونالد هاو » مساعد الحكمدار فى ادارة تحقيق الجنايات · وثم خبر أشد بعثا للدهشة هو ما قرأته فى صحيفة هولندية فى صباح أحد أيام الاثنين من أنى قطعت اجازتى التى أقضيها فى هولندا وغادرتها بالطائرة الى لندن يوم السبت الأسبق لأعقد فيها مؤتمرا فى منتصف الليل أيضا ·

وعندما عتبت على مراسل الصحيفة المسئول عن هذا قال « ماذا فى هذا أليست قصة طريفة ؟ » أما أنا فكنت أظن أن هذا الخبر ينذر بوقوع خطأ فى البوليس اذا ما استدعت الظروف عقد مؤتمر فى منتصف الليل بهذه الكثرة ولكن ربمـــا كان الصحفيون هم الذين أصيبوا بالخطأ دون سواهم ، وهذه الاخطاء الصغيرة لم تنل من حسن اعتقادى فى قيمة العلاقات الطيبة بالصحافة ولا بالجهود التى أبذلها للمحافظة على هذه العلاقات ، وقد كانت قيمة جدا لرجال البوليس فان الحادث الذى استشهد به كثيرا كحادث مثالى فى التعاون بين البوليس والصحافة والجمهور هو القبض على قاتل « ناثانيل ادجار » ·

كان ادجار هذا فى الثالثة والثلاثين والتحق ببوليس العاصمة فى سنة ١٩٣٩ وبعد أن قضى ثلاث سنوات فى الكلية البحرية الملكية خلال الحرب عاد الى خدمة البوليس فى ســنة ١٩٤٦ وكان متزوجا وله ولدان صغيران وفى شتاء ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ كثرت حوادث سرقة المنازل فى منطقتى « هايجيت ، وسوث جيت » ولمكافحة هذه الحوادث ندب عدد من الضباط النظاميين للمساعدة فى ادارة المباحث الجنائية وكانوا يعملون بهـــا وهم يرتدون ملابس مدنية وكانوا ينتقلون من قسم الى آخر بالفرقة ·

كان ادجار أحد هؤلاء الضباط وفى مساء ١٣ من فبراير سنة ١٩٤٨ كان يقوم بعمل الدورية فى منطقة « سوث جيت » مع « ماك بارتلان » وحوالى الساعة الثامنة مساء افترق الضابطان على أمل العثـــور على أحد المشـــبوهين اذ كانا يتعقبانه فى الصباح ، ولم يمض وقت طويل حتى اتصلت من تدعى « مسز لينج » تليفونيـــا بغرفة الاســـتعلامات فى اسكتلنديارد وأبلغت انها أثناء سيرها مع أخيهـــا سمعت ثلاث طلقـات وشاهدت فى الحال رجلا يجرى ويختفى فى شارع « برود فيلدز » فى « ويدزهل » وأنها عرجت هى وأخوها على ويدزهل وعند مدخل الجراج

فى المنزل رقم ١١٢ رأت ادجار ملقى على الارض يئن والدم ينزف منه بغزارة .

وتوجه فى الحال بعض ضباط البوليس فى سيارة لاسلكية الى ويدزهل فوجدوا ادجار واستطاع أن يقول لهم « كان الرجل واقفا بجوار الباب وقد أخذت منه تذكرة تحقيق الشخصية واسمه وأطلق على ساقى ثلاث طلقات ودفتر المذكرات فى جيبى الداخلى » ، وبالعثور عليه وجد مكتوبا فيه هذه العبارة الآتية :

« مستر توماس دونالد ٢٤٧ كمبردج رود انفيلدبيل ٢/٢٥٧ » ثم فقد ادجار وعيه وفاضت روحه فى المستشفى فى الساعة التاسعة والنصف مساء اليوم نفسه نتيجة اصابته بثلاث رصاصات بالجانب الايمن وفخذه الايمن .

كان ادجار أول من قتل بطلق نارى من رجال البوليس منذ سنوات بعيدة جدا أثناء تأديته أعمال وظيفته ، وكان طبيعيا أن يكون لهذا الحادث أثره العميق فى نفوس زملائه ولم يكن البوليس بوجه خاص يكن عداوة للمجرمين وقد اعتاد البوليس أن ينمى فى نفوس رجاله فهم الطبيعة البشرية وهى تحت قسوة الاقدار ، ويعلمهم كيف يتسامحون معها .

ولكن اذا كان القتيل أحد زملائهم ، فكيف يعودون الى طبيعتهم ؟ وليس فى وسعنا أن نطالبهم فى مثل تلك الظروف أن يكونوا فوق البشر، وصلت الى منزلى اشارة تليفونية فى تلك الليلة تخبرنى بوفاة ادجار مع التأكيد بأن لا بد من ضبط القاتل ، ولم يجد مفتش الفرقة السرية أية صعوبة فى معرفة شخصية دونالد جورج توماس أحد الهاربين من الجيش والمطلوب البحث عنه والقبض عليه منذ ١٣ من اكتوبر سنة ١٩٤٧ ولكنه لم يوجد فى بيته فى انفيلد وفى الصباح المبكر لليوم التالى قابلت «هاو» فى إسكتلنديارد وللمرة الاولى أصدرنا للصحافة الصيغة التى اتبعت فيما بعد ذاكرين أن البوليس يرغب فى أن يقابل بأسرع وقت دونالد جورج توماس الذى يظن أنه قادر على مساعدتهم فى تحرياتهم وقد اطلع على هذا الاعلان مستر « ستانلى وينكلس » القاطن فى كمبرول فأبلغ أن توماس كان يزوره بمنزله أحيانا وأن مسز وينكلس اختفت منذ ثلاثة أسابيع وأنه معتقد أنها فى صحبته وقدم للبوليس صورة فوتوغرافية لزوجته فرأينا أن نبعث بها الى الصحافة لنشرها .

كان لهذا الاجراء نتائج عاجلة فعملت نسخ من الصورة وظهرت فى

صحف الصباح يوم ١٧ من فبراير وفى الساعة السابعة من صباح ذلك اليوم رأت مسز « سميد » صاحبة بنسيون فى « كلايهام » الصـــورة وأطلعت زوجها عليها وذكرت أنها تعتقد أنها لا مرأة كانت تسكن مع رجل بالغرفة العليا الامامية من منزلها فرأى مستر سميد أن يقابل أحد رجال البوليس وأدلى اليه بشكوكه ، وفى الحال اتصل الضابط تليفونيا بغرفة الاستعلامات باسكتلنديارد وأخذ يراقب المنزل ، وبعـــد لحظات وصلت سيارة البوليس اللاسلكية وبها ثلاثة ضباط ثم أعقبهم المفتش مودى من مركز بوليس « بركستون » واتفق مع مسز سميد على أن تقدم طعـــام الافطار الى ساكنى الغرفة العليا كالمعتاد على أن يتبعها هو وسائر رجال البوليس على السلم ٠

وضعت مسز سميد الصينية على الارض وطرقت البـــاب فسمعت صوتا من الداخل يقول « أوكى » أى نعم ثم هبطت السلم وانتظر الضباط فى صمت خارج الباب حتى سمعوا صوت المفتاح فى القفل وانفتح الباب وما ان وقعت عين توماس ــ وكان مرتديا صديريه وبنطلونا ــ من خلال فتحة الباب على ضباط البوليس حتى أغلق البـــاب بشدة ولكن رجال البوليس اقتحموا الباب ودخلوا الغرفة ، فوثب توماس الى السرير ومد يده تحت الوسادة ٠

ألقى الضباط الثلاثة أنفسهم عليه وأمسك المفتش بيده اليمنى التى كانت تقبض على مسدس وكانت معركة عنيفة قصيرة انتهت بالقبض عليه٠

حذر المفتش توماس وسأله : هل المسدس محشو ؟ فأجابه « انه مملوء بالرصاص وأنه كله معد لك » ٠

وعندما اقتيد الى مركز البوليس قال « انكم سعداء الحظ ألا ترون أن شنقى من جراء شاة كشنقى من جراء كبش ٠٠ ! »

ووجد البوليس فى غرفته مجموعة من الرصاص عددها ١٧ من عيار ٠٣٥ر٠ وعصا من مطـــاط ، ومدفعا رشاشـــا وعددا من تذاكر تحقيق الشخصية وكتابا عنوانه (اطلاق الرصاص فى سبيل الحياة بمســدس تمسكه بيد واحدة) طبعة ١٩٤٢ ، كتبه اثنان من الفدائيين هما كابتن فيدبرن وكابتن سايكز وجاء فى مقدمته وصفا له بأنه « عبارة عن وسائل مؤرست وجربت خلال ربع قرن ملىء بالحوادث واتبعتهـــا قوات بوليس أخرى فى الشرق الاقصى وغيره على الرغم من أن هذه الوسائل غيرمستقيمة» وكان رجاء المؤلفين أن يكون فى سرد هذه الاساليب ما يساعد على اكتساب

الكفاية ومن ثم الأمان للذين يقضى القدر بأن يســـتخدموا المسدس بيد واحدة أثناء تأدية الواجب وعناوين بعض فصول هذا الكتاب هى : أغراض المسدس ـ انتخاب المسدس ـ التدريب فى منهـــاج ابتدائى للمقترعين وتدريب أساليب الفصول المتقدمة •

ولـــا اختبر مسدس توماس الاتوماتيـكى ماركة « لوجر فى نقطة البوليس وجد بخزانته ثمانى رصاصات وواحدة بالماســـورة وقد أدلت أخيرا مسز ونكلسن بأن توماس سبق أن اعترف لها بأنه قتل ادجار ولكن توماس نفسه رفض أن يقول شيئا الا بيانات زائفة عن تحركاته فى ليلة الحادث وبفحص الرصاصات التى وجدت فى جثة ادجار ثبت جليا أنهـا أطلقت من مسدس توماس •

وتكشف ماضى توماس عن أنه ولد فى ١٦ من يوليـــو سنة ١٩٢٥ وغادر مدرسته بأدمونتـــون فى الرابعة عشرة من عمره وكان معدودا من حيث الذكاء من الستة الاوائل فيها ، وكان رئيس فرقة الكركت وعضوا فى معسكر الفتيان •

وبدأ العمل ساعيا فى التلغراف ثم كاتبا صغيرا ، وبدأت متاعبه مع البوليس قبل أن يتم السادسة عشرة من عمره فارتكب حوادث وضع من أجلها تحت الملاحظة اثنى عشر شهرا قضاها فى احدى المدارس المعتمدة أثناء الحرب ، وقد أفاد من هذه المدة فانه عندما غادرها أسرع فى دراسة الرياضيات والهندسة الكهربائية فى مدرسة صناعية وكان قد استدعى للتجنيد فى يناير سنة ١٩٥٤ ولكنه هرب بعد أسبوعين ثم سلم نفسه الى البوليس الحربى وأمضى مائة وستين يوما فى الحجز وعلى أثر الافراج عنه هرب مرة أخرى وظل مختفيا ثلاثة أشهر حتى أطلق النـــار على ادجار وأدانته المحكمة فى جريمة القتل • وكان تنفيذ عقـــوبة الاعدام فى ذلك الحين موقوفا نتيجة لقرار اتخذه مجلس العموم عند التصويت على عقوبة الاعدام ، وبناء على ذلك استبدل بحكم الاعدام على توماس الاشغال الشاقة المؤبدة • وهذا الجزاء غير طبيعى ينظر اليه ضباط البوليس بشـــعور انتقادى ومثل هذا قد يواجه وزير الداخلية فى قابل الايام بمشكلة محرجة عندما تعرض قضية توماس للنظر فى الافراج عنه •

أستطيع أن أدلل بقضايا كثيرة أخرى ســـاعدت فيها الصـــحافة والجمهور رجال البوليس • هذا « جون ادوارد الين » الذى قتل طفلا ثم هرب من « برودموز » وبقى طليقا مدة عامين حتى نشرت صورته احدى

صحف المساء فعلم صاحب المخبز الذى كان يشتغل فيه تحت اسم مستعار هو « كنث واتس » وطلب بوليس جلاسجو فى مناسبة أخرى الحصول على وجه السرعة على صورة رجل مطلوب ولم يكن فى الوقت متسع لارسالها بالبريد أو بالقطار ولكن مجاملة من احدى صحف لندن اليومية أرسلت الصورة تلغرافيا الى جلاسجو فى خلال ساعة أو ساعتين ومكنت البوليس هناك من التحقق من الاوصاف المطلوبة ٠

غالبا ما تقوم الشكوى على أن الصحافة تبالغ فى ابراز التفصيلات فى حوادث العنف وبهذا تقدم الى المتهم ـ وخاصة المجرمين الأحداث ـ شهرة تستهويه وهذا رأى له قيمته وانى أود أن نعالج هذه المسائل بطريقة أقل اثارة للعواطف ففضلا عن أثرها فى المجرمين فان المبدأ المعروف عند ضباط البوليس المحنكين هو أن كثرة الاعلان عن حادث مثير تتبعه فى الغالب الأعم حوادث أخرى مماثلة ٠

ومن سوء الحظ بلا جدال أن الجريمة ـ وعلى الاخص جرائم العنف ـ ارتفع مستواها ارتفاعا كبيرا عن قبل الحرب ولا يوجد شخص وبخاصة رجال البوليس يرى ترك هذه الفوضى بغير علاج حازم ، وفى حالة مايتضح للجميع خطورة هذا الموقف فعندئذ فقط نضمن تأييد الجمهور لتعزيز قوات البوليس التى تحمى القانون والنظام ٠ ويشتمل كل عام على فترات حسنة وأخرى سيئة ففى أمسيات الشتاء الطويلة تزيد أرقام الجريمة دائما للسبب البديهى وهو أن المجرم يستطيع تحت ستار الظلام أن يمارس مهنته بأقل خطر يعرضه للقبض عليه ٠ وكانت الايام الاربعة الشاذة فى كثافة ضبابها فى ديسمبر سنة ١٩٥٢ مبعث وباء لخطف الحقائب والاعتداء والسرقة حتى تضاعفت الارقام العادية للاسبوع ٠

وفى نشر الصحف لمثل هذه السلسلة من الحوادث واظهارها بأنها موجة اجرامية سيصاب الجمهور بذعر حتى أن المتقدمين فى السن سيتحصنون فى دورهم ليلا ، ويعتقد آخرون أن الخروج بعد الظلام غير مأمون العاقبة ولكن كثيرا ما يظهر أن زيادة عدد الجرائم انما هى زيادة موقوته وبعد أسبوع أو أسبوعين يهبط عددها حتى يختفى ثم تخفت معركة النشر والاذاعة ، ومن الغريب أيضا أنه كثيرا مايبلغ ذعر الجمهور من نوع من الجرائم ذروته فى الوقت الذى تدل الدلائل على أن مسببات الذعر فى طريقها الى الزوال ٠ وفيما يتعلق بمنطقة بوليس المدينة فان أحدث مثل أضربه لذلك هو الاضطراب الذى أدى الى اصدار قانون منع الجريمة الصادر فى سنة ١٩٥٣ وهو القانون الخاص بأسلحة الاعتداء ٠

وفى سنتى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ كانت حوادث سرقات العنف تفـــوق ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل الحرب ، وزادت نســـبة الحوادث التى استخدم فيها اللصوص أسلحة نارية بنفس النسبة ، ولكن منذ ســـنة ١٩٤٨ هبطت حوادث السرقات من ٣٧٣ الى ٢٩٨ فى سنة ١٩٥٢ ، أما الحوادث التى استعملت فيها الاسلحة النارية أو أسلحة أخرى فقد كان عددها أقل بكثير من هذا العدد .

وفى أحد الاضطرابات حينما ساد الذعر العام بسبب نشر الصحف لسلسلة من جرائم القسوة لجأت الى الطريق غير المألوف بأن أعلنت أن التحقيق أثبت فى حادثتين أو ثلاث أن لا جريمة على الاطلاق ، وضربت مثلا بحادث اذ تقدمت احدى الفتيات ببلاغ مثير عن اعتداء حصل عليها وثبت أنها عمدت الى ذلك لتبرر أمام والديها أسباب تغيبها خارج المنزل الى ساعة متأخرة من الليل ، والحادث الآخر هو اختراع خفير قصة هجوم ليلى ليستر نتائج اهماله فى الخفارة ، ومما يدعو للعجب أن هذه الخطة غير المألوفة لقيت ترحيبا من الصحف فخمدت موجة الجريمة فى الصحف فى الواقع .

من الســـهل أن ننتقد الصحف ، وأن ننسى الضغط الذى يلابس صدور هذه الصحف ، واذا كنت قد أشرت الى مسائل كان من الميسور تنظيمها تنظيما أحسن فقد فعلت هذا بعيدا عن روح تلمس الاخطاء التافهة ولو فعلت لكنت جاحدا لأنى بمعونة الصحافة وحدها استطعت أن أجعل الجمهور يعلم شيئا عن مشاكلنا وأن نكسب مؤازرته الودية أثنـاء سنى الحرب العصيبة فى المشاكل التى نشأت بسبب قلة عدد رجال القوة .

لقد أصبح النشر فى الواقع جزءا لا غنى عنه من مجموع أسلحتنا ولم نقصر نشاطنا على الصحف اليومية بل مددنا يد المعونة لكتاب المقالات فى مختلف النشرات الدولية وتعاونا فى اخراج برامج عدة فى الراديو والتليفزيون وقد يكون أكثر نجاح لاقيناه فى مطالبة الجمهور لمساعدة نفسه هو سلسلة الاحاديث التى تذاع فى الراديو تحت عنوان « هذه هى أموالك التى يسعون وراءها » . وهذه الاحاديث تصف مختلف وسائل الخداع وقد طلب فيها الى المستمعين أن يأخذوا حذرهم كما أن السينما أتاحت لنا فرصة عظيمة ونحن بجانب التسهيلات التى قدمناها باعطائها أفلاما كثـــيرة معززة بالوثائق عن أعمال مختلف المصـــالح تعاونا مـع ستوديوهات « ايلنج » فى اعداد فيلم « المصـــباح الازرق » الذى أعطى صورة صادقة لجهاد رجل البوليس فى عمله فى قالب قصة جنائية مثيرة

أخذ كثير من تفصيلاتها من حوادث واقعية حدثت في جرائم حديثة العهد . وقد عرض هذا الفيلم فى جميع أنحاء العـــالم فكانت وسيلة قيمة لنشر معلومات عن كفاية رجل بوليس العاصمة وتقاليده العالية .

وبالاضافة الى وسائل النشر هذه نظمنا فى أوليمبيا معارض كثيرة فى المخازن الحكومية وفى القاعات ، ودور السينما توضح عمل البوليس. وتوحى الى الجمهور بوساطة الصور والنماذج باتخـاذ الوســـائل التى يستطيع بها أن يحمى منزله بالالتجاء الى الاجراءات البسيطة مثل احكام اغلاق النوافذ ليلا وتركيب أقفال متينة على الأبواب ، وقد أثمرت بغير شك هذه الوسـائل ثمرتهـا الطيبة ، ولكن المعركة الدائمة التى لا تنتهى هى المعركة التى يكافح فيها عدم التفكير والاهمـــال وهما من حلفاء الجريمة والمجرمين .

ان نحو نصف حوادث دخول المنازل والشقق انما يتم بوســـاطة الابواب والنوافذ التى تترك مفتوحة أو غير محكمة الاغلاق ، وعلى الرغم من التحذيرات المتكررة فان سكان الدور ما زالوا يعلنون عن غيبتهم عندما يسافرون بأن يتركوا صحف الاخبـــار وزجاجات اللبن تتراكم على عتبة الباب أو يضعوا لافتة على الباب مكتوبا عليها (غائبون حتى يوم الاثنين) . وقد بلغت احدى السيدات أقصى حدود الاهمـــال فتركت جواهرها فى الليلة السابقة فى عربة فى فناء لعدة منازل فى ايست اند ، فلما سرقت ولم يكن بد من سرقتها أتت الينـــا . ولمجرد حسن الحظ استطعنا أن نستردها من أحد الذين يخفون الاشياء المسروقة فى ايست اند . وكنا نؤمل أن تأتى التجربة بالحكمة ولكن لا ! فان هذه السيدة تركت جواهرها مرة أخرى فى عربتها بعد بضع ليال ، ولما وصل البلاغ الينا بأنها سرقت ثانية علقت على ذلك باشارة أنا معترف بها اذ كتبت «تستاهل ... !» .

ولا يقتصر الامر على سكان يتيحون الفرص للصوص فان عددا كبيرا من الشركات التجارية تحرض على السرقة بالطريقة التى تتبعها فى توريد ثمن مبيعاتها أو فى تسلم الأجور من البنك فان مهرة اللصوص يضـعون خططهم الاستكشافية بنفس اليقظة والاهتمام بالتفصيلات تماما كما يفعل الضابط الحربى فالرســـول الذى يتخذ طريقـــا واحدا لا يغيره وساعة معينة فى ذهابه وايابه يكون لقمة سائغة . فمن واجبات ادارة تحقيق الجنايات تذكير المصانع بضرر هذه الطريقة وارشادها الى الخطوات الواجب اتباعها لحماية ممتلكاتهم .

وكثير من الشركات لديها أنواع مختلفـــة من أجراس التنبيه ضد

السرقات مركبة فى مصانعها ومبانيها التجارية وبعضها مركب بحيث اذا فتح باب أو نافذة يدق من تلقاء نفسه آلة التليفون ويطلب رقم ٩٩٩ وهذا الرقم يطلب غرفة الاستعلامات فى اسكتلنديارد وتحكى اسطوانة جرامفون العنوان وأن اللصوص دخلوا المبنى ويذاع هذا البيان فورا بالراديو الى عربة البوليس القائمة بالاعمال الدورية وكثيرا ما يصل البوليس فى الوقت المناسب ليجد اللصوص بداخل المبنى وفى احدى الليالى أطلق جرس الانذار فى مصنع واحد ثلاث مرات بوساطة ثلاث فرق من اللصوص مختلفة وقبض على ثلاث عصابات من المجرمين ٠

هذا هو التليفون الذى كان يخشاه جاويش البوليس الشيخ ٠ وقد أصبح أكثر عامل فردى فى مساعدة الجمهور على معاونة قوة البوليس القليلة العدد فى معركة الجريمة ٠ وفى يوليو سنة ١٩٣٧ وضع اتفاق مع مصلحة البريد العامة بمقتضاه أنه اذا طلب رجل فى لندن رقم ٩٩٩ بالتليفون يوصل فى الحال بالبوليس أو بادارة المطافىء أو بادارة الاسعاف، ثم وسعت هذه الخدمة حتى شملت المملكة كلها وأخذ عدد هذه المكالمات التليفونية مع بوليس العاصمة يزداد باستمرار ٠ فبعد أن كان عددها ٣٥٫٠٠٠ فى سنة ١٩٤٥ وصل الى ١١٠٫٠٠٠ فى سنة ١٩٥٢ ، وفى خلال هذه المدة ارتفع عدد الذين قبض عليهم رجال بوليس السيارات اللاسلكى من ٤٫٤٦٢ الى ١١٫٠٠٠ وبطبيعة الحال كان عدد كبير من هذه المكالمات وصل بعد فوات الوقت المناسب أو حصل بطريق الخطأ ولكن لا بأس من تحمل هذه المكالمات الفاشلة اذا كانت النتيجة تسفر عن القاء القبض على واحد من كل عشرة ٠ فان القاء القبض يضع حدا لاعمال السارق الذى ان لم يقبض عليه قد يمرح ليلة بعد أخرى الى أن ينتهى المطاف به الى القبض عليه بعد أن يكون قد ارتكب خمسين حادثا أو أكثر ولكن حينما يقبض على اللص متلبسا بالجريمة فان هذا يؤدى الى اقتصاد كبير فى وقت رجال البوليس الثمين والا كان عليهم أن يبدءوا تحرياتهم من بدء الشوط ٠

وانتهزت كل فرصة لاشاعة نظام ٩٩٩ مشجعا الجمهور للافادة منه وجاءت البيانات تترى من جهات لم يكن فى الحسبان أن تتصل بنا وقد أثمرت الجهود ٠ والقصة التى أخصها بالذكر لفرط سرورى بها هى قصة صبيين فى نحو الثامنة من العمر كانا يلعبان عادة فى الشارع القريب من مدخل يؤدى الى فناء مزدحم بالبضائع فى الايست اند بلندن وكان قد تعرف بهما سائقو عربات النقل الثقيلة التى تدخل الى الفناء وكانوا كلما

اقتربوا منهما يحيونهما بكلمة طيبة وابتسامة ، وفى ذات يـــوم خرجت سيارة نقل وعوضا من أن يتلقيا التحية المعتادة فوجئا بعبوس ولعنة من سائقها ، فقال أكبرهما هذا أمر غريب لابد أن فى الامر سرا فخذ رقم السيارة وسأدير رقم ٩٩٩ بقرص التليفون ونتيجة لهذا الاجراء أوقفتها سيارة البوليس ووجد أنها تحمل بضـــائع مسروقة وانتهت القصة بهذه الخاتمة السارة · أما الولدان فقد زار مفتش البوليس بعد أيام مدرستهما وبحضور زملائهما فيها وجه اليهما الشكر نيابة عنى وقدم اليهما هـدية صغيرة تقديرا لحسن عملهما ·

وغرفة الاستعلامات تقع فى أسفل مبنى اسكتلنديارد وهى مركز لجهاز البلاغات الواردة الى بوليس العاصمة ويتصل مركز التجمع بجهاز تليفونى خاص مع جميع مراكز البوليس وصناديق البوليس والتليفونات المقامة على الاعمدة ، ويوجد ٤٠٠ صندوق بوليس زرقاء اللون مقامة على أعمدة تليفونات فى جميع أنحاء لندن ويتصل كل منها بخط يتصل مباشرة بالجهة المحلية التابع اليها ، وبواسطتها يستطيع ضابط الدرك أن يبلغ عن أى أمر يحتاج الى عناية أو يمكن استدعاء البوليس بواسطة وميض الضوء فى أعلى الصناديق · وغرفة الإستعلامات هى الاخرى مركز شبكة « الآلة الكاتبة عن بعد » وتمتـــد الى كل قسم وفرقة ومحطة بوليسية وجراج القسم ويستطاع بهذه الشبكة أن يذاع المطلوب بالراديو فى وقت واحد على مساحة غاية فى الاتساع ان احتاج الامر وتمتاز بتجهيزها بآلة تسجل على الآلة الكاتبة ما تتلقاه من رسائل ·

وسر نجاح غرفة الاستعلامات هو فى اتصالها السريع باللاسلكى المزدوج بمائة وسبع عشرة سيارة لاسلكية فى كل منها كونستابلان أو أكثر تقوم بأعمال الدورية فى كل قسم طوال الاربع والعشرين ساعة ، واتصالها أيضا بثمان وأربعين سيارة مرور وفرقة حوادث وموتوسيكلات، وباتصالها بالمنشآت النهرية لقسم التيمز وباتصالها أخيرا بسيارات حرف (ك) التى ليس من السهل حسبانها سيارات بوليس ، وكذلك اتصالها بعربات أخرى تابعة للفرقة الطائرة لادارة المباحث الجنائية ·

ويجرى العمل بغرفة الاستعلامات ليلا ونهارا بوساطة ضباط ذوى خبرة طويلة فى أعمال البوليس وينهال عليهم فيض من الاشارات مرسلة من محطـــات البوليس ، وبوليس الدركات ، ومن بوليس الســـيارات والموتوسيكلات والسفن النهرية ، ومن أفراد الجمهور المبلغين بواسطة ٩٩٩ · ويوجد على أربع موائد يعلوها زجاج فى غرفة الاستعلامات خرائط

ذات مقياس كبير لاقسام بوليس العاصمة مؤشر عليها بعلامات ذات أشكال والوان مختلفة تمثل جميع العربات والقوارب المكلفة بالاعمال البوليسية، وعندما تستدعى احداها وترسل فى مهمة أو تعطل بسبب ما توضع عليها حلقة ملونة حتى أن الضباط الموجودين بغرفة الاســـتعلامات يرون لأول نظرة أى الوحدات يمكن استدعاؤها ، وأيها أقرب الى المكان الذى يراد أن ينقل اليه رجال البوليس وبمثل ذلك يمـــكن توجيه فرق المرور وفرق الحوادث الى الاماكن التى تستدعى العناية بها لوقوع حوادث فيهـــا أو غارات سطو ومنذ سنة ١٩٥١ جهز عدد من الموتوسيكلات للاستجابة الى النداءات اللاسلكية التى تصدر من غرفة الاستعلامات ٠

وعندما يتوقع حدوث تجمعات أو اشتداد حركة المرور كما يحدث فى حفلات الدربى أو حفـلات التتويج تســـتخدم بعض أو كل العربات المخصصة للمواصلات ، وبها يستطيع الضباط المنوبون أن يحصلوا من غرفة المراقبة المخصصة لمثل هذه المناسبات على صورة وافية بما يجرى فى دائرة اختصاصهم ويمكن طلب المعونة اذا احتاج الامر الى ذلك ٠

وجاء استخدام الراديو « السائر ـ الحاكى » بنتـــائج طيبة فى تعزيز عربات المواصلات ودوريات المرور فى الايام المليئة بالعمـــل ، أو لنداء الاحتياطى عندما تنذر الفوضى بسوء المصير ، وكذلك عندما تراقب ادارة المباحث الجنائية دورا ينتظر أن ترتكب فيهـــا جريمة ، ففى بعض الاحيان يكلف أحد الضباط المزودين بالجهاز «السائر ـ الحاكى» بالمراقبة ، ولا تستدعى الفرقة الرئيسية الى محل الحادث الا عنـــدما يحين الوقت المناسب لحضورها ٠

حدث فى ابريل سنة ١٩٥٣ تصادم بين قطارين من القطارات التى تسير تحت الارض فى نفق بين محطتى « سترانفورد ولايتون » وقتل عشرة أشخاص وأصيب خمسون بجروح خطيرة وبواسطة غرفة الاستعلامات فى اسكتلنديارد استدعيت فرق المطافى وعربات الاسعاف من لندن واسكس ووست هام ، وأسرع بوليس فرقة (ك) بالعمل فنقلوا ممرضات وأطباء وأجهزة الى محل الحادث وقد اتخذ البوليس العدة لاستعمال الجهـــاز «السائر ـ الحاكى» ، ولو أنه نظرا لكمية المعدن التى بالنفق فقد كانت الاشارات الى مسافات قصيرة نسبيا وظل العمل قائما بحالة مرضية طوال الليل حتى ظهر الخط فى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى ٠

ما من يوم يمر الا ويزداد اعجابى بغرفة الاستعلامات وهى تمارس عملها ، ففى أحد أطراف هذه الغرفة الطويلة الخضراء البيضاء حيث توجد

لوحة خطوط تليفونات لاستقبال نداءات ٩٩٩ ، وحيث يوجد فى الطرف الآخر سيل لا ينقطع من الرسائل الصادرة عن محطة الاذاعة (م ٢ ج و) — وهذا هو اسم غرفة الاستعلامات — والمرسلة الى السيارات والسفن التابعة لأقسام البوليس ٠

ويرجع الفضل فى بعض أعمال الضبط الحاذقة الى رجال غرفة الاستعلامات وسيارات اللاسلكى ٠ فمثلا ظهر فى أحد الايام من مارس سنة ١٩٥٠ أن وصلت اشارة عاجلة من تليفون « سبيدول » تنبىء بأنها تلقت من « جولدرز جرين » طلبا باستدعاء البوليس اليها ، فاتجهت سيارة اللاسلكى وسيارة حرف (ك) الى المكان ، وكان رجال سيارة اللاسلكى أول من وصل الى مكان الحادث فوجدوا أن ثلاثة رجال اقتحموا المنزل حيث قيدوا الخادمة وكمموا فمها ، وبعد أن سرقوا بعض المتاع فروا هاربين ، وعرفت أوصاف المتهمين وأجرى البوليس تفتيش المنطقة ٠ وفى خلال عشرين دقيقة قبض على اثنين من اللصوص وبعد بحث طويل قام به رجال سيارة أخرى حرف (ك) وجدوا الثالث ٠ وفى حادث آخر وردت اشارة من خفير « ستراتفورد » يبلغ فيها أنه يشتبه فى سلوك سائق سيارة دائمة الانتظار خارج المصنع فوصلت سيارة البوليس اللاسلكية فلم تجد بالسيارة أحدا ولما كانت رخصة الضريبة التى على السيارة يظن أن بها تغييرا فقد أبلغ الضابط رقم الآلة المحركة والشاسيه الى غرفة الاستعلامات بالتليفون الاذاعى لمراجعتها ، وبعد دقائق قليلة أجابت غرفة الاستعلامات بأن السيارة مسروقة وأن الرقم الموضوع عليها ليس لها فوضعت تحت رقابة البوليس حتى عاد السائق واعترف بأنه سرقها من بيكادللى ٠

وتوجد بطبيعة الحال حوادث لمطاردة السيارات مثيرة دائما وتقع عادة فى الليل وعلى طول شوارع لندن الخالية من الناس ، وربما كان أشهر حوادث المطاردة هو ما جاء بتقرير بوليس « سرى » عن لصوص اقتحموا نادى «جولف» قريبا من لندن وسرقوا منه كمية كبيرة من الويسكى وأرسل فى الحال تنبيه لاسلكى الى جميع سيارات البوليس فى جنوب غربى لندن ، وبعد دقائق قليلة أبلغ رجال سيارة لاسلكية أنهم شاهدوا سيارة سوداء (صالون) تتفق مع الاوصاف المعطاة وأنهم يتعقبونها متجهين شمالا فى الطريق الرئيسى المفضى من « ستينز» الى لندن ، وعندما وصلت هذه الاشارة صدرت الأوامر الى سيارتين من سيارات اللاسلكى بأن تحاولا اعتراض السيارة السوداء ، وأثناء ذلك شعر اللصوص بتعقب

البوليس فزادوا سرعتهم ولما وجدوا أنه يستحيل عليهم الهرب من سيارة البوليس أخذوا فى قذف رجالها بزجاجات الويسكى بقصد كسر الزجاج الامامى لسيارة البوليس ولكنهم أخطأوا الهدف ، ولما ظهرت أمامهم سيارتا البوليس المعترضتان مالوا بالعربة لكى يفادوهما فاصطدموا بعمود التلغراف وانتهت بذلك هذه المطاردة المثيرة .

ولبيان مقدار العمل الذى قامت به غرفة الاستعلامات خلال شهر يونيو سنة ١٩٥٣ نذكر أن ١٢٫٠٣٠ نداء وصلت من مراكز البوليس ١٤٢٦ من ضباط البوليس ولا أقل من ١٠٫٠٨٩ من أفراد الجمهور وهذه الارقام ذات دلالة واضحة على الطريقة التى أمكن بها الاتصالات السريعة بين البوليس الميكانيكى والجمهور اليقظ ليساعدوا قوات البوليس الصغيرة نسبيا فى تأدية واجبها فى سنوات ما بعد الحرب عندما زادت الجرائم زيادة مفزعة والتى استغل فيها المجرم الوسائل الحديثة فى التحرك السريع .

وطريقة الاتصالات هذه امتدت الى ما وراء البحار بواسطة اللجنة الدولية للبوليس الجنائى وهى لجنة تمثل البوليس فى نحو خمسين دولة ينوب عنها مديرو وضباط المباحث الجنائية فيها ، ولهذه اللجنة شبكة لاسلكية تبدأ من باريس وتشمل جميع الدول الاوربية الخارجة عن الستار الحديدى ، ويمكن بواسطتها أن ترسل على وجه السرعة الاستفتاءات والاستعلامات وتنشر سكرتارية اللجنة بانتظام البيانات المتعلقة بالمجرمين الدوليين . وكان نتيجة لذلك أن وقع كثير منهم فى أيدى البوليس ، ولهذه اللجنة فرع خاص فى هولندا مختص بمسائل التزوير والتقليد . وقد استطاع بمساعدة ادارات البوليس الوطنية أن يكون مجموعة كاملة لكل أنواع تزوير العملة وتقليدها وبهذه الطريقة أمكن الحد من نشاط العصابات التى تقوم بتزييف الاوراق النقدية وأصبح بوليس مختلف الدول التى يعنيها الامر قادرا على الاشتراك فى مكافحة هذه التجارة غير المشروعة .

وفى بلادنا هذه يقوم رجال اسكتلنديارد بدور البوليس الوطنى المحلى والبوليس الوطنى المركزى نيابة عن جميع قوات البوليس ، ولذلك فان غرفة الاستعلامات على اتصال مستمر مع باريس وعدد الرسائل المتبادلة بينهما آخذ فى الزيادة المستمرة سنويا منذ الحرب وقد بلغت فى سنة ١٩٥٢ نحو ألفى رسالة .

ومن الشواهد البارزة على تعاون الاهالى مع البوليس ما تشتمل عليه

سجلات لجنة الانتخاب التى تمنح مدالية « بنى » • ففى كل عام تقدم تقارير البوليس عن أعمال الشجاعة التى يقوم بها المدنيون تأييدا للقانون والنظام ، وهى مكونة من حكمدارى المدينة والعاصمة وكبير القضاة وأحد كبار ضباط البحرية ومندوب عن شركة «جولد سمث» المعينة لأمانة صندوق المؤسسة ، وقد أخذ عدد الحالات المعروضة فى الازدياد سنة بعد أخرى ؛ وقد بلغ تأثر اللجنة بمستوى الشجاعة الذى تضمنته الحوادث أن قررت بناء على اقتراح اللورد ماونتباتن الذى كان عضـوا باللجنـة أن تصدر شـهادات لرجال وسيدات قاموا بأعمال أظهرت المسـتوى المطلوب من الشجاعة ، ولكن لم تبلغ درجة استحقاق المدالية • وقد منـح منذ ذلك الحين ثلاثون ميدالية من بينها ست لسيدات !!

وفى سنة ١٩٥٠ منحت ميدالية « بنى » الى « مستر توماس تمبل » أحد سكان « بجن هل » • ففى ليلة ٢٧ من سبتمبر استيقظ مستر تمبل قبيل الساعة الواحدة على صوت جرس تنبيه خاص مركب ضد السرقة فى حانوت مجاور للحانوت الذى يديره فاستدعى البوليس المحلى وبعض عمال المحل وارتدى ملابسه وخرج الى الشارع وفى هذه اللحظة وصل البوليس ، وبعد معـاينة سريعة للمبنى دخـل مسـتر تمبـل وأحد الكونستابلات وترك الآخرين للمراقبة من الخـارج ، وبينما كان المستر تمبل يقترب هو والكونستابل من المكتب بالطابق الأول خرج منـه أحد الرجال وشهر مسدسه وأطلقه نحوهما ثم لحق به فى الحال رجل آخر وجريا معا من المكتب واختفيا فى أحد الاركان • أما تمبل ورجل البوليس فلم يأبها باطلاق النار واستمرا فى تعقبهما واشتبك رجل البوليس مع اللص الثانى واذا باللص الأول يتحول ويطلق رصاصتين أخريين أصابت احداهما الكونستابل ثم هبط اللصان السلم وفى إثرهما مستر تمبل •

افترق الرجلان ثم سمع تمبل صوت زجاج يتهشم فاستنتج تمبل من ذلك أن رجل البوليس الذى يحرس المبنى من الخارج تمكن من القبض على أحدهما فعاد مستر تمبل الى الكونستابل الجريح ليقوم بمساعدته فوجده راقدا على الأرض وفوق رأسه يقف اللص الثانى ، وتناول مستر تمبل قطعة ثقيلة من الخشب واستطاع أن يبعد اللص عن الكونستابل وحاصره فى ركن من المبنى الى أن وصل اليه المدد •

قابلت عدة مرات فى شتاء سنة ١٩٥١ الفائزة بمدالية « بنى » وهى مسز «فيليس هولمان ريتشاردز» انها سيدة نحيفة القوام متوسطة السن

والطول ، ليست بنيتها بنية نضـــال ، وفى صباح ١٧ من ابريل حاول رجلان مسلحان بقضيبين حديدين ثقيلين أن يهشـما ويسرقا محل تاجر مجوهرات فى شارع سلون فحطم أحدهما نافذة المحل ووقف الثانى يرقب الطريق فى الخارج وانتظر ثالث على مقربة فى سيارة مسروقة وتصادف وجود أحد رجال البوليس الرسميين قريبا من المكان فاشتبك فى الحال مع اللص الذى كان فى نافذة المحل . ورأى اللص الثانى ما وقع فأسرع الى مساعدة زميله وتضافر اللصان على مهاجمة رجل البوليس والاعتداء عليه بالقضبان الحديدية .

فى هذه اللحظة كانت مسز ريتشاردز تغادر الاتوبيس على مسافة قريبة من مكان الحادث فاستغاثت وجرت نحو اللص الثانى وقبضت على ذراعه لتمنع اعتداءه على ضابط البوليس مرة أخرى ومع أنها كانت عرضة لخطر الاصابة فقـــد تعلقت به فى اصرار الى أن وصل مدد من البوليس وقبض على اللصين ، وعندما قدما للمحـــاكمة أثنى القـــاضى على مسز ريتشاردز فكان تعليقها أنه أعطيت أهمية مبالغ فيهـــا لما قامت به فهى لم تفعل أكثر من أنها أسرعت فجرت عندما رأت ما يحدث ، فحيال امرأة كهذه لا يرى الرجل المجرم داعيا لمنازلتها .

وهن بدورهن تخدمهن قوة بوليسية لا مثيل لها ، وفى كل عـــام خلال مدة مباشرتى أعمال الحكمدار كان يفد الى اسكتلنديارد زوار من قوات البوليس فى سائر أنحـــاء العـــالم ليروا ويدرسوا نظام بوليس العاصمة ، وكان بعضهم يأتى ولا غرض له الا الاستعلام عما يعدونه سرا للعلاقات الطيبة القائمة بين بوليس العاصمة وأهالى لندن ، ففى بلادهم كثيرا ما ينظر الى رجل البوليس كأنه من طبقة منفصلة ان لم ينظر اليه كعدو لرجل الشارع .

انهم يتســـاءلون كيف بلغ رجل البوليس تلك المكانة المرموقة بين مواطنيه الذين يحترمون القانون ويعدونه صديقا ومعينا ؟ .

كان جوابى دائما أن هذه العلاقة لا تتم بين يوم وليلة ، وان ماوضعه ماين وروان » من مبادىء كان واجبا أن يوضع منذ قرن مضى ، فالأجيال المتعـــاقبة من مجندى البوليس كانوا ينشأون فى المدرسة على أن يعدوا أنفسهم خداما للجمهور لاسادة ، وكانوا يتعلمون أن واجبهم يقتضيهم أن يكونوا منصفين عندما يقدمون أحد المجرمين فى قضية أمام المحكمة ، وأن واجبهم ينتهى قبل المتهم بمجرد وضع القضية بين يدى المحكمة .

ويجب ألا يهتموا بعد ذلك بما تصدره المحكمة من أحكام واذا كان

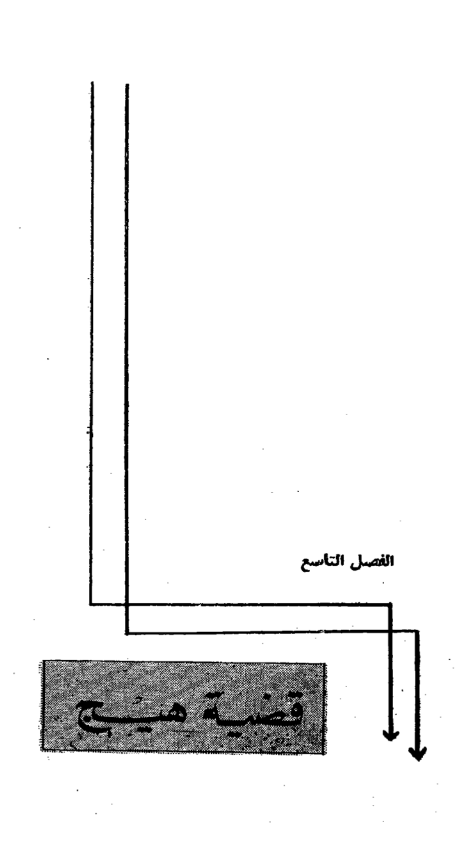
لديهم ما يقولونه ضد المتهم فيتحتم عليهم ألا يخعوه عن المحكمة بعد الاتهام ، واذا ظهر لهم أثناء التحقيق دليل فى مصلحة المتهم بلغوه بطبيعة الحال الى الدفاع عن المتهم .

وتدليلا على الدقة التى تتبع لتجنب أى اجحاف فنذكر الحادثة التالية وهى ليست فريدة فى نوعها .

بعد بضعة أشهر من فرض قيود عدم الانتظار فى لندن ، وهى القيود التى تعد من المخالفات انتظار السيارات فى شارع وضع على مصابيح اضاءته شريط أصفر ، أو فى مسافة الخمس عشرة ياردة . الاولى من الشوارع الجانبية الموصلة الى الشارع ذى الشريط الاصفر وجد أنه حصل خطأ فى تحديد المساحة الممنوعة من الشوارع الجانبية فزيدت المسافة عدة ياردات فاستدعى عدد من سائقى السيارات وأدين بعضهم على أنهم انتظروا بسياراتهم فى المناطق الممنوعة وان كانت فى الواقع أبعد عن المسافة التى تقضى بها التعليمات فصدرت فى الحال التعليمات بدراسة ملف كل قضية فاذا كان الاتهام لم يوجه بعد سحبت القضية ، أما اذا كان قد صدر قرار بالادانة فكانوا يتوجهون الى وزير الداخلية بأن يمنحوا عفوا شاملا فكان يصدر العفو .

كثيرا ما يصف المجرمون رجال البوليس بأنهم وحوش لا أقل ولا أكثر ، تماما كما يصف التلميذ ناظر مدرسته ، وكم من سجين قضى عقوبة السجن فشعر بأنه مدين لضابط البوليس الذى قاده الى المحاكمة فكان ذلك باعثا ليعود الى ميدان العمل .

فى ارلندا قبل المعاهدة وفى الملايو أخيرا رأينا الصعوبات التى يلقاها رجال البوليس اذا ما أحاط بهم أهال معادون أو واقعون تحت سلطان الخوف منهم لأنه لا توجد قوة لا يسندها الرأى العام تأمل أن تنجح فى أداء عملها وهى تحتاج الى وقت طويل لكى تكتسب هذه الثقة ولكن هذه الثقة سريعة الزوال اذا جانب التوفيق عددا ولو قليلا من رجال البوليس بأن تملكهم الغرور والعجرفة وجانبوا الحكمة والصواب ورجال البوليس أقدر من غيرهم على معرفة ذلك ، وهم أول من ينتقمون لمسلك من ينال من سمعتهم ، ونتيجة لهذه الاعتبارات يعولون دائما على مساعدة الجمهور فى المحافظة على الامن العام .



الفصل التاسع

قضية هيج

اختفاء مسز « ديوران ديكون » ـ ثقة هيج بنفسه ـ أقوال هيج الاولى ـ تعقب مجوهرات مسز «ديوران ديكون» . اعتراف هيج بأنه أتلفهـــا بالاحماض ـ القـاء القبض عليه واعترافه بارتكاب خمس حوادث قتل أخرى ـ مقالات الصحف تؤثر فى المحاكمة ـ محاكمة صحفى لعدم احترامه المحكمة ـ محاكمة « هيج » وادانته ـ قواعد ماكنوتن ـ اقتراح استبدال عقوبة الاعدام .

فى احدى القضايا الشهيرة التى وقعت فى خـــلال مدة خدمتى كحكمدار سببت الصحافة لاسكتلنديارد كثـــيرا من القلق حتى أننا فى احدى المراحل كدنا نتخلى عن اتهـــامنا الرئيسى فى قضية « لجون جورج هيج » .

كانت قضية قتل « هيج » لمسز « ديوران ديكون » من أشنع ما واجه اسكتلنديارد ، وكان من أعجب الظواهر فيها التناقض بين طريقة « هيج » المحكمة فى اتلاف الجثة وافراطه فى الثقة بنفسه بغـــير مبرر ، فلم ير المتهم نفسه فى حاجة لاخفـــاء تحركاته أو غنائم جريمته . ومن المأثور أن المجرم مهما توخى الحذر فقد يغفـــل عن شىء تافه قد يكون هو أس البلاء ومصباح الاتهام ، ولكنه فى هذه القضية لم يكن الامر أمر نسيان وقد شجعه نجاحه الماضى فيما ارتكب من اجرام ، وظن أنه حيث لا توجد جثـــة قتيل فلا يتيسر توجيه تهمة القتل ، وعلى ذلك ترك هيج فى ازدراء سلسلة من الآثار لابد من أن تدينه اذا التقطت وشرع فى التحقيق ، وفضلا على ذلك فقد أخذ على نفسه أن يبدأ فى التحقيق فعلا ، وحصل أنه فى حوالى الثانية بعد ظهر يوم ١٨ منفبراير ١٩٤٩ أخبرت مسز « ديوران ديكون » وهى سيدة فى الستين من عمرها قضت

بعض الوقت فى فندق « اونسلوكورت » فى سوث كنسنجتون ـ صديقتها مسز «لين» أنها ذاهبة لمقابلة مستر « هيج » وقالت « انى ذاهبة الى بيته حيث يجرى تجارب على أشياء مختلفة » ٠

ومنذ ذلك الوقت اختفت عن الاعين ولم يرها أحد ٠

وفى اليوم التالى لاختفائها توجه « هيج » نفسه الى مسز لين فى الفندق ، وسأل عما اذا كانت مسز ديوران ديكون مريضة ، وقال انى كنت أنتظر أن أنقلها بسيارتى من مخازن الجيش والبحرية ولكنها لم تف بوعدها فانصرفت بعد أن بلغت الساعة الرابعة الا خمسا وعشرين دقيقة ٠

وعاد يسأل عنها فى اليوم التالى ، ولما أخبرته مسز لين أنها اعتزمت ابلاغ الامر الى البوليس ٠ قال هيج : يحسن بنا أن نتوجه معا وفعلا ذهبا الى بوليس « شلسى » حيث ألح هيج أن يثبت اسمه ٠

وفى ٢١ من فبراير كلفت الجاويشة البوليسية «لامبورن»أن تقوم بالتحريات المعتادة عن الغائبة وهى من الكثيرات المبلغ عن اختفائهن ، ولم تسفر التحريات عن جديد ٠ ومع ذلك فقد قابلت الجاويشة «لامبورن» المدعو هيج مسترشدة بالحاسة السابعة التى يتمتع بها رجل البوليس المتين أو المرأة البوليسية الذكية وأبلغت رؤساءها أنها ترى أن فى هذا الاختفاء أمرا مريبا ٠

بعد أن وجه هيج الانظار تجاه شخصه لم يستطع أن يتجنب الانوار الكاشفة فقد قابله فى نفس هذا اليوم مفتش بوليس الفرقة وأخبره هيج أنه يعمل مديرا لشركة منتجات هرستلى ليمتد ، وهى شركة لها مصنع فى بلدة كرولى حيث يتوجه اليها مرة أو مرتين فى الاسبوع وانه تعرف الى مسز ديكون منذ ثلاث سنوات وعرض لها أثنـــاء الحديث معه فكرة عن عمل نوع جديد من طلاء الاظافر ، وانه اقترح عليها انشاء صناعة لهـذا الطلاء وانه على استعداد لمصاحبتها الى كرولى بعد ظهر يوم ١٨ من فبراير وكان البرنامج المتفق عليه أن يتقـــابلا فى منتصف الثالثة مساء عند مخازن الجيش والبحرية ، وقبيل هذا الموعد رآها تغادر الفندق مرتدية قبعة سوداء ، وكساء أسود من الاستركان ، ويتدلى من عنقها سلسلة بها صليب من نحاس أصـفر ، وتحمل فى يدهـــا حافظة حمـــراء من البلاستيك ٠

وطبقا لاقوال هيج تكون مسز «ديوران ديكون» قد أخلفت موعدها معه وبعد أن انتظرها حوالى ساعة فى المكان المتفق ذهب وحده الى«كرولى»

ثم قدم بيانا عن تحركاته في كرولى فى هذا المساء (وهو بيان اتضح فيما بعد أنه غير صحيح) ٠

استجوب هيج عدة مرات ، وفى يوم ٢٦ من فبراير بناء على طلب بوليس «شلسى» توجه أحد جاويشية رجال البوليس السرى فى « وست سكس» الى مخزن وفناء أحد البنائين فى شارع ليوبولد بمدينة كرولى وكان هذا المخزن تابعا لشركة منتجات هرســـتلى فوجد ثلاث دمجانات تحتوى على مايشبه الاحماض ووجد حقيبة من الجلد وصندوقا كبيرا من الجلد للقبعات عليه حرف H وكان فى صندوق القبعات مسدس من عيار ٣٨ر٠ من ذوات الست العيون ماركة انفيلد مع ثمانى رصاصات وأوراق بأسماء مسز روزالى الى مارى هندرسون ودكتور ارشيبالد هندرســون ودونالد ماكسوان ووليم دونالد ماكســـوان وأمى ماكسوان وفى الحقيبة أوراق أخرى عليها أسماء أفراد اسرة ماكســـوان وعقد باسم هيج وفى بطاقة التموين وجد ايصال مؤرخ ١٩ من فبراير من محلات تنظيف بمدينة «راى جيت» عن فراء عجمى ٠

سئل هيج عن هذا الايصال فى ذلك اليوم فقال انه خاص بكساء لمسز هندرسون وذكر موظفو محل التنظيف أن الكساء أحضره رجل فى ١٩ من فبراير ولما عرض الثوب على شقيقة مسز ديوران ديكون وعـلى صديقتها تعرفتا على أنه الثوب الذى كانت ترتديه الغائبة فلم يبق الا قليل شك فى أنه ثوبها غير أن الشك تبدل باليقين عندما جاء تقريرفحص المعمل الكيماوى باسكتلنديارد بدليل جديد فقد عثر على قطعة من نفس القماش بغرفة ديكون ووجد أيضا أن بعض حواف قطعة القماش تتفق مع حواف كم الثوب تمام الاتفاق كما وجدت قطعة أخرى بها أثر التـــآكل تنطبق على قطعة مماثلة من القماش استخدمت لاصلاح ذيل الثوب ٠

ونتيجة لمقالات نشرتها الصحف حول اختفاء مسز ديكون تقدم أحد أصحاب محلات الرهونات في مدينة مورشام ببيان عن مجوهرات أحضرها له أحد الرجال فى ١٩ من فبراير ، ولما كان صاحب المحل غير موجود فقد ترك الرجل المجوهرات وعاد يوم ٢١ منه وقدرت قيمتها بمبلغ ١٣١ جنيها وكانت تتألف من خمسة خواتم وعقد من اللدائن ومشبك وحلقان ودبوس لرباط الرقبة من حجر كريم «عين القط» موضوع فى علبة حمراء وصفان من اللؤلؤ «المزروع» ومشبك من زمرد وماس ، ومع أن هذا الرجل انتحل لنفسه اسما غير اسمه فان عامل المحل تعرف عليه بانه هو هيج المقيم فى فندق «اونسلو كورت» وانه تعامل معه فى سنة ١٩٤٨ ٠

في اليوم التالى بعد أن بدأ البوليس فى تحرياته توجه هيج الى محل الرهونات وأعلن قبوله ١٠٠ جنيه ثمنا لبعض المجوهرات فدفع اليه فى ذلك اليوم ستون جنيها ، ثم أربعون أخرى فى اليوم التالى ، وقد تعرفت شقيقة مسز ديكون على هذه المجوهرات بأنها من ممتلكات أختها ٠

وبناء على ذلك طلب الى هيج أن يتوجه الى مركز بوليس « شلسى » وفى مساء ٢٦ من فبراير عاد مفتش بوليس مباحث الفرقة من هورشام واستجوبه فاعترف هيج بأن الثوب والمجوهرات كانت لمسز ديكون وحينما طلب اليه أن يقدم ايضاحا قال :

«انها أسطورة طويلة قد تجر فى ذيولها الكثيرين» ٠

ولما ترك هيج مع المفتش وحدهما قال فى برود : اخبرنى مـــا هى فرص الافراج عن شخص ما من سجن «برود مور؟» ٠

فرفض المفتش أن يجيب عن سؤاله وعندئذ قال هيج : لو أخبرتك بالحقيقة لما صدقت ، انها أمعن فى الخيال من أن تصدق !

وعندئذ حذره الضابط ٠

قال هيج : «انى أدرك كل هذا ، ان مسز ديكون ليست فى عداد الأحياء ، وانها اختفت تماما ولن يوجد لها أثر ٠ لقد قضت عليها الاحماض وستجدون بقاياها فى «ليوبولد رود» ٠ وقد اتبعت نفس الطريقـــة مع أفراد أسرتى هنـــدرسون وماكسوان فاختفى كل أثر فكيف تستطيعون أن تثبتوا على تهمة القتل اذا لم تجدوا الجثة !

حذر هيج مرة أخرى ثم قدم بيانا مسهبا سجله عليه بالكتابة مفتش الفرقة ٠ وجاء فيه أن هيج ومسز ديكون توجها الى كرولى فى ١٨ من فبراير فى عربته ولما وصلا الى المخزن اطلق الرصاص على رأسها من الخلف أثناء ما كانت تفحص بعض الأوراق التى كانت تظن أن فيها ما يصلح فى صناعة طلاء الأظافر ، ثم أحدث جرحا وخزيا فى عنقها بمطواته ، ثم جمع بعض دمهـــا فى كوب وشربه ، وبعـــد ذلك نزع ثوبها الاستركان ومجوهراتها ووضع جثتها فى وعاء يسع ٤٥ جالونا ، ثم خرج ليشرب الشاى فى أحد مطاعم كرولى ٠

ولما انتهى من تناول الشاى عاد الى «ليوبولد رود» وتمكن بوساطة مضخة تدار بالقدم أن ينقل بعض حامض الكبريت من احدى الدمجانات الى الوعاء الكبير ثم تناول عشاءه فى فندق «جورج» بناحية كرولى ثم عاد

الى «سوث كنسنجتون» فى اليوم الثانى وذهب مرة أخرى الى كرولى وفى الطريق باع ساعة مسز ديكون الى تاجر مجوهرات فى « بنتى » بعشرة جنيهات وعقب معاينة الوعاء فى «ليوبولد رود» ذهب الى محل الرهونات فى هورشام ومعه الجواهر حيث ترك معطف الاستركان «الفراء العجمى» لتنظيفه فى «ريجيت» .

وفى يوم الاثنين ٢١ من فبراير عاد الى كرولى ، ولما وجد أن الجثة لم تذب تماما أفرغ ماذاب ونقــل الى الوعاء كمية اضافية من الحامض بوساطة المضخة وبعد أن تم ذلك عاد لزيارة محل الرهونات وتسلم ستين جنيها فى ذلك اليوم وتسلم أربعين أخرى فى اليوم التالى .

وفى يوم ٢٢ منه وجد أن جثة مسز ديكون قد تحللت فألقى نفايتها خارج المخزن ، وأما الشىء الوحيد الذى لم يذب فكان حافظة يدها الحمراء المصنوعة من البلاستك فألقاها مع النفاية .

وقال ان المسدس الموجود بصندوق القبعات هو الذى اسـتخدمه فى قتل مسز ديكون وأضاف الى ذلك أنه أخذ قلم حبر ونحو ثلاثين شلنا نقدا كانت فى حافظة يدها قبل أن يضعها فى الوعاء ، أما الصليب الذى كان على السلسلة التى كانت تتقلدها فقد دفنه فى الارض المجاورة لسور فى حارة بناحية «بكستد» هو وبعض المفاتيح التى أخذها من القتيلة ، وأخيرا قدم بيانا بحوادث القتل التى ارتكبها منذ سنة ١٩٤٤ الى سنة ١٩٤٨ وكانت ضحاياه فعلا ثلاثة أشــخاص هم ماكســوان والدكتور هندرسون وزوجته .

وبذلك انتهت هذه التحقيقات التى تولاها كونستابلات وست سكس وعندئذ طلب رئيس الكونستابلات بوست سكس معونة اسكتلنديارد ، وفى أول مارس فتش بوليس العاصــــمة فناء البنــاء ومخزن أدوية ليوبولد رود . فعثر فى المخزن على مبراة وقطعتين من السيلوفان الأحمر ومعطف وكمامة غاز وحقيبة ووزرة من المطاط وقفازين من المطاط وبعض بقع دموية على بياض الجدار وأخذ عينات من الدمجانتين وكان لا يزال بهما سائل وأخذ من الفناء جردلا وعصا خشــبية وبعض التربة وبقايا الجثة .

وفى مساء اليوم نفسه فتشت غرفة هيج فى فندق «أونسلو كودت» فعثر على قميص أزرق وجد على أكمامه مايشتبه فى أن تكون بقعا دموية وعندمـــا عرض على هيج قرر أنه له ووافق على أن الدماء هى دماء مسز ديكون وقد سلمت هذه الادوات الى مدير معمل اسكتلنديارد وأرسل هيج الى بوليس هورشام ووجهت اليه رسميا تهمة قتل مسز ديكون .

واختبر خبراء المعمل البقايا والتربة التى أخذت من فنـاء كرولى فوجدوا فيها مقبض حافظة حمراء من البلاستيك ، وأسـنانا صناعية ، وثلاث حصوات من حصوات المرارة ، وبعض شظايا من العظام البشرية ، وكتلة من مادة صفراء تشبه دهن جسم مذاب ٠ وبفحص الحصوات ظهر أنها لآدمى ، وكذلك العظام فانها عظام بشرية يغلب أن تكون لسـيدة متقدمة فى السن وأثبت تقرير المعمل وجود دماء على معطف الفراء ، وعلى أكمام القميص الازرق ، وعلى الوزرة الزرقاء وحقيبة كمامة الغاز وعلى بقع البياض وسكينة عثر عليها فى سيارة هيج ٠

وكانت على مضخة القدم آثار الدهن وحامض الكبريت ، وكذلك على القفازين المصنوعين من المطاط على باقى الاشياء التى وجدت بالفناء وتعرف طبيب الاسنان على الاسنان الصناعيـة التى وجدت وقرر انه صنعها لمسز ديكون كما أن العينات التى أخـذت من الدمجانات احتوت أيضا على حامض الكبريت ٠

وفى أول مارس عثر على بطاقة فى غرفة هيج التى بالفندق ظهر منها أنه كان دبر باحكام طريقة ارتكابه الجريمة فدون بها : برميـل — دهان مدنى — طلمبة تدار بالقدم — قفازات — وزره الخ ٠٠ وبعض عناوين تجار أصناف معينة ثبت من التحريات أن هيج حصل منهم على الكبريت والبرميل الذى أذاب فيه الجثة ٠

ولما استجوب زميل هيج وهو المدير الآخر فى ادارة شركةمنتجـات هرستلى ٠ صرح أنه بناء على طلبهيج منه نزع أحد ساقى احدى الطلمبات وكان هذا ضروريا لتنفيذ خطة هيج لأن الطلمبة اذا ما ظلت ساقها بهـا لا يتيسر ادخالها فى دمجانة الحامض وذكر شريك «هيج» أيضا أن «هيج» أعطاه فى ٢٢ من فبراير ستة وثلاثين جنيها كدفعة أولى من القرض الذى اقترضه منه فى ١٥ فبراير والبالغ قدره خمسـين جنيها وفى ٢٢ من فبراير كان هيج تسلم ٦٠ جنيها من محل الرهونات عن بعض مجوهرات مسز ديكون ٠

وشهد شهود بأنهم رأوا هيج يقود سيارته فى كرولى مساء ١٨ من فبراير وتذكرت كاتبة فندق جورج أن امرأة عرفت أنها مسز ديكون من الصور الفوتوغرافية التى نشرتها الصحف قد زارت الفندق بضع دقائق بين الرابعة والخامسة فى مساء ذلك اليوم وأنها غادرته مع هيج فى عربة ثم عاد هيج الى الفندق حوالى التاسعة مساء وطلب منشفة وصابونة ٠

أما بيع ساعة مسز ديكون الى تاجر الجواهر فى بنتى فقد أيـــد التحقيق وفى الثامن من مارس عثر على السلسلة ذات الصليب بوساطة أحد عمال المناجم تحت سور فى « بوكستد » كما وصفه هيج .

كنت أرقب باهتمام غريب ما يتمخض عنه يومياهذا الحادث العجيب الذى بعد أن جرد من حواشيه أصبح قضية قتل صريحة وواضحة كأصلح وأوضح ما يرجوه الانسان فالمتهم المقبوض عليه أدلى بأقوال تأيد منها كل تفصيل فى حاجة الى تأييد ومع ذلك فقد دخل الآن فى هذه القضية السافرة اشكال وهذا الاشكال هو الصحافة ٠

قبل القبض على هيج فى أول مارس ببضعة أيام نشـرت الصحف مقالات توحى بأنه لم يكن مسئولا عن قتل مسز ديكون فحسب وانما عن قتل عدد كبير غيرها واستمرت هذه المقالات حتى اليوم الذى اتهم فيـه ولم يكن لدى المحكمة بيانات عن هيج الا اسمه وسنه وعمله واسم مسـز ديكون ٠ عندئذ أبلغت الصحف فى شدة أن نشر أى شيء آخر فى هذه المرحلة من القضية يحتمل أن يؤدى الى تهمة عدم احترام المحـكمة وعلى الرعم من هذا التحذير نشرت بعض الصحف تقريرا رسميا عن اجراءات محكمة البوليس وكان النشر فى الصفحات الداخلية من الجريدة فىحين ملأت صفحاتها الأمامية بتفصيلات عن عدد غفير من جرائم قتـــل مزعومة نسبتها الى هيج ٠

وفى مارس نشرت الصحف تقريرا قيل فيه ان اسكتلنديارد قائمة بتحقيق قضية شرب المتهم فيهـا دم قتلاه ، وتوالت على اســكتلنديارد احتجاجات الجمهور على نشر هذه التفصيلات كما وردت الينا طلبـــات من صحف أخرى للحصول على تأييد أو نفى هذا الحادث ٠ والأدهى من ذلك فى نظرنا أن الادارة القضائية شغلت جديا فى التفكير فيما اذا كان اتهام هيج بقتل مسز ديكون قد اعتوره تحيز أضاع من سير العدالة حتى أنـه يمكن صرف النظر عنها كلية ؟

بناء على ذلك وزع «فيرنلى» ضابط الاستعلامات مذكرة سرية لجميع محررى الصحف بوساطة جمعية الصحافةيقول فيها ان البيان الوحيد فى هذا الموضوع قدم للبوليس بعد التحذير وفى قضية رهن القضاء وان هذا البيان قد يقدم على سبيل الشهادة وأن أية حكايات تمســـها قد تضر بمحاكمة المتهم وزاد الضابط بموافقتى التامة التحذير المصوغ بالعبـارة الشديدة الآتية :

« يرغب الحكمدار أن يوجه أنظار المحرزين الى أن نشر محتويات هذا

البيان أو الاشارة اليه أمر غير جائز وسيكون دون شك محل نظر المحكمة التى تقاضى المتهم » .

ومع ذلك فان بعض الصحف لم تبال بهذا التحذير ففى ظهر هذا اليوم وزع «فيرنلى» مذكرة أخرى خاصة بنشر الصحف تفصيلات مزعومة فى قضيتى هندرسون وماكوان وأضاف اليها عبـــارة أشد تنص على أن النشر سيكون حتما محل عناية خاصة من المحكمة .

استمرت استعلامات الصحافة وفى الساعة السادسة مســـاء من ذلك اليوم صدرت مذكرة تقول ان بوليس العاصمة ليس لديه بيانات أخرى يعطيها .

وفى منتصف الليل تقريبا اتصل بى فيرنلى تليفونيا وكنت أثنـاء تناول العشاء فى حفل عام وقال لى أنه يرى من الضرورى أن يلجـأ الى طريق غير مألوف بأن يصدر بأسمى مذكرة الى محررى الصـــحف يقول فيها فى عزم :

« انى أشعر بأنه ليس من الصـــالح العام الاستمرار فى التكهن باماكن مختلف الأشخاص الغائبين الذين ترد أسماؤهم بالصحف وأى جديد فى هذه المسائل ستبلغه ادارة اسكتلنديارد رسميا بالطرق المعتادة » وأخيرا كان لهذا الاجراء بعض الأثر وهدأت الصحافة قبل أن ترتكب من الخطأ مالا يمكن اصلاحه ولو أنه بقى علينا أن نقول أن أحد محررى الصحف قدم للمحاكمة بتهمة عدم احترام المحكمة وحكم عليه كبير القضاة بالحبس ثلاثة أشهر .

أما هيج نفســـه فحوكم أمام محكمة جنايات سكس أمام القاضى « همفريز » فى ١٨ من يوليو وبعد محاكمة استغرقت يومين ثبتت ادانته وحكم عليه بالاعدام .

سلم الدفاع عنه بقتل مسز « ديكون » ولكنه حاول أن يدلل على أن (هيج) لم يكن فى وعيه وقت ارتكاب الجريمة ، وكان الشاهد الوحيد للدفاع رجلا من علماء النفس قال ان « هيج » مصاب بمرض العظمة وأنه يعتقد أن المتهم ما كان يعلم أنه يرتكب خطأ حينما قتل مسز « ديكون » ، ولكن عند المناقشة اعترف بأن « هيج » وقت ارتكاب الجريمة لا بد أن كان يعتقد أن القانون يؤاخذه ، ونظرا لهذا الاعتراف لم يجد النائب العام ما يدعو للاستشهاد بمن يفند أقواله .

وفضلا على اعتراف « هيج » بقتل مسز « ديكون » فقد اعترف بقتل « دونالد ماكسوان » فى سنة ١٩٤٤ وكذلك بقتل والدى ماكسوان فى

سنة ١٩٤٥ فى الطابق الأرضى من منزل « بجلوستر رود » واعترف كذلك بقتل دكتور ومسز « ارشيبالد هندرسون » فى كرولى سنة ١٩٤٨ ، وذكر أنه تخلص من جثثهم بنفس الطريقة التى تخلص بها من جثة مسز « ديكون » وأيدت التحريات هذه الاعترافات وأثبتت أن الدافع له على الجريمة هو المال ، فبعدد من الايصالات المزورة وانتحال صفة الوكالة وضع يده على مساكن ضحاياه وأموالهم وحساباتهم فى البنوك ثم باع ما يخصهم بهورشام وغيرها ، وأمكن تتبع بعض هذه الأشياء والتعرف عليها كلما وجدت بعض مقتنياتهم فى غرفته بفندق «اونسلو كورت» وكان حريصا فى اختيار ضحاياه بأن يكونوا من قليلى الأصدقاء والأقارب وكان يبعدهم عن طريقه بوسائل مزورة وخطابات تبين سبب غياب الضحايا وحقه فى ادارة أعمالهم ٠

قد يبدو غريبا على الرغم من بعض الشكوك التى تظهر من وقت لآخر انه لم يتقدم أحد من أقارب أو أصدقاء الرجال والنساء المتوفين بابداء شكوكهم الى البوليس ولولا أن اعتزازه بنفسه هو الذى دفعه للكشف عن أعماله فى قضية مسز « ديكون » لكان محتملا أن يظل اختفاء الضحايا الخمس محجوبا ، ولقد كان «هيج» يفخر بأنه تخلص أيضا بنفس الوسيلة من جثث ثلاثة أشخاص آخرين ولكن التحقيق الدقيق أثبت كذبه ٠

فى قضية « هيج » وفى قضايا أخرى مشهورة وقعت خلال مدة عملى كحكمدار وجه الانتقاد الى القواعد القضائية الخاصة « بالجنون القضائى » وهى القواعد المعروفة باسم قواعد « ماك نوتن » فكثيرا ما يقال ان الانسان يجب أن يكون فى غير وعيه حين ارتكابه جرائم قتل من النوع الذى ارتكبه « هيج وهيث وكرستى » وفى قضية « هيج » بنوع خاص فانه لم يجشم نفسه عدم ترك سلسلة من الآثار التى تنم عليه والتى يصعب اغفالها واتخذت دليلا على شذوذه وانه كان بحالة غير اعتيادية كاملة غير أن الحالة غير الاعتيادية ليس معناها الجنون ، فهل يوجد بيننا رجل فى حالة اعتيادية كاملة ؟! اذا قيل أن أى رجل عاقل لا يترك آثارا ظاهرة تنم على سوء أعماله فيجب ألا ننسى أن مجرمين ارتكبوا جرائم أقل خطورة قاموا بنفس الدور ولم يتقدم أحد ما للدفاع عنهم بحجة الجنون ولذلك قبض عليهم ٠

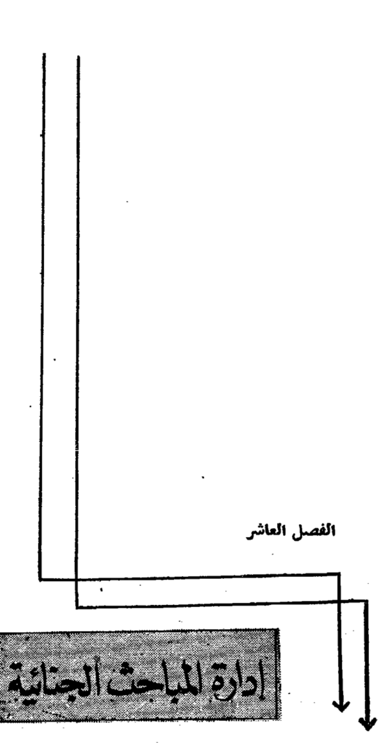
ان قواعد ماك نوتن لها امتياز كبير فى أنها بسيطة وسهلة ، يستطيع أن يفهمها المحكمون لأنه من الميسور أن يتقدم شهود يشهدون بأن السجين كان لا يعرف ما فعل وأن ما أتاه كان خطأ وهذه هى الأسئلة

التى توجه الى المحكمين عادة ويكون الأمر على النقيض اذا ما أخذ بالدافع المفاجيء الذى لم يكن ممكنا مقاومته لأنه من ذا الذى يستطيع أن يقول ان الدافع لم يكن ممكنا مقاومته ؟ فكل الثابت أن السجين لم يقاوم وأن آراء أكبر علماء النفس شهرة فى هذا الموضوع لا يمكن أن تزيد عن مجرد آراء واذا اختلف الخبراء فان للمحكمين أن يفصلوا بينهم ، وفضلا عما تقدم فان مصير السجين لا يبت فيه نهائيا بالقرار الذى يتخذه المحكمون لأن كل حكم بالاعدام يراجعه وزير الداخلية بمعاونة مستشاريه وكل عامل سواء كان العامل ظروف الجريمة أو الحالة الذهنية للسجين يحسب حسابه قبل أن يتخذ قرار نهائى فى تأييد الحكم أو وقف تنفيذه ·

وهذه الطريقة وان كانت غير منطقية ــ وهل دار بخلد أحد أن يتهم الانجليز بأنهم منطقيون ؟! ــ فان لهـــا ما لكثير من النظم الانجليزية من مزايا من حيث أنها صالحة للعمل صلاحية تفوق الحد · وعلى ضـــوء معلوماتنا الحاضرة أظن أن من التعقل أن نتردد طويلا قبل أن ندخل أى تغيير على هذا النظام ·

ومع ذلك فانى أود أن أرى تعديلا واحدا وهو ألا ينطق بحكم الاعدام كما توجبه القوانين فى حالات يعرف كل شخص له المام بهذه المســائل أن من المحقق أن الاعدام لن ينفذ ، وانى أمام اللجنة المؤلفة لدرس موضوع عقوبة الاعدام اقترحت أن القاضى ــ كما هى الحال فى القانون الجنائى الهندى ــ يكون له الخيار فى اصدار حكم الاعدام أو السجن مدى الحياة فى الحالات التى توجب حكم الاعـــدام ، ولم ترحب اللجنة بهـــذا الاقتراح واقترحت فى تقريرها أن يكون حق الخيار هذا للمحكمين دونه · وقد نال هذا الاقتراح كثيرا من النقد وهو نقد أراه حقـــا لأنه يدخل فكرة جديدة فى القانون الانجليزى فالمحكمون الانجليز ينظر اليهم دائما على أنهم هيئة مكونة من اثنى عشر رجلا من الأخيار الصادقين مهمتهم أن ينطقوا بالحكم بناء على ما بين أيديهم من حقـائق ووقائع ولكن حتى فى هـذه الدائرة المحدودة عرف أن المحكمين كانوا يتأثرون باعتبارات عاطفية وأنه فى موضوع اصدار الحكم بالاعدام يمكن أن يكون ثمة خطر حقيقى من أن تنعكس عواطفهم على ما يصدرون من أحكام فلا تمثل ما تقتضيه العدالة ·

أما القاضى فيجب أن يكون بمأمن من مثل هذا الضعف وانى أجد من اليسير أن أفهم أن عبء اصدار القرارات ــ وقد حمله سنوات متعددة وزراء الداخلية المتعاقبون ــ يكون أشد وطأة على قاضى المحكمة العليـا وبخاصة أن حق العفو سيكون معمولا به فى كل حالة يوجد فيهـا سبب للرحمة ·



الفصل العاشر

إدارة المباحث الجنائية

تنظيم ادارة المباحث الجنائية ـ رجل البوليس باسكتلنديارد ـ التجنيد والتدريب ـ معركة « هيث رو » ـ تحريات روتينية ـ حادث قتيل « بلاك بيرن » ـ مقتل مسز « كرون » ـ استجواب القضاة للمتهم وقواعدهم ـ وصول البيانات ـ الشهادة أمام المحكمة ـ سوق سوداء فى الحى الصينى ٠

ان الشهرة التى طبقت الآفاق بأن اسكتلنديارد مكتب تحريات سرية شهرة ضخمة لم تقف عند حد حتى أنها أثارت دهشتى عندما اكتشفت أن ادارة المباحث الجنائية ليست الا قسما صغيرا من بوليس العاصمة ٠

فمن بين المنظمةالتى تتألف من ٢٠٫٠٠٠ موظفتتكون ادارة المباحث الجنائية من ١٤٠٠ فقط أى أن حفنة من الرجال هم الذين يضطلعون بكفاح الجريمة فى العاصمة ولأهميتهم القصوى عملت على أن تحتفظ هذه الادارة بعدد موظفيها كاملا على الرغم مما تعانيه من نقص فى عدد الرجال بل زودتها بمقدار ٢٠٠ رجل ٠

ولايقتصر وجود ضباط ادارة المباحث على اسكتلنديارد فقط بل انهم موزعون تحت رياسة مفتش مباحث الفرقة على كل قسم من أقسام بوليس العاصمة ويوجد فى المكتب الرئيسى للمباحث جماعة منتقاة من المخبرين القدامى تحت اشراف رئيسىالمراقبين ، وهم دائما مستعدون للنهوض بأعباء المباحث ذات الأهمية والصعوبة سواء فى العاصمة أو فى المديريات وعلى العموم فعادة يكون أحد ضباط المركز الرئيسى للمباحث معروفا لدى الجمهور الذى قد يجهل

بعضه اسم الحكمدار وهذا الضابط الذى تقرن الصحف اسمه فى عناوين القضايا المثيرة بعبارة « استدعيت فيه اسكتلنديارد » ٠

وجميع رؤساء الكونســـــتابلات فى قوات بوليس المديريات لهم اداراتهم الخاصة بالمباحث الجنائية ، وهم بطبيعة الحال مستقلون تماما عن اسكتلنديارد ولكن من وقت لآخر يطلبون مساعدة أحد ضباط اسكتلنديارد معترفين بأن ما أتيح له من فرص اكتسب منها خبرة أكثر بكثير من ضابط فى قوة بوليس مقاطعة أو قرية وهذه المساعدة المطلوبة تقدمها اسكتلنديارد دون مقابل ولا تضن الادارات الاقليمية بالاعتراف بقيمة ما أسدته اليها من عون ٠ واذا كان قد حصـــل فى يوم ما ما يشبه الخلاف بين بوليس المديريات وبين بوليس العاصمة فقد قضى على كل ما كان له من أهمية ٠ وهذا النزاع كان له أثره السيىء فى كل الاحوال لانه ما لم تعمل القوات كلها يدا واحدة فلن يفيد من هذا الا المجرم ٠ وكنت أبحث دائما عمـــا يشجع التفاهم والتعاون بين القوتين وبهذا وجدت مســـاعدة جدية فى الموقف الذى وقفه رؤساء الكونستابلات ، وباختلاط ضباط القوات من جميع أنحاء البلاد فى كلية البوليس ٠ ومما لا شك فيه أن الاستعداد العظيم للتعاون معا اليوم لأقوى منه فى أى وقت مضى ٠

وادارة المباحث نفسها أشبه ماتكون بالجامعة وهى وسيط مدهش للتعليم لأى شاب يستطيع أن يفيد منها، وسرعان مايكتسب ضابط المباحث معلومات عامة أوسع مما يســـتطيعه أكثر الناس ، ويجمع الضـــــباط القدامى خلال خدمتهم معلومات وفيرة عن جميع نواحى الحياة ، ويكتسبون القدرة على أن يندمجوا بسهولة فى جميع الأوساط وربما يصبحون متشككين قليلا ، ولكن بناء على خبرتى لم يفقد أحد منهم ثقته بالطبيعة البشرية ، وأنهم سريعا ما يشتمون القصة الرديئة ولكنهم سريعو التمييز للصادق منها وان كان بعيدا عن التصديق ٠

وطبيعى أن يطمع كثير من مجندى البوليس فى أن يلحقوا بادارة المباحث ولكن ذلك لا يكون مباشرة وانمـــا ينبغى على كل مخبر أن يعمل بالدرك لمدة عامين مرتديا الملابس الرسمية فاذا أظهر استعدادا لأعمـــال المباحث فقد يعين مساعدا بمكتب المباحث فلا يرتدى الزى الرسمى ويلحق بالضــــباط النظاميين بادارة المباحث فى فرقتـــه حيث يمكن الحكم على صلاحيته فى حين هو يكتسب الخبرة العملية فى أعمال المباحث ٠ فاذا وجد صالحا يرسل بعد حوالى عام الى لجنة اختبار فى المراكز الرئيسية فاذا اختير عين بادارة المباحث ويقضى اثنى عشر شهرا تحت التجربة وفى بداية

هذه المدة يرسل الى مدرسة تدريب رجال المباحث في « هندون » ومدة الدراســـة بها عشرة أسابيع وأخيرا يعقد له امتحان فاذا نجح فيه عين عضوا فيما يسميه الضباط « بادارتهم » مع التسامح فى نسبة ادارة المباحث الى أنفسهم ولا يخفى ما فى ذلك من المفاخرة ٠

ومنذ ذلك الحين تبدأ حياته تختلف عن حياة زملائه الرسميين فقد يعين فى المكاتب الرئيسية ، اما فى المكتب المركزى ، واما فى احدى ادارات التخصص كمكتب احصاء المجرمين أو تسجيل البصمات أو يعين باحدى الفرق الخاصة ٠

وتنتهى أعمال المناوبات له غير أن ساعات عمله لن يحددها بعد ذلك الا مقتضيات الأحوال فلن يكون له وقت راحة معين ولا يتقاضى مكافأة عن عمل اضافى وانما يعطى علاوة مباحث محددة تعويضا عن ساعات العمل الطويلة غير المنتظمة ٠ أما مكافأته الحقيقية فقد أجمع الكل على أنها هى تلك الحياة المتنوعة التى تستغرق من صاحبها كل الاهتمام وسيجد نفسه وهو ينفق أسابيع كثيرة مضنية فى تتبع وباء سرقة مصابيح دراجات من مخزن دراجات ومن ناحية أخرى يكون منهمكا فى مثل القضية التى أصبحت تعرف بمعركة « هيث رو » ٠ ولا بأس من أن نصف على سبيل المثال السلطة الواسعة التى يستطيع بها مفتش المباحث فى الفرقة أن يمارس عمله فطبقا لتقارير الصحف فى ذلك الوقت كان ينسب نجاحه الى الفرقة الطائرة التى هى بالنسبة لادارة المباحث الجنائية بمثابة ادارة المباحث الجنائية لضابط الدرك أى أنها مسائل تسودها الغيرة الاخوية فالفرقة الطائرة تقدم بلا شك مساعدات قيمة الا أن معركة « هيث رو » كانت أول انتصار أحرزه مفتش مباحث الفرقة الطائرة والذين يأتمرون بأمره ٠

حوالى منتصف يوليو ســــنة ١٩٤٨ تلقى مفتش المباحث بالفرقة واسمه « روبرتس » بلاغـا من الفرقة بأن عصـــابة من مجرمين خطرين وضعت خطة للاغارة على مخزن الاستيداع فى ميناء لندن الجوى حيث تخزن دائما بضائع مرتفعة القيمة جدا ، وكانت الخطة أن يوضع مخدر فى شاى المقصف المعد لموظفى نقابة الفرق الجوية فيما وراء البحار وهم الموظفون المعهود اليهم حراســـة المخازن ، وبعد ذلك يسرق اللصـــوص محتويات المخازن مستعملين القوة اذا دعت الحال ٠ وكان المنتظر أن ينهض أحد رؤساء المفتشين المجربين بادارة المباحث بعبء مثل هذه القضـــية وحده فقام روبرتس بابلاغ رئيس المراقبين الأمر فرد عليه بأن يتخذ من التدابير ما تستلزمه الظروف ، فلما وجد أن ليس لديه من فرقته العــدد

الكافى من الرجال لمواجهة غارة بهذا الحجم طلب مساعدة الفرقة الطائرة. وعقد اجتماع ضم ممثلين للبوليس وممثلين لشركة الطيران البريطانية ورسمت خطة مضادة لخطة هجوم العصابة ٠

علم « روبرتس » أن الغارة كان مقررا القيام بها فى الليلة الواقعة بين يومى ٢٨ و ٢٩ من يوليو اذ كان مقررا أن تصل بطريق الجو رسالة سبائك قيمتها مليون دولار ، وفضلا على هذا فقد كان بالمخازن من قبلها بضائع تقدر قيمتها بنصف مليون جنيه وكان المخزن عبارة عن حظيرة للطائرات على بعد ثمانين ياردة داخل البناء الجوى فى مواجهـــة المدخل الرئيسى « لباث رود » وكان الدخول اليه بوساطة بابين كبيرين منزلقين للجانبين فى أحدهما طاقة صغيرة ٠

وبعد الساعة العاشرة بقليل فى الليلة المحددة للاغارة تجمع ضباط البوليس فى جزء آخر من الميناء الجوى ، وقسموا أنفسهم قسمين قسما يتوجه الى داخل الحظيرة والآخر يبقى خارجها ، والفرقة الأولى المكونة من عشرة رجـــال اختفت فى عربة مملوكة لشركة الطيران ونقلت الى المخزن وكانت تتألف من ثلاثة ضباط قد تطوعوا فى الحلول محل ضابط الأمن التابع للشركة واثنين من الحمالين كان عليهما نوبة العمل فى مخازن الاستيداع تلك الليلة فتزيوا بزى الشركة وكان الدور الذى يلعبونه هو أن يتصرفوا كما لو كانوا تحت تأثير المخدر عندما تعلن الاشارة المنبئة بوصول المغيرين وأن يتحملوا النتائج التى ترتب على تمثيلهم هذا الدور ، أما السبعة الضباط الباقون فقد اختفوا فى أماكن متعددة داخل مخزن الاستيداع وانتظروا وصول اللصوص ٠

وفى خارج المخزن وعلى بعد عشرين ياردة منه اختفى ضباط آخرون فى عربة أخرى خاصة بشركة الطيران مزودين بتعليمات تقضى بأنه اذا رجعت احدى العربات غير المرخص لها الى بوابتى مخزن الاستيداع كان عليهم أن يعكسوا عربتهم لكى تمنع هرب تلك العربة ويكون عليهم حينئذ المساعدة فى القاء القبض على من بالعربة اذا حاولوا الفرار ٠ وأوقفت عربات بوليس أخرى فى مواقع استراتيجية حول الميناء الجوى لتعترض سبيل كل عربة ركوب أو عربة نقل مسروقة يمكن أن يلجأ اليها اللصوص فى محاولة الهرب ٠

وحوالى الساعة الحادية عشرة والنصف كانت جميع قوات البوليس فى أماكنها وأخذت الدقائق تمر وأخذ التوتر يزداد فى أقصى ما يتصوره الانسان ، حتى قبيل الساعة الواحدة اذ وصلت عربة كبيرة مغطاة الى

المیناء الجوی واستدارت عندما بلغت مخازن الاستيداع ثم توجه نحو المخازن سبعة رجال كلهم مقنعون ويحملون الهراوات الضخمة فى حين اتخذ السائق مقعده بجوار الباب مرتديا ملابس زرقاء مما يلبسه البحارة ويضع فوق رأسه قبعة من قبعـــات شركة الطيران ويحمل اليد الحديدية التى تدار بها السيارة « المانيفلا » ٠

ورأى الضباط المنتظرون فى الداخل رجلين مقنعين يدخلان وبعـد ان ألقيا نظرة سريعة حولهما غادرا المكان وعادا فى الحال ومعهما خمسة رجال آخرون كان يحمل أحدهم قضيبا حديديا ويحمل الآخرون الهراوات وكانوا جميعا يرتدون فى أيديهم قفازات ودخل اثنان منهم مكتب المخازن حيث وجدا رجال البوليس الثلاثة مرتدين ملابس رجال شركة الطيران ويتنفسون بصعوبة كما لو كانوا شربوا حقيقة الشاى المخدر ٠ وبمنتهى الهدوء استمر الضباط يتصـــنعون الاغماء فى حين كان اللصان يقيدانهم بالحبال ويلصقون شفاههم بالشريط اللاصق وأصيب أحد الضـباط من ركلة عنيفة باصابة خلف رأسه وكان السبب فى ذلك هو رغبة اللصوص فى أن يتحققوا من فقدانه الشعور وعلى الرغم من الألم الذى قاســـاه فانه لم يبد ما يدل على أنه كان متصنعا وبعد أن تخلص اللصـــان من الضباط الثلاثة وسرقا منهم مفاتيح الخزانة خرجا من المكتب وسلماهـــا لرجل آخر حاول قفل الخزانة ٠

فى هذه اللحظة قدر كبير مفتشى الفرقة الطائرة المسمى « لى » أن وقت العمل قد حان فصاح « نحن بوليس الفرقة الطائرة قفوا حيث أنتم » وهرع ثلاثة ضباط نحو الباب ليمنعوا هرب أى شخص منهموتجمع الآخرون على العصابة وصاح اللصوص « اقتلوا أولاد الزنى هلموا الى بنادقكم » وتلا ذلك هرج ومرج شديدان وأعمل البوليس فيهم عصيهم وبدأ اللصوص يستخدمون هراواتهم ومفتاح صواميل ومقصا كبيرا لقطع الحديد ٠

اشتبك « لى » مع الرجل الذى كان يظهر بمظهر رئيس العصابة ، فأصابه فى رأسه بضربة من قضيب حديدى وألقى به خارج باب المخزن واستمرت المعركة خارجه وشوهد رئيسالعصابة وهو يرمى مفاتيح المخزن قبل أن يلقىالقبض عليهوكان أربعة آخرون منأعضائها مشتبكين معرجال البوليس وبعد معركة عنيفة أمكن التغلب عليهم وأمكن رفاقهم أن ينفذوا من الباب ولكنهم ومعهم سائق العربة وجدوا الفريق الثانى من رجال البوليس واقفين لهم بالمرصاد فهدد أحدهم ببندقية فى حين ظهر اثنان

آخران من مخبئهما تحت عربة وقاتلا معه بهراوة وزجاجة مكسورة « ومانيفلا » وانتهت المعركة بأن قبض البوليس عليهم ·

اقتيد السجناء الثمانية الى بوليس « هارلنجتون » ووجهت اليهم التهمة فلم يحيروا جوابا الا واحدا منهم اسمه « سمث » قال انه سيقتل الرجل الذى وشى بهم ·· !! وكانوا جميعا قد أصابوا فى رءوسهم بعصى البوليس وكانت جروحهم تحتاج الى الخياطة فى حين أن تسعة من رجال البوليس أصيبوا باصابات أغلبها رضوض شديدة فى الرأس والأطراف وكسر أنف أحدهم وأصيب آخر بجرح فى جانبه الأيمن وساقه اليمنى بسبب الزجاجة المكسورة ·

علم البوليس أن أحدا الحمالين المستخدمين فى الميناء الجوى زود العصابة ببيانات مكنتهم من وضع خطة الغارة فاستدعى واستجوب وأنكر فى بداية الأمر علمه بأى شيء يتعلق بالحادث ثم ما لبث أن اعترف بأنه زود العصابة بالبيانات وأنه كان ينتظر المكافأة بعد النجاح فى السرقة فعرض عليه أعضاء العصابة وتعرف على أربعة منهم هم الذين كانوا على صلة به ·

حوكم السجناء أمام محكمة الجنايات المركزية وصدرت ضدهمأحكام بالأشغال الشاقة تختلف من خمس سنوات الى اثنتى عشرة سنة ما عدا الحمال فقد حكم عليه بسنتين لأنه كان واقعا تحت تأثير الاغراء وكان قد حصل من العصابة على عشرة جنيهات فى مقابل ادلائه اليهم بالمعلومات وقد كان أداة حسنة لأنه قابل بعض رجال العصابة فىالمحال العامة ودعى الى احتساء بعض المشروبات ثم استدرج لاعطاء بعض البيانات ثم هدد بابلاغ أمره الى البوليس الا اذا استمر على ولائه لهم ·

ولكى تتم القصة يجب أن يذكر أن الطائرة التى كان مقررا أنتحمل السبائك التى تبلغ قيمتها مليون دولار عاقها الضباب فلم تقم برحلتها الا فى اليوم التالى ·

وقضية « هيث رو » هذه مع ما يكتنفها من الطمع وما كان يعتزمه اللصوص هى أشد اثارة للشعور من كثير من قضايا ادارة المباحث الجنائية ، والضابط الناشيء سرعان ما يكتشف خطل الفكرة الشائعة من أن رجل المباحث رجل يحل مشاكله بالاستنتاجات البارعة أو لمحات الذكاء الخاطفة ، بل سيتعلم صدق ما يقوله ضابط الادارة المجرب من أن ٩٥٪ من قضايا المباحث الناجحة تتوقف على ما يبذل فيها من عرق ، وثلاثا

فى المائة على الالهام ، واثنين فى المائة على الحظ • وفوق كل هذا سيحتاج الى قوة الملاحظة التى تنمى حب الاستطلاع نحو كل نشاط انسانى وأن يكون حكما سريعا موثوقا به على أخلاق كل أنواع الرجال وعلى ميولهم وعليه أن يلتقى بالمجرمين وأن يتعرف اليهم ويقف على عاداتهم ويعرف الأماكن التى يترددون عليها وفى أثناء هذا كله يجب أن يأخذ حذره حتى لا يقع فريسة الاغراء الذى سيضعونه أمامه لتحقيق أغراضهم وهذا الاغراء حقيقى جدا ويؤدى من وقت لآخر ببعض صغار رجال المباحث الذين كان ينتظر لهم مستقبل باهر ، ولكن ليس المدهش هو فترات الضعف التى تقع من حين لحين بل وجود حالات كثيرة كحالة جاويش المباحث الذى كان يتناول مرتبه الحكومى وقدره ثمانية جنيهات فى الأسبوع والذى أبلغ رؤساءه بغير تردد بأنه عرض عليه ثلاثة آلاف جنيه ليغمض عينيه عن بعض نشاط جنائى معين •

ان رجل المباحث الطيب عامل مفيد وفنان ، فمن المألوف عند القيام بتحقيق ما أن يقابل الضابط مئات بل ألوفا من الأشخاص ، وكثير منهم لا يستطيع أن يخبره بشىء ذى قيمة ، ولكن يوجد دائما احتمال أن يكون بينهم واحد أو اثنان رأيا أو سمعا شيئا يلقى ضوءا على القضية •

واحدى القضايا التى أثرت فى نفسى تأثيرا بالغا قضية فتاة وجدت مقتولة فى « وندسور جريت بارك » وكان يقام فى ذلك اليوم سوق ، فبحث رجال المباحث عن كل شخص توجه الى السوق فجمعوا الصور الفوتوغرافية التى أخذها مختلف الزوار وكبروا صورة كل شخص فيها وتوجهوا اليهم لمقابلتهم ، وأمكن التعرف عليهم ومكان كل من كان فى الحقل الذى وجدت فيه الجثة وانصرفوا عنه وأمكن بهذا أن يصور قطعة قطعة كل ماطرأ على الحقل من ذهاب واياب حتى ليمكن أن يقال : ان فيلما قد أخذ لمحل الجريمة طوال عدة ساعات متواصلة •

وثمة حالة أعجب وهى خاصة بفتاة صغيرة أخذت من مستشفى فى « بلاك بيرن » وقتلت بوحشية بأن ضرب رأسها فى جدار والأثر الوحيد الذى عثر عليه هو زجاجة عليها بعض بصمات الأصابع وبمقارنتها بالمجموعة العظيمة فى « اسكتلنديارد » ظهر أن صاحبها غير معروف للبوليس وبعد بذل أقصى ما يمكن عمله من تحريات لم تسفر عن نتيجة قرر البوليس المتولى تحقيق القضية أنه لم يبق أمامه الا أن يأخذ بصمات كل شخص فى « بلاك بيرن » وهى مدينة بها من السكان ١٠٠٫٠٠٠ نسمة وصدر وعد ونفذ فيما بعد وهو أن تعدم بصمات كل الأبرياء • فانصرف الضباط

الى تنفيذ واجبهم بأخذ بصمات كل الذكور من السـكان وتعقب الذين غادروا المنطقة منهم . ولو كان منهم من رحل الى خارج البلاد واستغرق هذا العمل نحو ثلاثة أشهر واتفق أنه من بين الـ ٤٦٢٥٣ بصمة التى أخذت وجدت مجموعة من البصمات تماثل ما وجد على الزجاجة .

على ضابط المباحث أن يعود نفسه فى عمله فضيلتى الصـبر والمثابرة أسوةبرجل الدين ، فلاينبغى له أن يتجاهل خطةمن خطط التحرى ولا يظن أن أى تفصيل عديم الأهمية . وأوضح مثل لهذا هو التحريات التى عملت فى مقتل « مس كران » فى أرلندا الشمالية ، ففى هذه القضية استجوب المراقب « كاب ستيك » ومعاونوه ٤٠٫٠٠٠ شـخص قبل أن يتمكنوا من القبض على شاب ممن يعملون فى الطيران وثبتت ادانته ولكنه كان مجنونا ، فمثل هذه الكمية الضخمة من البيانات ان لم تتناول بأقصى ما يمكن من النظام لولدت الفوضى كل الفوضى وكل قول يجب أن يفهرس بطريقة تمكن من الرجوع اليه فى لحظة . ولقد أخبرنى سير «ريتشارديم» المفتش العام لادارة كونستابلات « الستر » كيف أنه هو وضباطه تأثروا بما أبداه كونستابلات ضباط « اسكتلنديارد » من صبر ونظام .

بل انه حتى اذا ما انتهت التحريات الأصلية فى احدى القضـايا الى غير نتيجة فلا يستولى اليأس على ادارة المباحث وتظل التحريات بالملفات بل أكثر من ذلك تظل عالقة فى أذهان الضباط المختصين وقد حدث فى سنة ١٩٤٩ أن وقع اعتداء قاس على أحد رجال البوليس بقضيب حديدى فى « سلون ستريت » وكاد يقضى عليه ولكن بعد سنتين اسـتطاع أحد الضباط الذين اشتركوا فى تحقيق الحادث بناء على اشارة عابرة أن يعرف مقر الرجل الثالث وكانت النتيجة أن قبض عليه فى الحال .

على رجل المباحث المفيد أن يحذق فن الاستجواب وأول شىء ضرورى فى هذا السبيل هو أن يجمع كل ما يمكن من معلومات عن الجريمة قبل أن يبدأ فى الاستجواب ، والثانى أن يعرف أخلاق الشخص المستجوب وأن يتصرف معه على هدى هذه المعرفة وسيختلف الأسلوب باختلاف مزاج وشخصية المحقق فيجتذب أحدهم الشاهد بصراحته وبما يبديه من اهتمام ودى فى جميع الأشياء حتى لو كانت بعيدة الصلة بالجريمة والآخر يكره بالمنطق الذى لا مرد له الشاهد على أن يترك خطا من خطوط الدفاع الى غيره حتى يتضح له أن لا أمل يرجى من الالتجاء الى الأكاذيب وكثير من رجال المباحث يجدون ميالين الى مشاطرة الغير حمل أعباء أسرارهم ، ولذلك يتصرفون معهم تصرفا أبويا فيقدمون لهم فنجانا من الشاى وسيجارة

دهما حينئذ يأتيان من العجائب بمالا يظفر به أى نوع من أنواع العبوس والغطرسة ٠

وما لا ينبغى لرجل المباحث أن يفعله هو التجاؤه الى أساليب يشتم منها العنف وعلى الرغم من وجوب ابتعاده عن هذه الأســاليب فهو مقيد بضرورة مراعاة « قواعد القضاة » وهى تقضى بأنه اذا صمم ضابط البوليس على توجيه تهمة لشخص ما فعليه أن يحذره قبل توجيه أى سؤال آخر اليه وكذلك الحال فى استجواب شخص موضوع تحت الحفظ ٠

ويكون التحذير بالصيغة الآتية « هل ترغب فى أن تقول شيئا جوابا عن هذه التهمة ؟ انك لست ملزما بالاجابة ما لم ترغب فى الادلاء بها غير أن كل ما ستنطق به سيسجل كتابة عليك وقد يســتخدم فى الشهادة » ويلاحظ أنه لم يرد كلمة « ضدك » بعد « فى الشهادة » لأن هذه الأقوال قد تفيد فى اخلاء سبيله ٠

وقررت هذه القاعدة لحماية السجناء وهى وان كانت قد تقيد ــ ومن وقت لآخر ــ الضابط المحقق غير أن رجال البوليس يعترفون أنها قاعدة عادلة وضرورية وأشك فى أنها تتدخل فى سير التحقيق تدخلا خطيرا ٠

فى محاكمة حديثة « لالفرد تشارلس » و « وايتواى » ركز الدفاع دفاعه كله على مهاجمة أقوال أدلى بها « وايتواى » الى البوليس ولم يكن لهذا الهجوم أى وزن لدى المحكمين ولكنها أوحت الى البوليس بأن يلجأ الى استخدام الشريط المسجل عند أخذ الأقوال فى القضايا المهمة ولست أظن أن الذين اقترحوا هذا الاقتراح أدركوا ما يترتب عليه من صعاب لأنه لأخذ جميع البيانات التى يدلى بها الى رجال البوليس لا بد من عدد كبير جدا من آلات التسجيل وحتى لو تيسر وجودها فى المكان المناسب والزمان المناسب لكان هناك احتمال للاتهام بأن التسجيل حصل تدخل فيه وأنه لم يشمل كل شىء وقع بين المقبوض عليه والبوليس بل أنه لم يكن تسجيلا لصوت المتهم بالمرة وفى كثير من القضايا لايطعن أبدا فى صحة ما يدلى به المتهم وأن اســتعمال أدوات آلية غالية الثمن بدلا من القلم والحبر والورق يبدو لى أنه يخلق من المشاكل ما يعادل الحلول التى يقدمها فاذا كان على رجــل المباحث أن يجمع كل مايتيسر من بيــانات قبــل أن يباشر التحقيق مع المتهم وجب أن ينمى فى نفسه عادة الملاحظة الدقيقة ٠ حتى فى التفصيلات التى يبدو أنها قليلة الأهمية ٠ وكبير المراقبين «تشرل» الذى اعتزل حديثا الخدمة بعد قضائه فيها ثمانية وثلاثين سنة كان فى آخرها فى وظيفة مدير ادارة بصمات الأصابع يذكر القضية الآتية وهى

توضح قيمة اليقظة المستمرة فى الملاحظة فقد اتهم أحد المسجونين بتهمة السطو وكان من أدلة الاتهام بصمة أصبع السبابة وجدت فى مكان الجريمة وكما جرت العادة قدم للمحكمة صورة فوتوغرافية مكبرة لهذه البصمة وصورة أخرى مماثلة أخذت من بين سجل اسكتلنديارد وشهد تشرل بأن البصمتين لشخص واحد ·

فسأل محامى الدفاع ما هى هـــذه الخطوط التى تعترض هاتين البصمتين ؟ فأجاب تشرل :

« هى من غير شك نتيجة جرح أو أثر التحام جرح بالأصبع » وهنا طلب الدفاع من موكله أن يعرض اصبعه للمحكمين فلعق اصبعه وجففه على سرواله ليزيل ماعلق بها من أوساخ وعرضها على المحكمين ففحصوا الأصبع وهزوا رءوسهم وطلب القاضى أن يراه وبعد أن فحصه قال :

« انى لا أرى أثرا لالتحام جرح على هذه الأصبع يا مستر تشرل » فأجاب مستر « تشرل » فى ارتباك وخجل ·

« كلا يا مولاى ان البصمة لاصبع السبابة من اليد اليسرى وقد عرض عليكم السجين اصبعه اليمنى »

ولما عرض السجين فى تردد يده اليسرى كان أثر الالتحام عليها واضحا ، غير أن الملاحظة مهما كانت حادة دقيقة لا تكفى وحدها فكثيرا ما يجد رجل المباحث نقطة يبدأ منها تحرياته وهنا تصبح اتصالاته بدنيا الاجرام فى غاية الأهمية وكثيرا ما تبدأ شهادات رجال المباحث بالعبارة الآتية :

« بناء على المعلومات التى وصلت الى » ·

واذا بلغت قلة الذوق بشخص أن يســأل ممن اســتقيت تلك المعلومات ؟ فعليه أن يقلد الخطة التى اتبعها ضابط الفرقة الطائرة الذى كان يؤدى شهادة فى حق مشتبه فيه كأن يتتبعه فى احدى الســيارات حرف (ك) التابعة للفرقة المتخفية وسأله القاضى ما طراز هذه العربة · ؟

فأجاب « كانت سيارة يا سيدى » وكان هذا الجواب من الضــابط مقرونا بكل احترام ولكن عزيمته لم تتزعزع ·

ولم تنجح أية وسيلة أخرى فى تحويله عن موقفه وليس من المصلحة العامة أن توصف سيارات «ك» أثناء محاكمة علنية ولا من المصلحة العامة أن يدلى رجل المباحث بأسماء مرشديه فى دنيا الاجرام الذين كثــيرا

ما يخاطرون بأرواحهم عندما يقدمون تلك البيانات التى يعمل البوليس بموجبها فالدوافع لمصادر « الاخباريات المستقاة » هى على ماأظن متعددة ومختلفة كمن أدلوا بها أنفسهم ، فبعضهم يدلى بها نظير المال ، وبعضهم بدوافع الغيرة ، أو الانتقام ، أو الحقد ٠

ومما يذكر بالتقدير لادارة المباحث أن يكون الدافع لعدد كبير من هؤلاء المبلغين هو الاعتراف بالجميل لأحد رجال المباحث لما قدم لهم من مساعدة فى مأزق حرج ٠

واذا أتم رجل المباحث تحرياته فان واجبه يكون لا يزال بعيدا عن التمام لأن عليه أن يقدم تقريرا يرفق به الأقوال الشفوية التى أدلى بها جميع الشهود الضروريين ، ولقد قرأت مئات من هذه التقارير فى خلال الأربعين سنة الماضية ، ولم أخف اعجابى يوما ما بالطريقة التى جمعت بها فهى تعرض حقائق مرتبة واضحة منطقية لا تغادر صغيرة ولا كبيرة ولا تغالى فى شىء ومجال التعليق أضيق ما يكون ولا تظهر فيه الآراء الشخصية ولا الميول الذاتيــة وهى نماذج لما يجب أن تكون عليه التقارير وتقرير رجل المباحث هو أساس الاجراءات فى المحكمة الجنائية وهو كثيرا ما يكون أحد الشهود الرئيسيين ويتوقف الكثير على مقدرته كشاهد ولقد علمه التدريب والخبرة الطويلان كيف يدلى بشهادته واضحة عادلة وكيف يتحمل فى أناة وصبر هجوم الدفاع الماكر ٠

وفى بعض الأحيان يرتد انتقاد شـــهادة البوليس فى المحكمة الى المنتقد كما حصل عندما هزأ الدفاع بشهادة اثنين من الضباط قالا ان السجين ذكر أنه « توجه » من (أ) الى (ب) اذ قال الدفاع أن كلمة (توجه) بوليسية ومن الواضح أن ليس من المحتمل أن يستعملها السجين ٠

غير أن الضابطين وقفا وقفة انتباه وأصرا على أن كلمة توجه هى الكلمة التى استخدمت وفيما بعد نوقش السجين فقال أنا « توجهت » وقد ثبت أنه عريق فى الاجرام وأنه سمع الكلمة تستعمل كثيرا فى المحكمة وأنه اقتبسها فى استعماله الخاص ٠

وضباط المكتب المركزى لادارة المباحث الجنائية كثيرا ما يسترعون نظر الجمهور بسبب اشتراكهم فى تحقيق بعض قضايا القتل المثيرة للانتباه غير أن هؤلاء الضباط ليسوا الا جزءا من صورة الجريمة ٠ وقد يكون أقل شهرة منهم بل أكثر قيمة هو عمل ادارة المباحث الجنائية فى أنواع أخرى من الجريمة تستدعى أبحاثا مضنية عدة أشهر بل عدة سنوات ٠

وتوضح أحدى القضايا الحديثة التى من هذا النوع المقدار الضخم من العمل الذى يجب القيام به قبل اتخاذ اجراءات الاتهام :

فحوالى آخر سنة ١٩٥٠ وصل الى علم لجنة التجارة أن مؤامرة واسعة النطاق يشترك فيها كثير من الأشخاص بدأت من سنة ١٩٤٧ واستمرت الى سنة ١٩٥٠ وكانت النتيجة أن كميات كبيرة من الصينى المزخرف حولت من التصدير الى السوق المحلية ، وتحت اشراف رجل أبعد نفسه عن الظهور أخذ اثنا عشر شخصا يتجرون بأسماء مختلفة فجلبوا وباعوا فى السوق المحلية أدوات صينية وفخارية بمالا يقل عن ٦٦٫٠٠٠ جنيه ولو أن الصفقات بغير شك زادت على هذا الرقم ٠ واستنجدت لجنة التجارة باسكتلنديارد التى أصدرت تعليماتها الى أحد رؤساء المفتشين والى كونستابل مباحث بالتحريات اللازمة فأخذا يعملان ثلاث سنوات عملا مضنيا لفرز خيوط هذه المؤامرة فطوفا بجميع أنحاء البلاد لمقابلة الشهود وفحص الدفاتر والفواتير والمراسلات وبلغ عدد المستندات التى صورت فوتوغرافيا ٩٫٠٠٠ مستند وقدم الى لجنة التجارة تقرير يحتوى على مائتى صفحة ٠

والطريقة التى استخدمها المتآمرون تحت ستار اذن تصدير من اللجنة هى أن يوصوا بصنع كميات من الأدوات الصينية والفخارية ويقدمون ضمانة كتابية الى صانعى هذه الأدوات بأنها معدة للتصدير وفى نفس الوقت يعطون تعليمات بأن توضع البضاعة فى صناديق وعليها العلامات المفصلة الخاصة بالشحن على السفن وتسلم الى مراسى لندن المختلفة للشحن ولكن لم تكن هناك نية لشحن البضاعة للخارج ، فكانت غالبا تصل الى المرسى بعد ابحار السفينة المذكورة أنها ستشحن عليها ثم يأخذ الحمالون يجمعون البضاعة بعد أن يزودوا بتعليمات المتآمرين وبالفواتير التى تحمل أسماء وعناوين شركات وهمية ومستندات مزورة يرفض التصدير وبهذه الطريقة كانت تصل البضاعة الى أيدى التجزئة فى أنحاء المملكة ٠

ونتيجة لمباحثنا التى استغرقت ثلاث سنوات وجهت التهمة الى اثنى عشر شخصا والى شركتين ، وقد حوكموا بتهمة التآمر ومخالفة الأوامر وقلما يحدث أن يؤتى بعدد من مثل هؤلاء اللصوص المهرة فى قفص الاتهام وقد تلقوا جميعا ماعدا واحدا علومهم فى المدارس العامة ونال أحدهم بكالوريوس الحقوق وكان لخمسة منهم سوابق فى الاجرام وتولى الدفاع عنهم ثلاثة مستشارين ملكيين وسبعة عشر مساعدا لهم

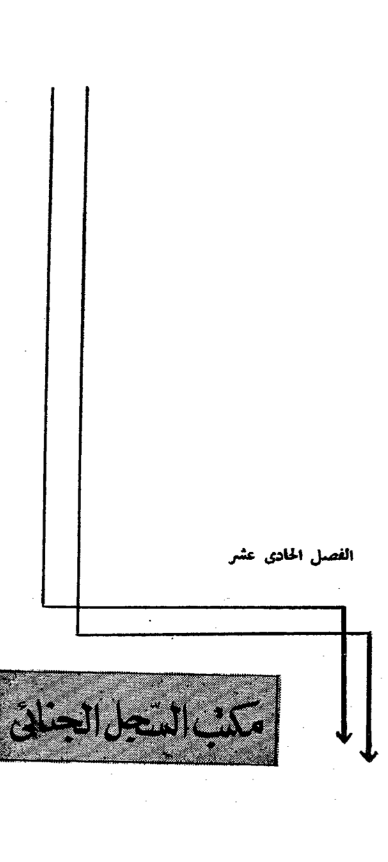
واستمرت الاجراءات فى « بوستريت واولد بيلى » ٦٩ يوما واستمرت محاكمة أولد بيلى ٤١ يوما وهى أطول مدة فى تاريخ المحكمة . وخلال هذا الوقت لم يحصل ما يزعزع شهادة كبير المفتشين ومساعده وقد أثلج صدورهم أن رأوا جميع المساجين ماعدا اثنين قد أدينوا وصدرت عليهم الأحكام بالسجن لمدد تتراوح بين تسعة شهور وخمس سنوات كما حكم على المتهمين بأن يدفعوا مصاريف قضائية بلغت ١٥٫٢٥٠ جنيها .

وفى نهاية القضية شكر القاضى « جلين جونز » بنوع خاص الضباط على العمل الجليل الذى قاموا به فى اعداد القضية وبالطريقة التى أدوا بها شهاداتهم .

حتى الآن كنت أكتب عن رجل المباحث كما لو أنه يعمل بمفرده ، او مع زميل له فى تحرياته غير انه يوجد بطبيعة الحال خلفهم الأداة الموجودة فى اسكتلنديارد التى يستطيع أن يرجع اليها فى كل مرحلة من مراحل التحقيق ففى اسكتلنديارد ثلاث ادارات أصبحت ضرورية لرجل المباحث وهى مكتب السجل الجنائى ، ادارة بصمات الاصابع ومعمل الطب الشرعى وكل هذه المنشآت الكبيرة تحتاج الى وصف تفصيلى .

الفصل الحادي عشر

مكتب السجل الجنائي



دليل المجرمين ؟ ـ الرجل ذو الـ ٤٠٠ اسم ـ الفهرس الخاص بطرق ارتكاب الجرائم والاستفادة منه ـ المجرمون وليدو العادة ـ طرق وأساليب الغش والتدليس ـ فائدة مكتب السجل الجنائي في حادثة « نيفل هيث » ٠

ان مكتب السجل الجنائي ـ وان كان موظفوه من بين رجال بوليس العاصمة وأنه يشغل جزءا من مبنى ادارة اسكتلنديارد ـ مكتب ذو صبغة قومية وأنه يشمل سجلات كاملة لكل الذين حكم عليهم في قضايا خطيرة ببريطانيا العظمى ، وهو يغذى قوات البوليس بالمعلومات في داخل المملكة ، وان معظم الدول لها نظام موحد أو أنظمة للتسجيل الجنائي ، وان مكتب السجل الجنائي على اتصال بجميع المكاتب الوطنية في جميع أنحاء العالم وانه بناء على ذلك يكون سجلا للجرائم وطنيا ودوليا ٠ وهو دليل لمعرفة مرتكبها ، وهو ادارة تعين على رد الجرائم الحديثة الى قدامى المجرمين ورد عدة جرائم الى مجرم واحد وتساعد على التعرف على وجه التحقيق الى قدامى المجرمين اذا ما أعيد القبض عليهم وهو واسطة يمكن به أن ترشد الجرائم الحديثة الى الجرائم القديمة كما تهدى الى شخص المجرم نفسه وأيضا لتمييز المجرمين عند القبض عليهم ٠

ويتألف كل سجل من اسم المجرم وأوصافه الشخصية ومن صورة فوتوغرافية له وكشف يبين فيه جرائمه والأحكام الصادرة ضده وكلما وضع مجرم تحت حراسة البوليس في أى مكان من بريطانيا العظمى ترسل الى هذا المكتب استمارة السجل الجنائي بأوصافه وبصمات أصابعه وتراجع كل أحكام ضده يعترف بها وحتى اذا لم يعترف بشيء منها فان

البحث عنها يستمر فاذا ظهرت اتهامات سابقة أمكن ايجاد الروابط بينها ويوجد أكثر من مليونين ونصف مليون بطاقة فى مكتب السجل الجنائى وبالنسبة للعدد الكبير من الأسماء التى ينتحلها بعض المجرمين فقد يوجد كثير منهم له أربعون أو خمسون بطاقة وعلى رأس مكتب الاحصاء رجل يساعده ٤٤٠ موظفا ٠

والتأكدمن الجرائم السابقة ضرورى لتمكين المحكمة من اصدار الحكم المناسب بعد ادانة المتهم ٠ والى أن صدر قانون القضاء الجنائى سنة ١٩٤٨ كان هذا يستلزم حضور الضباط أمام المحاكم ليشهدوا على صحتها ولكن القانون الجديد اكتفى بشهادة من حكمدار العاصمة تدون احصاء بجرائم المتهم وبينما انه ألقى عبئا ثقيلا اضافيا على كاهل مكتب السجل فقد وفر على البوليس الأوقات الكبيرة التى كان يستنفدها منه حضوره أمام المحاكم ٠

وبالاضافة الى المجموعة الرئيسية للسجلات الجنائية يوجد عدد من الفهارس التكميلية كل منها له أهمية عظيمة ٠ وأكثرها فائدة هو فهرس أو طرق ارتكاب الجريمة وهو مبنى على حقيقة أن المجرمين وليدو العادة وعرضة لتكرارها اذا أصابوا نجاحا نتيجة لاتباع طريقة خاصة فانهم لا يفتأون يعيدونها ومن الغريب أنه حتى بعد اكتشاف أمرها واجراء القبض جملة مرات على المجرمين فانهم يعيدون نفس الطريقة ويظهر أنهم اما فى غاية الكسل واما فى غاية الغباء ليغيروا طريقتهم وذلك من حظ البوليس ٠

ويتألف الفهرس من بطاقات توضع عليها معلومات عن جميع المتهمين الخطرين الذين يستخدمون طريقة معينة فى ارتكاب جرائمهم ٠ وهو يتكون من أقسام عدة ففى قسم الأسماء توجد بطاقة منفصلة عليها الاسم الاصلى وكل اسم منتحل للمجرم وسنه ومولده وطوله وهذه التفصيلات المميزة الثلاثة تكفى لاستخراج البطاقات على وجه السرعة ويمكن فيما بعد غربلتها بوساطة مقابلة كل بطاقة منها مع غيرها من ذوات التفصيلات الأدق ٠

وفى قسم فحص الطريقة يسجل الأسلوب الذى يستخدمه المجرم بتسلسل هجائى وهو على حسب الأحرف الانجليزية يكون :

الخطف ـ الحريق عمدا ـ التعدى ـ تأجير الأطفال ـ وهكذا الى أن ينتهى بالخيانة العظمى وكسر المتاجر وتجارة الرقيق الأبيض ٠ وكل بطاقة

تحفظ تحت العنوان المناسب تبعا لسنة ميلاد المجرم وطوله • وفى أسفل بعض العناوين يوجد عدد كبير جدا من البطاقات ولتسهيل المراجعة تقسم العناوين الى أقسام فرعية فمثلا جريمة الغش والتدليس هى أكبر الأقسام اتساعا ولهذا قسمت الى الأقسام الفرعية الآتية :

الشخصية التى انتحلت عند ارتكاب جريمة التزوير •

الواسطة التى استعملت •

طبقة المجنى عليه •

نوع المتاع الذى استولى عليه •

اشكال خاصة من الغش •

وكل هذه الفصول تقسم الى أقسام أخرى ، فالشخصية التى انتحلت تشتمل على العناوين الآتية :

ممثل ووكيل (وينقسم الى سبعة عناوين تبعية) طيار ـ مهندس معمارى ـ أمير أجنبى ـ ماسونى ـ •• وينتهى الى جراح بيطرى ـ ثرى امرأة (أى رجل ينتحل دور امرأة) •

وتحت عنوان (الواسطة التى استعملت) توضع العناوين الفرعية الآتية : أعمال تجارية ـ كمبيالات ـ عناوين المكاتبات ـ شيكات ••• وتنتهى الى (ايصالات رهنيات) بضائع (سجاجيد ـ فراء ـ ملابس ـ جواهر •• ثم الى الماء يباع على أنه ويسكى أو خمر) •

وتحت عنوان (طبقة المجنى عليه) توجد العناوين الآتية :

ممثل ـ وكيل ـ تاجر عاديات ـ رجل دين ـ منفذ وصية ـ عضو برلمان ـ موظفون (بنوك ـ مصلحة ضرائب •• الخ) وتنتهى الى نساء •

والعنوان التالى وهو نوع المتاع المستولى عليه ، واضح الدلالة فى حد ذاته • والعنوان الخامس أشكال خاصة من الغش والتدليس وهى تبدأ (بالاستجابة للاعلانات ـ التنبؤ بالمستقبل ـ لعبة القضيب الذهبى ـ ترويج الأسهم المزيفة ••• الى بيع الشاى ـ حقيبة نقود شائعة) •

وفهرس الغش والتدليس هو خلاصة مسؤلة لغفلة الجنس البشرى ولمهارته الموضوعة فى غير موضعها •

فللمجرم الواحد توجد عدة بطاقات : بطاقة فهرس رئيسية تحت

أهم نوع من الجريمة التى ارتكبها • فالرجل الذى يتخصص فى التزوير مثلا يكون له بطاقة رئيسية تحت عنوان تزوير اذا كان ينتحل عادةصفة الممثل ويستخدم خطابات استجداء • ويخدع رجال الدين ويحصل على المال بحجة أن سيارته تعطلت فتوضع بطاقات فرعية فى قسم التزوير تحت هذه العناوين الفرعية .

ويوجد قسم ثالث لفهرس يسجل فيه كل تشـــــويه خلقى ظاهر للمجرم سواء كان مثبتا فى قسم الاسلوب أولا • فالتشويهـــات تفسر بالمعنى الواسع الذى يشمل كل الظواهر المميزة وترتب البطاقات ترتيبا أبجديا على حسب أجزاء الجسم مثلا : خد (علامة خلقية ــ طابع الحسن ــ خال ــ سنطة أو أثر التحام) أو عيون (عمياء ••• مرخية ــ حـــولا ــ ضعيفة الأبصار ــ نظارات ــ جاحظة •• الخ) • وفى كل حالة يذكر أن كانت هى العين اليمنى أو اليسرى وتوجد بطاقات مماثلة للذقن والأنف وأجزاء أخرى من الجسم أما عن الكلام فتذكر اللهجة (التمتمة ــ التهتهة ــ الفأفأة •• الخ) •

أما القســـــمان الخاصان بالوشم والكى فهما لا يحتاجان الى شرح والقسم المتعلق بالخواص المميزة يبدأ بـ (صحبة الأطفال وكلب) ويستمر حتى يصل الى قضم أظافر أصابعه ونزع جذاءيه • وقد اندرج تحت هذا العنوان المجرم المشهور بصاحب قدم الفانلة « تيمارجن » وتصنع المرض وهكذا يستمر الترتيب الى أن يصل الى « يشكومن » (وذلك فى حالة الذين يميلون الى الافضاء بأوجاعهم) وبعبارة (حينما يتكلم) يمسح أنفه ويمثل بالاشارات أو يظهر بعض حركات بحكم العادة••

واذا سجل اسم شخص بالفهرست وصدر حكم عليه بسجنه أكثر من ستة أشهر.فكل البطاقات المتصلة به تنقل الى قسم « الايقاف » طيلة مدة سجنه لكى تخفف عن فهرس الأحياء مئونة البحث •

وحتى اذا كان المجرم على درجة من الحيطة بحيث يغير طرائقه فانه قلما يفعل هذا التغيير بشكل كامل فمثلا اذا كانت الجريمة التى اعتادها هى التزوير وكانت طريقته فى ذلك هى أن ينتحل شخصية كاتب محام فقد يغير صنعته هذه الى صنعة صحفى ولكنه فى أغلب الظن سيظل يتخذ ضحاياه من بين رجال الدين أو النساء ويبتز مصـــاريف بغير حق أو اشتراكات وسيجد من العسير عليه أن يخفى سنه وطوله أو تشوهاته الشخصية المختلفة أو مميزاته الخاصة •

وليس أقل ما يسترعى النظر نحو مكتب السجل الجنائى هذا المقدار

الضخم من المعلومات التى يحملها الضباط الذين يعملون هناك فى رءوسهم فبمجرد أن يبلغهم ارتكاب جريمة يستطيعون عادة بغير رجوع الى بطاقاتهم أن يذكروا أسماء يرجح ان يكون أصحابها هم مرتكبى الجريمة وبعض هؤلاء يستبعدون فى الحال لأن الرجوع الى بطاقاتهم يدل على أنهم موجودون فعلا فى السجون والبعض الآخر المشتبه فيهم الذين قدمت أسماؤهم الى ادارة المباحث الجنائية التابعة للفرقة يستطيعون أن يقدموا دليلا مقنعا على وجودهم فى مكان آخر. والباقون يوضعون تحت الفحص الدقيق بواسطة رجال المباحث التابعين للفرقة وقد يسعف الحظ بأن تظهر الأدلة التى تبين صلة أحدهم بالجريمة .

واذا شوهد المجرم فغالبا ما يرسل وصفه الى مكتب السجل الجنائى ولو أنه يظهر غالبا فى الوصف يدعو الى الدهشة والحيرة لأن أغلب الشهود لم يتدربوا على قوة الملاحظة فقد يرى أحدهم رجلا قصيرا بدينا يرتدى كسوة سوداء ويراه آخر رجلا يميل الى الطول فى كسوة رمادية الا أنه غالبا ما يستلفت أنظار الشاهد بعض خواص مميزة كأن يكون أعرج أو أحول أو فأفاء او رجلا له لهجة أجنبية أو لهجة أهل الشمال وأن له أذنا تشبه القرنبيط أو انفا مكسورة أو أنه كثير الكلام أو كثير الصمت وأن له شعرا أحمر او راسا أصلع . فرجل المباحث اذا ما زود بهذه البيانات سيكون قادرا على ان ينقى كشف المشبوهين الذى لديه تنقية أخرى ويصل الى كشف مختصر يجعل عمل التحريات أجدى .

وقضية « نيفل هيث » مثال للمساعدة التى يمكن أن يقدمها مكتب السجل الجنائى الى رجال المباحث عند شروعهم فى تحرياتهم . ففى ٢١ من يونيو سنة ١٩٤٦ دخلت وصيفة فندق بمبردج كورت فى مدينة « بايزوتر » احدى غرف النوم التى كان يشغلها فى الأيام الأربعة أو الخمسة السابقة زوجان ذكر انهما بكباشى هيث وزوجته وفزعت الوصيفة عندما رات على السرير جثة امراة فاقدة الحياة وكانت قدماها مشدودتين شدا وثيقا بواسطة منديل وجسمها الذى كان مقطعا تقطيعا مرعبا كانت عليه آثار أسنان وسرعان ما قرر الطبيب وفاتها بسبب الاختناق ولما قام رجال المباحث بتفتيش الغرفة بحسب النظام المتبع عندهم وجدوا بصمة واحدة لأصبع على حوض غسيل اليد وان كان ظاهرا أن الحوض قد نظف لتزول منه كل الآثار .

اظهر البحث فى ملفات مكتب السجل الجنائى بطاقة «لنيفل جورج» «كليفلى هيث» المولود فى سنة ١٩١٧ والذى بعد أن قضى زمنا فى معهد

بورستال لادانته بتهمة السرقة وتهمة السطو على المنازل وتهمة الادعاءات الكاذبة التحق بقوات الطيران الملكية ثم طرد منها بعد أن أدانته المحكمة العسكرية في عدد من الجرائم ، وأدانته فيما بعد في تهمة انتحال صفة بكباشي وارتدائه أنواطا لاحق له فيها ، وبمقارنة بصمة الأصبع التي وجدت على الحوض بالبصمة المسجلة تأكد انها حقا لهيث الذي يبحث عنه . ورجال المباحث بدلا من أن كانوا يبحثون عن مجرد رجال أصبحوا يبحثون عن رجل يعرفون أوصافه وخواصه · وهذا بعد مضى بضع ساعات فقط من ارتكاب الجريمة ·

عوين منزل هيث ووضع تحت الرقابة الا أن هيث لم يعد اليه وعملت الأبحاث في جميع الفنادق والنوادى والمحال العامة التى يعرف أنه يتردد عليها ، كما عملت الأبحاث أيضا في جميع المحال الأخرى في وسط لندن بحيث كان هناك بعض الأمل في أن يوجد بها واستجوب جميع شركائه ولكن بغير نتيجة ·

ولدى البوليس في كثير من الحالات مصدر موثوق بمعلوماته وهو سائق تاكسى لندن فقد عملت التحريات بين السائقين فوجد ان أحدهم يتذكر أنه حول منتصف ليلة حادث القتل نقل فتاة سمراء ورجلا تنطبق أوصافه على أوصاف هيث من نادى « سوت كنسنجتون » الى فندق « بمبردج كورت » فاستجوبت عاملة هذا النادى الليلى التى تستقبل رواده ، واستطاعت هى وسائق التاكسى أن يقدما وصفا طيبا لهذين الاثنين ولو أن الرجل كانت تعرفه العاملة باسم « ارمسترونج » وتعرف الفتاة بأنها مسز « مارجرى جاردنر » ·

وفى هذه المرحلة بدت أولى تصرفات هيث الباعثة على الدهشة فى هذه القضية العجيبة فقد كتب الى اسكتلنديارد يقول انه كان قد سلم مفتاح غرفة نومه فى فندق بمبردج كورت الى مسز جاردنر التى كانت تزمع أن تستضيف فيها أحد الرجال وعند عودته الى الفندق وجدها ميتة فبلغ به الفزع حدا لم يستطع معه أن يبلغ الأمر الى البوليس لأنه هو نفسه كان مطلوبا القبض عليه بتهمة التزوير وأعطى وصفا مفصلا للرجل الذى كان مع مسز جاردنر وذكر أنه سيرسل الكرباج الذى جلدت به فقد وجده فى غرفة النوم عندما وجدها بها . ومع ذلك لم يصل الكرباج أبدا.

ونشر بطبيعة الحال وصف هيث على جميع أنحاء البلاد وكانت نتيجة ذلك أننا تلقينا من بوليس ورزنج تقريرا بأنه رؤى هناك وعلم ضابط المباحث بواسطة صديقة لهيث كان تعرف اليها ابان الحرب أنه حضر

لزيارتها لسابق علاقات ودية قديمة بينهما وباستجوابها قالت انه أخبرها بحادث قتل ارتكب فى غرفته بأحد فنادق لندن وأنه أبلغ البوليس فهلع والد الفتاة لهذا النبأ وبمجرد أن علم بما أثاره الخبر اختفى ٠

وما أن وصلت القضية الى هذه المرحلة حتى دخل غرفتى (هاو) رئيس ادارة المباحث الجنائية « وفيرنلى » ضابط الاستعلامات وأبلغنى ثانيهما أن صحيفة يومية لديها صورة فوتوغرافية لهيث وأنهـــا تعتزم نشرها وليس باستطاعة حكمدار البوليس أن يمنع صحيفة ما من نشر ما تشاء ٠ وفى ذلك تعريض لها بالمحاكمة بتهمة عدم احترام المحكمة ولكنه يستطيع أن ينصح بالامتناع عن النشر كلما كان هذا متفقا مع الصالح العام وهو ما يقوم به فعلا وقد ذكر (هاو) ان الدليل الوحيد الذى يربط هيث بفندق « بمبردج » ليلة القتل هو سائق التاكسى وبدرجة أقل عاملة النادى الليلى وكانا معا مستعدين للتعرف على هيث ولكن اذا ما نشرت صورة فوتوغرافية فى استطاعة الدفاع أن يثير الشك فى شهادتهما الحيوية وأن يقول : انهما تأثرا بالصورة الفوتوغرافية التى رأياها فى الصحف وقد يسقط الاتهام بناء على هذا ولذلك ألح على « هـــاو » كثيرا فى ان أنصح الصحف بعدم نشر الصورة ٠

كان اتخاذ هذا القرار أمرا صعبا فلم يكن لدينا أى سبب يحملنا على الظن فى ذلك الوقت بأن هيث سوف يرتكب حوادث قتل أخرى وان كانت هناك دائما فرص لارتكابها وبذا نكون قد عرضنا أنفسنا لأن يتهمنا الجمهور بأننا حرمنا الفتيات عاثرات الحظ من الوسيلة الوحيـــــدة التى يعرفن بها أنهن فى صحبة قاتل ومع ذلك فقد كنت مقتنعا بأن « هاو » كان على صواب وأخذت على عاتقى مسئولية النصح للصحف بألا تنشر أية صور فوتوغرافية وعملت الصحف بالنصيحة ٠

فى ٣ من يوليو ذهبت فتاة صغيرة كانت تحترف الغناء من قبل واسمها « دورين مارشال » وكانت تنزل فى فندق « نورفولك » فى بورتموث لتتناول العشاء مع أحد نزلاء الفندق الذى كان يطلق على نفسه اسم قائد أسراب « روبرت بروك » وبعد أن تناول العشاء غادر الفندق معها الا أن الحارس الليلى لم ير بروك يعود ولما ذكر هذا لبروك فى اليوم التالى أجابه بروك ضاحكا أنه أخذ سلما خشبيا وتسلقه الى غرفته من النافذة على سبيل الدعابة ولما لم تعد مس مارشال ، قلق مدير الفندق فسأل بروك عنها فاستخف بالسؤال وقال انه سيذهب للبوليس وأنه سيقدم لهم كل مساعدة يستطيعها وقد فعل وتعرف البوليس على صورة

فوتوغرافية للفتاة وقال انه تركها قريبا من المنتزه البحرى فى الساعة ١٢٫٣٠ وفهم أنها ستعود الى الفندق .

كان بروك حاذقا فى سرد القصة ولكنه لم يحسب حساب موهبة تذكر الوجوه التى هى جزء من ذخيرة رجل المباحث الخبير فان كونستابل المباحث المعين فى « بورتموث » الذى أدلى اليه بروك بهذه القصة تأكد أنه رأى وجه بروك من صورة فوتوغرافية للمدعو هيث وهى الصورة التى وزعت فى الغازتية البوليسية وقرر أن يتصل تليفونيا باسكتلنديارد واحتج ما شاء له الاحتجاج ولما كان لا يرتدى الا قميصا وسروالا مما يرتدى للرياضة البدنية فقد طلب ان يسمح له بالعودة الى الفندق ليرتدى كسوة كاملة فاستحضرها له البوليس ووجد فى جيبها تذكرة ايداع ملابس فى محطة « بورتموث وست » فتوجه البوليس اليها وتسلم حقيبة الملابس كانت محتوياتها قاضية عليه فقد وجد بها كرباج ثقيل وكوفية من الصوف الأزرق وفى جيب السترة لؤلؤة واحدة غير حقيقية ولم يكن على الكرباج أية بصمات للأصابع ولا علامات أخرى وأرسلت الأشياء الى معامل اسكتلنديارد فدل الفحص على أن بالكوفية بقعا من الدم من نفس فصيلة دم القتيلة مسز جاردنر .

ازاء هذه الأدلة أعاد ضباط اسكتلنديارد « بروك » الى لندن وعمل له عرض تعرف عليه سائق التاكسى الذى نقله الى فندق « بمبردج كورت » كما تعرفت عليه عاملة النادى الليلى ولما ووجه بهذا اعترف بحقيقة شخصيته ووجهت اليه تهمة قتل مسز جاردنر -

وفى أثناء ذلك شدد بوليس بورتموث أبحاثه عن دورين مارشال المختفية وقد لاحظت فتاة خرجت للنزهة مع كلبها فى « برانكهم تشاين » جمعا من الذباب فارتابت فيما جذبه اليها فأسرعت الى البوليس الذى وجد جثة دورين مارشال مجردة من الملابس الا من فردة حذاء وجزء منها مختف تحت شجرة وعلى مقربة منها وجد سبع وعشرون لؤلؤة غير حقيقية مماثلة لما وجدت فى جيب سترة بروك ووجد أيضا ان قائد الاسراب بروك رهن خاتمه نظير خمسة جنيهات ، وباع ساعة بثلاثة جنيهات كانت تملكها مسز مارشال .

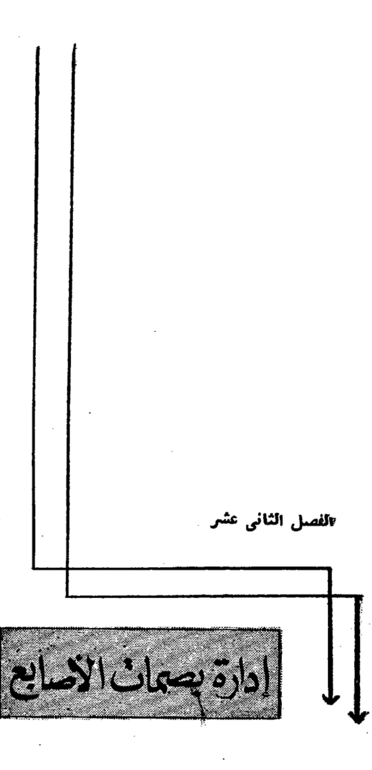
كانت أعمالى لا تسمح لى عادة بأن اشهد كثيرا من المحاكمات الجنائية ولكنى بعد قليل من تعيينى فى اسكتلنديارد حوكم هيث وقررت أنه من المفيد أن أشهد تفصيلات أحدى القضايا المهمة فهيث الذى رأيته فى محكمة الاولد بيلى بدا لى رجلا فى منتهى الثبات راضى النفس عليه مسحة من

التربية والتعليم وبغير أخلاق بتاتا . كان يقضي وقتا طيبا على حساب الغير وما يتكلفه الغير فى هذا السبيل أمر لا يعنيه فى قليل أو كثير .

كانت شهادة الوقائع عنده تأخذ بتلابيبه وما كان للدفاع عنه أن يدعى بأن التعرف عليه كان متأثرا بنشر صورة فى الصحف وادعى الدفاع - كدفاع قوى عنه - انه مجنون بحجة أن به نقصا معنويا وأنه لذلك يجب ألا يعد مسئولا عن أعماله وقد قال دكتور « جرير سون » وهو الطبيب المجرب لسجن « بركستون » فى شهادته أمام المحكمة . انه لا يخامره شك فى أن هيث كان يعلم ما يفعل وأنه كان يرتكب خطأ ورأى المحكمون هذا الرأى ولم يلبثوا أن اتخذوا قرارا أنه مذنب وحكم على هيث بالاعدام ونفذ الحكم فيه .

وكحاشية لهذه القضية أقول انه وجهت أسئلة فى مجلس العموم عن القرار الذى اتخذه لعدم نشر صورة هيث ولكن وزير الداخلية لم يجد أية صعوبة فى اقناع المجلس بأن هذا القرار كان قرارا صحيحا فى تلك الظروف .

الفصل الثانى عشر



إدارة بصمات الأصابع

أصل بصمات الأصابع ـ شرح نظام تقسيمها ـ مجموعة اسكتلنديارد التى تبلغ مليونا وربع مليون من البصمات ـ كيف تستخدم ؟ ـ مجموعات محال ارتكاب الجرائم ـ احلال المدنيين محل الخبراء العسكريين .

ان ادارة بصمات الأصابع مثلها كمثل مكتب السجل الجنائى كلاهما يعمل كسجل مركزى لبريطانيا جميعها ويتلقى من قوات البوليس فى جميع أنحاء البلاد نحو ٣٥٠ سجلا فى اليوم تشمل كل الجرائم الخطيرة كما أن ادارة البصمات تتبادل بانتظام مع ايرلندة الشمالية وآير Eier بصمات المجرمين الذين يحتمل أن يمارسوا أعمالهم على جانبى البحر الايرلندى كما يتم التبادل بدرجة أقل نسبيا مع القوات البوليسية فى غربى أوربا الأعضاء فى اللجنة الدولية للبوليس الجنائى وأحيانا مع بلاد الدمنيون وما وراء البحار ولأول مرة أرسلنا منذ بضع سنوات مجموعة من بصمات الأصابع باللاسلكى الى استراليا ووصلت اليها واضحة .

وتدين ادارة بصمات الأصابع التابعة لاسكتلنديارد بنشأتها لسير ادوارد هنرى Sir Edward Henry الذى كان حكمدارا لبوليس البنغال ثم التحق ببوليس العاصمة بوظيفة مساعد حكمدار فى سنة ١٩٠١ ثم عين حكمدارا من ١٩٠٣ الى ١٩٠٩ فاكتسب فى البنغال خبرة فى استخدام بصمات الأصابع لتمييز العمال المعينين فى المزارع وكان هو أول من ابتدع نظاما للتقسيم وجعل من الميسور استخدام بصمات الأصابع للتعرف على أشخاص المجرمين ولايزال نظام هنرى معمولا به حتى اليوم مع تعديلات طفيفة وهو قائم على أساس أنه لم يعرف حتى الآن انه يوجد شخصان لهما

بصمات متماثلة بل ان بصمات التوائم المتماثلين ليختلف بعضها عن بعض اختلافا بسيطا ٠

ويتوقف النظام على أن جميع البصـــمات لاتخرج عن أحد الطرز الآتية : ـ

منحدر ، مقوس ، ومستدير ، ومركب ٠

والأشكال الاربعة الآتية تبين معانى هذه المصطلحات ٠

المنحدر المقوس

المستدير المركب

ولما كانت هذه الأشكال توجد جميعهـــا أو بعضها فى الأصـــابع العشرة لليدين فان توزيعها يمكن أن يكون اساس نظام للتقسيم .

والافاضة في وصف هذا النظام تخرج بنا عن نطاق هذا الـــكتاب غير انى طالما سئلت انأشرح : كيف تقسم البصمات ولذا فسأحاول أن أبسط على قدر الامكان الخواص الرئيسية لهذا النظام المتبع اليوم ٠

ان نحو ٦٠ فى المائة من البصمات من نوع منحدر ، وخمسة فى المائة من المقوس وخمسة وثلاثين فى المائة من المستدير والمركب ٠ فمن باب التيسيط فى التقسيم الاولى ضم المقوس الى المنحدر (L أو ح) والمركب الى المستدير (W أو س) ولما كان للانسان خمسة أزواج من الاصابع وفى كل زوج قد تكون البصمات (حح — سس — حس — سح) وقد يوجد هذا التركيب فى الزوجين الآخرين وبذا تكون جملة التركيبات المحتملة لزوجين ستة عشر ، ولثلاثة أزواج أربعة وستين ، ولأربعة الأزواج ٢٥٦ ، ولخمسة الأزواج ١٫٠٢٤ = ٢٣٢ ٠

واذا أعطى رقم قيمى لكل بصمة من طراز المســـتدير على حسب مركزها فى اليد أمكن وضع معادلة يعرف بها كل تركيب ٠

ويمكن فهم الفكرة بشكل أوضح بالرجوع الى الرسم التالى :

اليد اليمنى اليد اليسرى

الابهـــــام

الزوج الأول الزوج الثانى الزوج الثالث الزوج الرابع الزوج الخامس

ففى هذين الزوجين الخياليين من الأيادى رمز للأصابع التى بهـــا

منحدرات (أو أقواس) بحرف ح وللاصـــابع التى بها مســـــديرات (أو مركبات) بحرف س ٠

فكل بصمة تتألف من مستديرات (س) تعطى رقما قيميا بحسب زوج الأصابع المجاورة (ويبدأ العدد فى الشكل المتقدم من اليمين الى الشمال) فتكون قيمتها ستة عشر اذا كانت فى الزوج الأول ، وثمانيـة فى الزوج الثانى ، وأربعة فى الزوج الثالث ، واثنان فى الزوج الرابع وواحد فى الزوج الخامس كما هو مبين فى الرسم وحينئذ يـكتب زوج الأصابع على هيئة كسر اعتيادى بسطه رقم البصمة الأولى من كل زوج ومقامه البصمات الثانية ٠

وعلى ذلك فاليد التى بصماتها من الطراز المستدير (س) أو من الطراز المنحدر (ح) كما هو وارد فى الرسم تكون معادلتهـــا العددية كما يلى :

صفر	٨	صفر	٢	صفر
صفر	صفر	٤	٢	١

واذا جمعت أرقام البسط وأرقام المقام كانت النتيجة ١٠ / ٧

واذا كانت بصمات الأصابع العشرة كلها من طراز المستدير كانت المعادلة كما يلى :

١٦	٨	٤	٢	١
١٦	٨	٤	٢	١

واذا جمعت أرقام البسط وأرقام المقام كانت النتيجة : ٣١ / ٣١

غير أن جملة التركيبات المختلفةالمكنة هى ٢٣٢ ومعادلتها الكسرية لا تشمل احتمال آنتكون الأصابع العشرة خالية كلها من بصمة منطراز المستدير أى أن تكون جملتها : صفر / صفر ٠ وللتيسير نكتب هذه الحال

على شكل $\frac{١}{١}$ ثم نضيف ١ الى الجملة الختامية للبسط والمقام فى جميع الأحوال ·

وسنورد فيما يلى مثلين آخرين لتوضيح الفكرة :

$$\frac{س}{ح}\ \frac{ح}{س}\ \frac{س}{ح}\ \frac{ح}{س}\ \frac{س}{ح}$$

$$= \frac{١٦}{صفر}\ \frac{صفر}{٨}\ \frac{٤}{صفر}\ \frac{صفر}{٢}\ \frac{١}{صفر} = \frac{٢١}{١٠}$$

وباضافة ١ الى البسط ومثله الى المقام تكون الجملة $\frac{٢٢}{١١}$

$$\frac{ح}{ح}\ \frac{ح}{ح}\ \frac{ح}{ح}\ \frac{ح}{ح}\ \frac{ح}{ح}$$

$$: \frac{\cdot}{\cdot}\ \frac{\cdot}{\cdot}\ \frac{\cdot}{\cdot}\ \frac{\cdot}{\cdot}\ \frac{\cdot}{\cdot}$$

وباضافة ١ الى البسط ومثله الى المقام تكون الجملة $\frac{١}{١}$

وعلى ذلك نستطيع الحصول على أى كسر ابتداء من $\frac{١}{١}$ لغاية $\frac{٣٢}{٣٢}$

وتبين بالأرقام كل تركيب من الـ ١٠٢٤ : (٢٤٢) تركيبا الجائز وجودها فى الأصابع العشر ·

انتهينا الآن من تقرير ١٠٢٤ مجموعة مختلفة ظهر فى مجال العمل أن بعضها صغير ، كما ظهر أن البعض الآخر كبير جدا ويحتاج الى تقسيمه الى أقسام فرعية وأكبر المجموعات هى المجموعة التى لاتوجد فيهـــا أية بصمة من طراز المستدير والتى يرمز اليها بمعادلة $\frac{١}{١}$ فتقسم هـــذه المجموعة أولا بحسب اتجاه حافات المنحدرات التى على أصابع السبابة فان

بعضها يتجه نحو عظمة الساعد الأنسية (الداخلية) وبعضها نحو عظمة الساعد والوحشية (الخارجية) وتسمى الأولى المنحدرات الوحشية (W أو و) والأخرى المنحدرات الأنسية (R أو ن) ويتفرع على هذا التقسيم الفرعي تقسيم آخر كبير تمثله معادلة $\frac{١ \ و}{١ \ و}$ نكون فيه السبابتان معا مشتملتين على منحدرات وحشية ولاعادة تقسيم هذا نعد الحافات التي على السبابة والوسطى بين النهايتين الخارجية والداخلية كما هو مبين في الشكلين الآتيين :

النهاية الداخلية	النهاية الداخلية
النهاية الخارجية (دلتا مفتوحة)	النهاية الخارجية (دلتا مقفلة)
٦ منحدرات	٧ منحدرات

في المنحدرات تعد جميع الحافات التي تقطع خطا وهميا ممتدا من النهاية الخارجية الى النهاية الداخلية ولا يدخل في العدد النقطتان الختاميتان ٠

وتكاد تنقسم بالتساوى جميع الأصابع بين ما ينقص منها عن متوسط عدد هذه الحافات وبين مايزاد عليها صفر ٠ وعلى ذلك يمكن أن يكون على كل يد التركيبات الأربعة الآتية : ١١ اصفر صفر صفر صفرا أو أن يكون في اليدين كلتيهما ستة عشر ٠

وعلى ذلك تقرأ المعادلة على الوجه الآتي :

$$\frac{١ \quad و \quad ١صفر}{١ \quad و \quad ١١}$$

وهى تمثل يدين ليس في أى من أصابعهما بصمات من طراز المستدير وتوجد منحدرات وحشية على سبابتيهما وتزيد الحافات المتوسط في السبابة اليمنى وتقل عنه في اصبعها الوسطى ولكنها تقل عن المتوسط في هذين الاصبعين من اليد اليسرى ٠

وثمة تقسيم فرعى آخر لهذه الأقسام الستة عشر وهو يرجع الى عدد الحافات التي على خنصر اليد اليمنى ٠ واليكم معادلة لها نذكرها على سبيل المثال :

١ و ١صفر ٦
— — ———
١ و ١١

فاذا ماوردت بصمة بهذه المعادلة توجه الباحث الى الصـــــندوق المشتمل على البصمات التى من طراز ١/١ وينتقل منه الى الفرع و/و فالى القسم ١صفر/١١ ويستخرج أخيرا للمقارنة العدد القليل من البصمات التى تشتمل على ست حافات على الخنصر اليمنى ·

وبمثل هذا الأسلوب يمكن ايجاد أقسام فرعية أخرى كلما دعت الحال وسيكون تتبعها وتتبع تفاصيلها أمرا متعبا · وبحسب القــارىء الذى أوتى الصبر لمتابعة كل ما تقدم وما أحرزه من فكرة عن الموضوع ·

وتستخدم المجموعة الأساسية للبصمات لايجاد الصلة بين المجرم وجرائمه السابقة حتى اذا مثل أمام المحكمة عرفت صحيفة سوابقه اذ ترسل قوة البوليس التى قبضت عليه أو السجن الذى أودعه نموذجا الى اسكتلنديارد طبعت عليه بصماته ·

فعند وصول هذا النموذج وتعيين معادلة البصمات تفحص جميـع بطاقات هذه المعادلة للبحث عن الخلافات الصغيرة مثل الانفصـــالات فى الحافات والدلتات ومواضع الاتصال والمنحدرات وما اليها مما يتفق مع ما يشتمل عليه النموذج الجديد وتكون النتيجة : اما أن توجد مجموعة من البصمات المماثلة واما أن يتبين عدم تسجيل بصمة مماثلة .

واذا عرفت صورة ما كبرت صورتها الفوتوغرافية وصورة البصمة المسجلة وتعين عليهما بوساطة الأسهم ست عشرة نقطة متماثلة فاذا وجد هذا العدد من نقط الانطباق كان مفروضا أن التماثل كامل فان التجارب الناتجة عن مقارنة ألوف من البصمات فى عدة سنوات مؤيدة للفرض ·

وفى احدى المناسبات منذ بضع سنوات أظهر فحص بصمات أصابع أحد المجرمين أن البصمات مماثلة للبصمات المحفوظة لاحدى «النساء» فحمى وطيس الاعتراض على صحة التعرف على الشخص وقيل ان نظام بصمات الأصابع قد أخفق فى نهاية الأمر · غير ان الأمر لم يكن كذلك فان «امرأة» متهمة بالتحريض على الفسق أخذت بصماتها ودفعت غرامة قدرها أربعون شلنا وأفرج عنها دون أن يتطرق الشك الى جنسها أأنثى هى أم غير أنثى؟ ولكن عندما أدينت فى المرة الثانية « عادت » الى جنسها الحقيقى المذكر·

فى بعض الأحيان يحاول المجرم أن يخفى شخصيته فيبرى البصمات

من أطراف أصابعه غير أنها سرعان ما تنمو بشكلها الأصلي بل انه يمكن ازالة الجلد من أطراف أصابع أحد الموتى بعد أن يكون التحلل قد تطرق اليه وأخذ البصمات منه ومع أن الطبقات السطحية للجلد قد تكونتحللت فان حافات البصمات تحت الجلد تظل به ويمكن نقلها منه ٠

وان راحة اليد وبطن القدم يحملان كذلك علامات مميزة وفي احدى المناسبات تمكن كبير المراقبين تشريل من التعرف على الشخص من بصمة يد نفذت من خلال قطع في قفاز وجدت في مكان ارتكاب الجريمة غير أن هذه البصمات لا تستخدم الا في النادر ولذا لم يتجه التفكير الى عمل مجموعات منها ٠

ان المجموعة الرئيسية لبصمات الأصابع في اسـكتلنديارد والتي تتألف من بصمات جميع الاصابع العشر تحتوى على أكثر من مليون وربع مليون وتكبر بسرعة ٥٠٫٠٠٠ في السنة ٠ ومع أن المجموعة تنقى بانتظام بازالة بصمات المتوفين أو الذين بلغوا سنا لا يحتمل معه انغماسهم في الجرائم الخطيرة ثانيا ــ فما زالتالحالة تدعو الى تنقية أكثر دقة ٠ وبمجرد أن يتوافر العدد الكافي من الموظفين ستزال جميع البطاقات الخاصـة بالمجرمين الذين لم يظهروا منذ ثلاثين سنة بل منذ عشرين وسيترتب على هذا احتمال ضياع قضية عابرة ولكن في سبيل تحقيق السرعة والدقة كان لابد من مواجهة مثل هذا النقص وعلى أية حال فالبطـاقات التي تستخرج بالتنقية لاتتلف ولكنها تزال فقط وتنقل الى قسم «الأموات» ٠

والتنقية أمر لابد منه ٠ لأن الزمن اللازم للبحث يتوقف على عدد البصمات الواجب فحصها وكثيرا ما يكون الزمن ذا أهميـة حيوية لأن البحث لايكون ذا فائدة عملية الا اذا أمكن اثبات صلة المتهم بصـحيفة سوابقه في الوقت الذى ترفع دعواه الى المحكمة ٠ هذا وان عمل بصمات الأصابع ليحتاج الى عدد كبير من الموظفين برواتب كبيرة ويتطلب دقة وتركيزا عظيمين ٠ واذا تركت المجموعة تتضخم أكثر مما يجب قل انتاج كل عامل وزادت نفقات الادارة ٠

ويوجد بجوار المجموعة الرئيسيةمجموعة للبصمات المنفردة تسجل فيها كل بصمة أصبع من الأصابع العشر في بطاقة خاصة ولهذه المجموعة وظيفة تختلف كل الاختلاف عن وظيفة المجموعة الرئيسية وليس المقصود بها ايجاد الصلة بين المتهم وتاريخه الماضي ولكن معرفة صـاحب بصمة واحدة تركتفي محل ارتكابالجريمة ٠ فاذا كانواجبا فحص عشرةالملايين

من البصمات المنفردة فى المجموعة الرئيسية لكان العبء فادحا متعبا قد يتعذر القيام به وهذا فعلا هو ماتحقق منه المكتب الاتحادى للمباحث فى أمريكا حيث بلغ فيه عدد البصمات مقدارا ضخما .

وعلى ذلك قصرت مجموعة البصمات المفردة على بصمات المجرمين المعروفين الذين لا يزالون يزاولون أعمال الاجرام ، ولا تضم المجموعة الا بصمات السنوات الخمس الماضية ويبلغ عددها نحوا من مائة ألف وبجوارها مجموعة مماثلة من السنوات الثمانى عشرة السابقة وهى لا تفحص الا فى حالات القتل أو الجرائم ذات الأهمية غير المألوفة ويتخذ لتكوين هذه المجموعة تقسيم خاص مبنى على شكل الحافات الوسطى لطرف السبابة وقد أمكن بوساطة هذه المجموعة التعرف على نحو مائة وخمسين شخصا فى السنة .

وثمة مجموعة أخرى هى مجموعة محال ارتكاب الجريمة وتشتمل على جميع البصمات غير المعروفة التى تركت فى محال ارتكاب الجريمة ومن هذه المجموعة أمكن التعرف على نحو ١٫٧٥٠ شخصا فى العام واليكم مثالا بارزا على قيمة هذه المجموعة فقد وجد منذ بضع سنين بصمة سبابة يمنى كان يعتقد أن صاحبها لص وقد وجدت البصمة على كأس من كئوس النبيذ فى أحد المنازل فى واتفورد (١) كان اللصوص قد سطوا عليه وبعد عام قبض على رجل فى هتشن (٢) وأخذت بصماته وأرسلت الى اسكتلنديارد واستطاعت ادارة بصمات الأصابع أن تثبت أن بصمة سبابته اليمنى هى نفس البصمة التى على الكأس التى فى حوزتهم وفضلا على ذلك فقد وجد فى غضون الاثنى عشر شهرا التى تخللت هذه الفترة عدد من بصمات أخرى فى منازل سطا عليها اللصوص فى مساحة تمتد حتى جلوستر شاير (٣) وليستر شاير (٤) وقد وضعت هذه البصمات فى مجموعة محال ارتكاب الجريمة وعرفت هذه البصمات أيضا أنها بصمات نفس الرجل .

وتحفظ نسختان من الأوراق لأنواع قليلة من الناس ويعمل لها فهرس خاص لأن بعض البحارة الهنود يفرون من سفنهم فى الموانى

---

(١) واتفورد : احدى مدن ولاية هرتفوردشاير في الشمال الغربي من لندن .
(٢) هتشن : مركز زراعى كبير في نفس الولاية يبعد عن لندن ٣٢ ميلا شمالا .
(٣) جلوستر شاير : ولاية بريطانية غربى اكسفورد .
(٤) ليستر شاير : ولاية بريطانية في الشمال الشرقى من برمنجهام .

البريطانية وتعمل عنهم تحريات كثيرة تحفظ أوراقها على حدة كما أن عددا كبيرا من الناس اعتادوا ارتكاب جريمة تدنيس أماكن العبادة ويبرر عددهم هذا أن تمسك لهم مجموعة خاصـــــة كما يوجد غـــــيرهم من الاخصائيين ٠

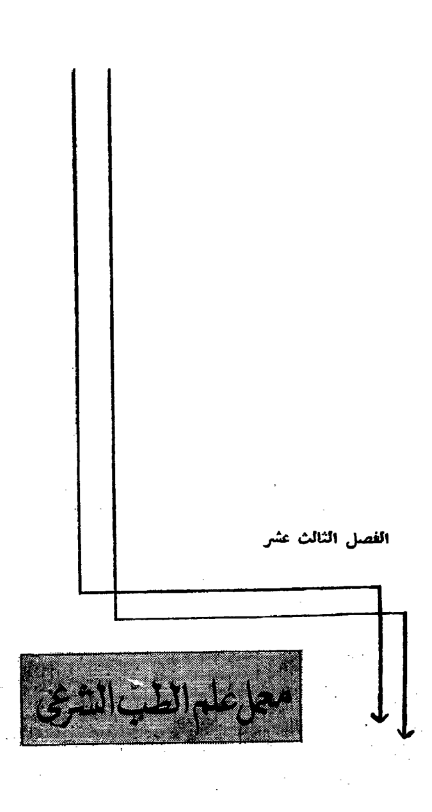
وموظفو ادارة بصمات الأصابع جميعهم من ضباط البوليس وهم كقاعدة عامة يلتحقون بهذه الادارة فى بداية عهدهم بالخدمة ويبقون بهـا سنوات عدة ان لم يقضوا فيها بقية خدمتهم البوليسية ولا يقتصر عملهم على ترتيب البصمات والتعرف على أصحابها بل انهم يعاينون محال ارتكاب الجرائم للبحث عما يمكن أن يكون بها من بصمات ويؤدون الشهادة أمام المحاكم وهنا لا بد من الخبرة والتجربة لأنه يجب عليهم أن يقنعوا المحكمة بأنها فى السنوات التى اكتسبوا فيها خبرتهم بفحص ألوف البصمات لم تعرض لهم حالة وجد فيها ـ أشخاص مختلفون ببصمات مماثلة ـ هذا اذا ما أثير فى مناقشة الشهادة امكان التعويل على الدليل المأخـــوذ من بصمات الأصابع ٠

وفى قضية جورج رسل المتهم بقتل عجوز مترهبة فى منزلها فى ميدن هيد (١) نوقش كبير المراقبين تشريل مناقشة مطولة حول بصمة وحيدة لجزء من أصبع وجدت على غطاء صندوق صغير من الورق المقوى ادعى البوليس أنها بصمة رسل وكانت هناك أدلة أخرى ضد رسل أثناء المحاكمة غير أن اثبات أن البصمة بصمته كان ضروريا لتـــدعيم حجج النيابة العامة ويظهر أن شـــهادة تشريل كانت لها قيمتها الكبرى لدى المحكمين لأن رسل شنق ٠

وفى أمريكا وغيرها يعين موظفو ادارات بصمات الأصابع من بين المدنيين ولم يقرر الا أخيرا استبدال مدنيين بالثمانين ضابطا المستخدمين فى أعمال البصمات باسكتلنديارد حتى يتيسر بذلك تكليفهم أعمــــالا بوليسية أخرى٠ غير أن هذا الاستبدال سيستغرق بعض سنوات لأن من الضرورى الاحتفاظ بعدد من ضباط البوليس الى أن يحصل المدنيون على قدر كاف من الخبرة يمكنهم من الدفاع عن شهاداتهم وأدلتهم أمام المحكمة٠

---

(١) ميدن هيد : مدينة على نهر تيمس في ولاية بركشاير مشهورة بانها مركز للقوارب ٠



الفصل الثالث عشر

معمل علم الطب الشرعي

مؤسسة لورد ترنشارد .. أسباب نقله من هندون الى اسكتلنديارد ـ كشف الجرائم بوساطة بقع الدم ـ بوساطة شظايا الزجاج ـ بوساطة رذاذ (البوية) ـ اعادة الكتابة الممحوة ـ المعمل فى خدمة الدفاع ـ قتيل « يوترزبار » .

اذا كان رجل المباحث يريد أن ينجح فى عمله فيجب أن يغرس فى نفسه الروح العلمية عندما يبدأ فى جمع المعلومات عن الأشياء التى يصادفها فى طريقه وعليه أن يعود نفسه الصبر فى جمع الحقائق وعدم اغفال شىء منها مهما كان تافها . ان له الحق فى أن يكون نظرية و يفرض فرضا ولكن يجب ألا يضلله هذا أو أن يجعل الحقائق تتمشى مع نظريته بل على العكس يجب عليه أن يتبع الأسلوب الاستقرائى بأن يستخلص نظريته من الوقائع ويختبر صحتها دائما كلما جد جديد .

وبهذا التماثل فى البحث والنظرة العامة بين رجل العلم ورجل المباحث قد يبدو عجيبا ان رجل العلم لم يستدع الا أخيرا ليلعب دورا منتظما فى المباحث الجنائية وشذ من هذا اخصائيا علم الأمراض وعلم السموم فقد استعين بهما منذ زمن طويل لتأدية الشهادة أمام المحكمة لاستطلاع رأيهما فى أسباب الوفاة أو الاصابة فى القضايا الجنائية ، غير أنه لم يعترف البوليس الا منذ ثلاثين سنة بخبير العلوم حليفا قيما فى هذه الجرائم . وفى الجرائم الأقل استرعاء للأنظار والموجهة لا لأحد الأشخاص بل ضد الممتلكات .

ومعمل الطب الشرعى أحد المبتكرات الكبيرة التى تدين بها اسكتلنديارد « للورد ترنشارد » وهو الذى أنشأه فى هندون سنة ١٩٣٤ لا لخدمة بوليس العاصمة فقط بل لقوات بوليس المقاطعات الداخلية أيضا .

ومن الطبيعي أن يكون قد مضى بعض الزمن حتى تحقق ضباط المباحث من الطريقة التى يستطيع بها أن يساعدهم ، ولما شعرت أن من الأهمية بمكان أن يكون الاتصال قويا بين ادارة المباحث الجنائية والمعمل فقد انتهزت فرصة مبكرة لنقله الى اسكتلنديارد حيث يكون الوصول اليه أقرب منالا وشجعت الضباط من جميع الرتب على زيارته ليقفوا على امكانياته ، وتعطى بيانات مباشرة فى هذا الموضوع خلال الدراسة فى مدرسة تدريب رجال المباحث وبعد أن اتسع العلم بموارد المعمل زادت الطلبات عليه زيادة مستمرة .

ان فحص المواد المعروضة على المعمل يستدعى أغلبها الاستعانة بخبرة الكيميائى وعالم الأحياء الا أن طبيب الامراض الباطنية وعالم المعادن قد تدعو الحاجة اليهما من وقت لآخر ، واذا كان موظفو المعمل ليست لهم الخبرة الكافية فان الخبراء الخارجيين يستدعون لاستطلاع رأيهم والمعمل يعول عادة على المساعدة الخارجية فى ميدان علم الأمراض فان بوليس لندن استطاع أن يطلب خدمات صف طويل من الممتازين من علماء الأمراض من بينهم دكتور « كيث سمون » ودكتور « روتالدتير » والمرحوم سير « برنارد سنلسبرى » .

وفى الحالات التى تضمن استعمال مفرقعات يستطيع المعمل أن يذكر فى قائمته مساعدة كبير مفتشى المفرقعات بوزارة الداخلية .

ولسنوات عدة كان « مستر روبرت تشرشل » يفحص الاسلحة النارية والذخيرة المستعملة فى الجرائم .

وقد يكون الكيميائى هو الذى يقوم بأهم قسط من أعمال المعمل لأنه من الضرورى بين وقت وآخر أن يتوافر فيه العلم بالسموم والمخدرات سواء أكانت عضوية أم غير عضوية وبالأصباغ والدهانات والألوان والمفرقعات والمواد القابلة للاشتعال وبالأدوية والمعادن والزجاج كما أن كثيرا من الأشياء الفنية تقع فى نطاق الطبيب كالتحليل الطبقى أو استعمال الأشعة فوق البنفسجية أو تحت الحمراء .

وعلى عالم الاحياء أن يكون قادرا على تعرف جميع أنواع المواد الحيوانية أو النباتية كالحبوب وشظايا الخشب والنشارة والدم والمنى أو الشعر الانسانى أو الشعر الحيوانى ، وأن يميز الأنسجة من أى نوع حيوانية كانت أو نباتية أو معدنية أو صناعية ، ويجب أن يحيط بالتاريخ الطبيعى ، وأن يعرف خواص الازهار والأعشاب على مختلف أنواعها مما ينبت فى البلاد والمواسم التى تزهر فيها النباتات أو تكون بذورها

وطريقتها فى نثر الحبوب ، ويجب أن يمتد علمه الى الطحالب والفطريات والى الأشكال الميكروسكوبية لحياة الحيوان والنبات • وبمساعدة عالم المعادن تعرف الأنواع المختلفة للتربة بحسب ما تحتوى عليه من معدن •

ومن أهم أنواع الدراسة التى يجب أن يتعاون فيها الكيميائى وعالم الاحياء وعالم المعادن هو موضوع الأتربة لأنها قد تستخدم لايجاد صلة بين المجرم والمكان الذى ارتكب فيه جريمته ، فالأتربة ذات أنواع لاحصر لها وقد تحتوى على مواد حيوانية أو نباتية أو معدنية اما مستمدة راسا من الأرض أو الكائنات الحية ، واما من مواد مصنوعة وهى تنقسم الى أربعة أقسام رئيسية : تراب الطريق ، والتراب الذى تسفيه الريح ، وتراب المصانع الذى يوجد حول الأماكن مثل مصانع الاسمنت وطواحين الغلال أو مصانع الأدهنة (البويات) ، وتراب الحرف مثل الهباب أو تراب الفحم الذى يوجد على الكناسين أو عمال المناجم أو الخميرة والعفن الذى يوجد على ملابس عمال مصانع البيرة •

ولنبدأ أولا بفرع الاحياء : كانت أسرتان تعيشان فى شقة بالدور العلوى من منزل فى سوث ايست بلندن تتألف الأسرة الأولى من زوج وزوجته وابنتين ، وتتألف الأخرى من ابنته المتزوجة وزوجها وطفلهـــا وكانت العلاقة بين الاسرتين تتوتر فى بعض الأحيان • وفى أحد الأيام تهجم زوج الابنة على حميه ، وفى مساء ذات يوم بعد اسبوع خرج أكثر افراد الأسرتين ولم يبق فى المنزل الا الحماة وزوج ابنتها وعادت احدى البنتين حوالى الساعة الحادية عشرة فوجدت أمها ميتة تغوص فى بركة من الدماء وقد اعتدى عليها بسكين وهى ملقاة على فراشها وكان عدد الجروح لا يقل عن أربعة وعشرين جرحا وكان ظاهرا أنها استيأست فى الدفاع عن حياتها وأن المعتدى لابد أن يكون على ملابسه كثير من الدم •

ووجد على لحاف فى غرفة الصهر ما يشبه يدا يسرى ملوثة بالدم وكان على باب الغرفة لطخة من الدم ولم يعثر على السلاح كما لم يوجد الصهر •

بعد ثلاثة أيام حوالى الساعة الثالثة صباحا أوقف رجل البوليس فى « رمس جيت » رجلا لم يكن يرتدى الا معطفا للمطر وقميصا وحذاء وساعة فى معصمه وخاتما وكانت قصته انه راح يستحم فسرقت ملابسه واستبعد رجل البوليس صحة هذه الرواية وارتاب فى الحال فى أنه هو الصهر المختفى بعد أن وزعت أوصافه على رجال البوليس واعترف الرجل

بذلك ولكنه نفى بشدة علمه بأى شىء عن حادث القتل ·

وفحص القليل الباقى لديه من ملابس ومتعلقات أخرى فى معمل الطب الشرعى فوجد على معطف المطر بقع من دماء بشرية كما وجدت لطخ دموية داخل الأحذية ، وأعطى الخاتم أيضا رد فعل ايجابى للدم ولو أنه لم يوجد أى أثر ظاهر للدم على ساعة المعصم · وعندما نزع منها غلافها الخلفى ظهر غشاء خفيف من الدم دل على أن بعضا منه تسرب الى ما بين الغلاف وجسم الساعة ·

ووجد أكثر الدم من فصيلة دم القتيلة وكذلك كانت بقع الدم المتروكة على اللحاف وباب غرفة النوم · اما باقى الأدلة ضد الصهر فلم ترق الى أكثر من الشبهات وكانت شهادة معمل الطب الشرعى فقط الدليل القوى وبناء عليها وجهت اليه تهمة القتل وعند محاكمته ذكر أنه من سوء حظه أن اضاع ملابسه لأنها لو كان بريئا وكان يمكن تقديمها لكانت خالية من الدم وعلى النقيض من هذا لو كانت ملوثة بالدم لكان من مصلحته العظمى اخفاء الملابس وعلى هذا اتخذ المحكمون قرارا بأنه مذنب ·

واليكم قضية كان على فرع الطبيعيات أن يعالجها ، بدأت حينما أوقف رجلان فى سيارة بشبهة انهما سطوا على حانوت وسرقا بعض البضائع وأنكر بشدة كلا الرجلين هذا ومع ذلك فقد أرسل الى المعمل ملابسهما مع كناسة أرض السيارة وقطع الزجاج من باب الحانوت المكسور لفحصها وأمكن أن يستخرج المعمل من الكناسة المأخوذة من العربة بعض قطع الزجاج الصغيرة كما وجدت قطع خرى صغيرة فى ملابس الرجلين وقورنت كلها بزجاج النافذة المكسورة ، وأثناء المحاكمة تقدم خبير العلوم المعين فى المعمل وأدى شهادته بأن جميع الزجاج المضبوط له خواص طبيعية متماثلة مما يدل على أن مصدره واحد وحاول كلا السجينين أن يفند هذه الشهادة فادعى أحدهما أن الزجاج الذى على ملابسه كان من كوب كسر فى محل عام وادعى الآخر أن الزجاج وقع على ملابسه من نافذة كسرت فى بيته فاستحضرت قطع من الكوب ومن النافذة وقورنت بالبقايا المجموعة من ملابس الرجلين ومن كناسة السيارة ولكنها وجدت مغايرة لها كل المغايرة وشرح القاضى الموقف للمحكمين وظهر أن شهادة الخبير لا يمكن نقضها ودلت على أن كلا السجينين كانا حتما فى الحانوت فى الوقت الذى كسر فيه الزجاج · وأدين الرجلان ·

أما الفرع الكيميائى فكثيرا ما يستعان به فى حوادث المصادمات التى

تقع من السيارات ففى مساء أحد أيام الشتاء استدعى البوليس الى طريق فى « ستون » فى مقاطعة « صرى » حيث أصيب سائق دراجة اصابة خطيرة وقد رأت امرأة شابة كانت تسير فى ناحية قليلة الضوء من الطريق سيارة نقل تصدم راكب الدراجة الذى كان يسير على تل قليل الارتفاع عبر الطريق ٠

مالت سيارة النقل فجأة وأسرعت فى السير واستدعت الفتاة الاسعاف والبوليس ونقل الرجل الى المستشفى ولكنه توفى بعد أيام دون أن يتمكن من النطق ولم تستطع الشاهدة ـ كما يحدث فى مثل هذه الظروف ـ أن تعطى بيانات أكثر من أن سيارة النقل كانت سيارة مفتوحة ولم تر رقمها ولما أذيع الخبر بالراديو تقدم شاهد آخر وكان رجلا قريبا من محل الحادثة وقت وقوعها ورأى سيارة مرت بجانبه فى سرعة كبيرة وسمع صوت اصطدام وبعد هذا بدقيقة وصل الى المصاب والمرأة الشابة ولم ير رقم السيارة ولكن بعد ثلاثة أرباع الساعة كان لايزال فى مكان الحادث وجد سيارة مماثلة تمر بجانبه فى الانحناء المضاد واستطاع أن يرى فقط الحروف FLX دون رقم السيارة ٠

بهذا البيان الهزيل عمد البوليس الى فحص جميع اللوحات الخاصة بسيارات النقل من هذا الطراز والتى تحمل الحروف FLX وتعقب البوليس كل سيارة من هذا النوع وفحصها وسأل أصحابها وسائقيها وناقش أقوالهم وأخيرا وجدت سيارة نقل نزع منها أخيرا أحد مصباحيها الأماميين وكان بها قليل من التلف أيضا ظهر أنه حديث العهد وقد أصابها فى مقدمة أحد جانبيها وكانت السيارة احدى سيارات عدة تملكها شركة فى « صرى » وانه كان يسوقها واحد من عدة رجال يعملون فى المساء فسئلوا جميعا ولكنهم انكروا أنهم أخرجوا السيارة فى وقت الحادث ولم يتيسر الحصول على تفسير مقنع للضرر الذى أصاب السيارة ولعدم وجود أدلة كافية كان يخشى وقف تحريات البوليس عند هذا الحد ٠

وفى هذه المرحلة تقرر الالتجاء الى مساعدة معمل الطب الشرعى ودل فحص ملابس القتيل والدراجة على أنها صدمت بحاجز تصادم السيارة الأمامى لأن شكل الحاجز انطبع من أثر الاصطدام على الدراجة ووجد بالاجزاء التالفة بالدراجة آثار دهان ليست منها ثم وجد فيما بعد على سترة المتوفى وسراويله علامات سوداء وخضراء يغلب أن تكون علامات دهان وجدت فى الأنسجة على الكتف والظهر ٠

واحتفظ بهذه الأشياء لتكون محل فحص دقيق بالمعمل وفحصت

السيارة التالفة فى حظيرتها ووجد فى الحاجز انبعاج خفيف ولكن الذى كان أكثر دلالة هو الدهان الذى أزيل من جزء منه وكان يتألف من عدة طبقات وجد متفقا مع الكمية الملتصقة بالدراجة وأخذت نماذج من جميع ما على السيارة من دهان أسود وأخضر وأرسلت الى المعمل وهناك أثبت الفحص والتحليل الدقيقان بما لا يدعو الى الخطأ أن الدهان والعلامات التى على الدراجة والملابس تماثل ما على السيارة المشتبه فيها ولابد أن تكون منها ٠

ولما ووجه أحد عمال المصنع بهذه الوقائع اعترف بأنه كان يسوق السيارة فى ليلة الحادث على الطريق الذى وقع فيه الحادث فوجهت اليه التهمة وأدين ٠

واليك مثالا غريبا للعمل الذى يؤديه المعمل يبين المسالك المجهولة غير المنتظرة التى يوجه اليها رجل المباحث ، فحوالى أواخر سنة ١٩٥٣ حضر الى أحد مراكز بوليس لندن أصحاب مكاتب المراهنة وشكوا اليه من أن عصابة تسرقهم بتزويرها قصاصات مراهنة يطالبون بموجبها بالحصول على أرباح لم تحصل أبدا وكانت القصاصات تسلم الى مكتب المراهنات بالطريقة المعتادة وعليها أسماء الخيول المختارة ومكتوب عليها قيمة مبلغ المراهنة بقلم الرصاص وكان يطلب المتراهنون اعادة القصاصات بعد السبق بحجة أنهم يرغبون فى الاحتفاظ بها فى سجل مراهناتهم ولم يمانع المكتب فى ذلك ٠ وفى نهاية اليوم كان يعيد البطاقات بعد أن يلغيها برسم خطين متعامدين على قيمة الرهان المكتوب بالرصاص وكان الالغاء يتم بوساطة قلم ذى طرف دائرى ٠

كان هذا الترتيب هو الذى أعطى الفرصة للمتراهنين والمزيفين لأنهم كانوا يأخذون القصاصات الملغاة ويمسحون الأسماء المكتوبة بالرصاص ويضعون بدلا منها بالحبر الذى يستعمله مكتب المراهنة اسم أو أسماء بعض الخيول الرابحة وبعد ذلك يعودون الى المكتب ويدعون أن القصاصة ألغيت بطريق الخطأ بينما أن بعض الخيول المذكورة فيها قد ربحت السباق ومع أن المكتب لم يستطع أن يدرك كيف وقع الخطأ كان يدفع القيمة ولكن لما تكررت المناورة من أناس متعددين ساوره الشك فعندما طلب منه دفع مبلغ خمسين جنيها فى رهان مزدوج استدعى البوليس ٠

أخذ رجال المباحث بعض القصاصات المشتبه فيها وأرسلوها الى المعمل لفحصها وتحت المجهر أمكن بسهولة رؤية آثار مادة الجرافيت التى كتبت بها أسماء الخيول فى المرة الأولى قبل محوها وكشف الفحص بالأشعة

تحت الحمراء أجزاء من الحروف فى الارقام التى كتبت أصلا بقلم الرصاص وبزيادة التدقيق فى فحص المواضع التى كتبت عليها أســماء الخيول بالحبر ظهر أنها كتبت فوق خطى الالغاء وعلى ضوء هذه الشهادة وجهت التهمة الى ثلاثة رجال وادينوا بتهمة التآمر والادعاء الكاذب واستعمال مستندات مزورة وصدرت عليهم أحكام بالسجن لمدد مختلفة ٠

والغرض الذى يهدف اليه انشاء المعمل : هو أن يقدم بيانا نزيهـا بالنتائج التى انتهى اليها والاستنتاجات المفصلة التى يمكن أن تستنتج منها وقد تكون فى مصلحة المتهم أو ضده ، وكثير من القضايا لا تقام فيها الدعوى لأن النتائج التى وصل اليها المعمل تشهد ببراءة المتهم ٠ وفى بعض الحالات يلجأ البوليس الى الاستعانة بالمعمل كما حدث فى قضـية (كريستى) حيث طلب الدفاع اخراج جثة (مسز بيرل ايفنس) من القبر وكان يقوم المعمل بقسط من الأبحاث بناء على طلب الدفاع يعادل ما قام به منها بناء على طلب الاتهام ٠

وفى قضية أخرى أحيل على المحاكم رجل اتهم باخفاء دراجة مسروقة ودافع عنه محاميه بأنه برىء وطلب أن يفحص المعمل الدراجة وهنـاك ظهر أنها من طراز مخالف لطراز الدراجة المسروقة وأنها لم تطل ابدا بالدهان بالطريقة التى ذكرها الاتهام وأن الرفارف لم تصنع من المادة التى ذكرها المجنى عليه وازاء هذه الظروف لم يجد الاتهام أى دليل عنده فأطلق سراح الرجل ٠

وفى قضية أكثر استدعاء للأسى اتهم رجل بأنه خنق زوجته وقد وجده البوليس ورأسه فى فرن يوقد بالغاز الا أن آثار التسمم بالغاز كانت قد زالت تماما وقد أدلى مستر « نيكولز » الرئيس الحالى للمعمل بشهادة تؤيد الاتهام وكان يجلس فى المحكمة عندما سرد الدفاع قصته وقال ان المتهم أثناء شجاره مع زوجته قبض على حنجرتها فتعثرت فى مشيتها وتبين أنها ماتت ولما أفاق حدث منه ندم وحاول أن ينتحر وانه لا بد أن يكون مضى عليه وهو فاقد الشعور ثمان وأربعون ساعة وهـو ملقى على الأرض ٠

تطوع فى الحال مستر (نيكولز) وقدم بعض البيانات للدفاع فقد رؤى أن المتهم تبول فى ملابســـه وأن البول امتص بعض الألوان من السجادة الموضوعة عند فرن الغاز وتخللت الألوان ملابس الرجل ولوثت ملابسه الداخلية وهكذا يكون قسط من قصة الرجل قد تأيد ولما سمع الدفاع هذا طلب أن يستدعى مستر « نيكولز » للشهادة وعلى ضــوء

شهادته الجديدة أصدر المحكمون قرارا بأن المتهم ارتكب جريمة قتل .

وربما كان أعظم نجاح أحرزه المعمل طوال مدة قيامي بأعمال الحكمدار قضية لم يوجه فيها أي اتهام . ففي أحد أيام مايو سنة ١٩٤٨ رأى أحد السكان المحليين وهو يسير في ميدان لعبة الجولف في «بوتارزبار» يدا وذراعا لانسان في احدى البرك فأبلغ البوليس الذي جفف البركة في خلال الأيام القليلة التالية فوجد الأجزاء الأخرى من جثة آدمي مقطعة الأوصال ولما ضمت الأجزاء بعضها الى بعض ظهر انها جثة رجل يبلغ طوله نحو خمسة أقدام وست بوصات وعمره من ٣٥ الى ٤٥ سنة ووجد ثقب في جبهته ووجد داخله قطعتان من العظم دلتا على أن الوفاة نشأت عن ضربة عنيفة على الجبهة وكانت أجزاء الجثة في دور متقدم من التحليل وذكر دكتور « تير » أن الوفاة حدثت على حسب ما يرى منذ أربعة أشهر أو ثمانية وفي الحال روجعت أسماء جميع الرجال الذين بلغ عن اختفائهم في تلك الفترة وقد عرفوا جميعا الا واحدا وهو « البرت وليم ولش » البالغ من العمر ٤٥ سنة والذي اختفى من داره في « بوترزبار » في ١٧ من نوفمبر سنة ١٩٤٧ ودلت التحريات على احتمال أن تكون البقايا هي بقايا جثة ولش ولكنه كان عمل المعمل هو الذي اقنع المحكمة أنها جثة ولش.

ركز المعمل اهتمامه على ثلاث نقط رئيسية :

١ ــ الجمجمة : فحصل على صورة فوتوغرافية لولش وعمل منها نسخا شفافة وعمل من الجمجمة التي وجدت في البركة صورة فوتوغرافية ووضعت كلتا الصورتين الواحدة فوق الأخرى ودلت الخطوط الخارجية والميزات الرئيسية على تشابه كبير بين الصورتين لم تدع مجالا للشك في أن الجمجمة هي جمجمة ولش .

٢ ــ الأسنان : وقد كان معروفا أن جميع أسنان ولش نزعت من بضع سنوات وهكذا كانت أسنان الجمجمة ووجد ما يدل على وجود خراج في الفك الأعلى وعرف أن ولش كان يشكو ألما كان في هذا الموضع قبل اختفائه .

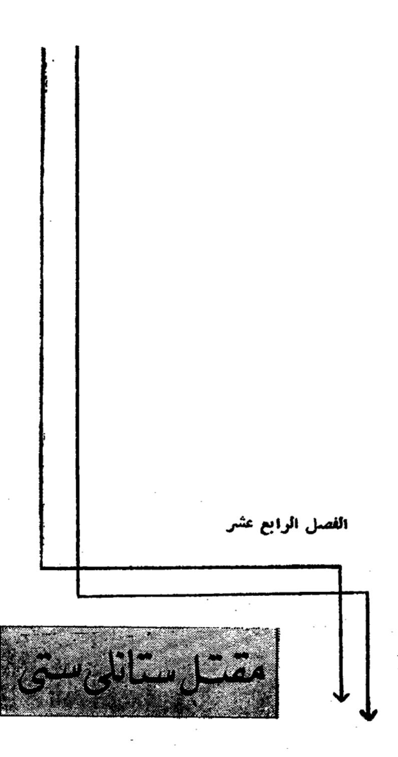
٣ ــ الأقدام : فقد حصل البوليس من زوجة ولش على حذاء له وعمل قالبا من الجبس والجيلاتين أخذ لباطن كل حذاء ولكي يتجنب خطر الانكماش أخذت صورة فوتوغرافية في الحال لهذين القالبين وأظهرت الصور الفوتوغرافية آثار أقدام في الحذاءين ولا سيما علامة للابهام بها بعض التضخم وأخذت صورة بالأشعة للاقدام التي وجدت بالبركة بعد أن

جمعت احدى القدمين بسبب الانحلال الذى أصابها وعملت صورةشفافة للصورة التى أخذت بأشعة اكس ووضعت فوق الصور المأخوذة للقالبين الداخليين للحذاء وأخبر مستر هولدن الذى كان رئيسا للمعمل حينئذ أنه يرى اتفاقا تاما بين صور الأشعة وآثار الاقدام داخل الحذاء ٠

ولقد اهتممت اهتماما بالغا بهذا الجزء المدهش من أعمال التجميع التى يقوم بها المعمل ٠ غير أن موظفيه ـ ككل جماعة من العلماء ـ كان همهم منصرفا الى الجزء الفنى وحده :

أما موضوع القتل فكان أمرا ثانويا ٠ ان كل ما لديهم هو بقايا جثة فمن هو صاحبها ؟ ٠

ان ما حصل عليه المعمل كان كافيا للتعرف على شخصية ولش بما أقنع ضابط الوفيات وقد هنأهم على ما بذلوا فى هذا السبيل وأصدر المحكمون قرارا بوجود جريمة قتل عمد ارتكبها مجهول أو مجهولون وعين تاريخ الوفاة بأنه ١٧ أو ١٨ من نوفمبر سنة ١٩٤٧ ٠ وحتى المعمل لم يستطع أن يعين على توجيه البوليس الى اتهام شخص معين بالذات ٠


الفصل الرابع عشر
مقتل ستانلي ستي

ستى يختفى ـ العثور على جذعه والتعرف عليه بوساطة بصمات الأصابع ـ الطائرة وكشف الجريمة ـ هيوم يدلى بأقوال فيتهم ـ تكوين الدعوى التى ترفع ضده ـ المحكمون يختلفون عند محاكمته الأولى ـ الاتهام بالقتل يسحب .

ليس كل اتهام من قبل البوليس يكلل بالنجاح ولكن الاخفاق لا يستوجب حتما الانتقاص من سمو العمل الذى تؤديه ادارة المباحث الجنائية فى سبيل إظهار كل الوقائع . حقا انه كلما ازدادت الوقائع صعوبة وغموضا كلما ازداد احتمال أن يتخذ المحكمون قرارا يغاير النتائج التى وصل اليها البوليس بسبب ما يعتور الوقائع من اضطراب وما يساور المحكمين من شك برىء فاذا حصل هذا هز الضباط المختصون أكتافهم وعرجوا على التحقيق التالى راضين بأنهم أدوا واجبهم بأن قدموا للمحكمة كل الوقائع التى لها صلة بالدعوى وقضية « ستانلى ستى » مثال لهذا .

فى ٥ من أكتوبر سنة ١٩٤٩ حضر شخص اسمه مستر « على ارام أورى » الى مركز بوليس شارع البانى وأبلغه أن صهره زوج أخته المدعو « ستانلى ستى » من أهالى فلسطين البالغ من العمر ٤٦ عاما تغيب عن منزله وكان ستى يتاجر فى السيارات وكانت آخر مرة رأته أخته فيها فى ٤ من أكتوبر فى طريق « يوستن رود » يقود سيارة ستروين سمنية اللون وعليها رقم (٤٤٤) واستطاعت أخته أن تصف ملابسه لأنه توقف ليحدثها بأنه لن يحضر للعشاء . وبعد ذلك بدقائق رؤى لآخر مرة يقود سيارة فى شارع يورتلند . ودلت التحريات على أن « ستى » فى ذلك اليوم تسلم ١٠٠٥ جنيهات أوراقا من ذات الخمسة جنيهات أداء لثمن سيارة باعها وكانت أرقام

مائتين منها متسلسلة تبدأ من رقم ٤١٠٣٩٨٠١ الى ٤١٠٤٠٠٠٠ ، ولمدة أسبوعين تقريبا ظلت تحركات ستنى سرا من الأسرار ثم حدث فى ٢١ أكتوبر أن عاملا زراعيا اسمه « سدنى تيفن » كان يقود قاربه فى المياه الضخمة بجوار « اسكس » بحثا وراء الطيور غير المتوطنة فرأى حزمة رمادية طافية على وجه الماء وكانت تبدو على شـــكل أجزاء من الفراش مربوطة بحبل ولما قطع الحبل طفا جذع آدمى وكانت اليدان معصوبتين من وراء الظهـــر بحزام من جلد وكان على الجسم حمالات فربط مستر « تيفن » الجثة الى عمود ثبته في الوحل وانصرف ليبلغ البوليس عما عثر عليه وبعد الكشف الطبى على الجثة فى « شلسفورد » أرسـل الجذع الى مستشفى لندن وأرسل اللباد الذى كان ملفوفا فيه والحبل والملابس التى وجدت معه الى معمل التحليل فى اسكتلنديارد ٠

أظهر الكشف الطبى على الجثة أن الرأس والساقين فصلت كلها بآلة حادة وأن عظام الفخذ قطعت بمنشار وكان على الصدر جروح قطعية يحتمل حدوثها من سلاح ذى حدين ، وأن هذه الجروح تسبب عنها الوفاة وأن جميع الأضلاع وعظام الحوض التى تحمى المثانة والجزء الأسفل من العمود الفقرى كسرت بعد الوفاة وتتفق الاصابات مع حالة السقوط من ارتفاع عال ولم توجد كدمات أو ما يدل على عنف بالغ ٠ وفى رأى الأطبـــاء أن الوفاة حدثت قبل غمر الجذع فى الماء بثمان وأربعين ساعة ثم قدر اخصائى علم الأمراض أن الجذع ظل فى الماء ٢١ يوما ٠

نزع الطبيب الجلد من أصابع كلتا اليدين : ومن بصمات الأصابع بعد نزع الجلد استطاعت ادارة بصمات الأصابع أن تقول : ان هذه البصمات هى بصمات « ستانلى ستنى » التى سجلت له حينما أدين فى تهمة تزوير فى سنة ١٩٢٨ ٠

استعان فى خلال هذه المرحلة رئيس كونستابلات اسكس التى وجد فى دائرتها الجذع ببوليس العاصمة فندب المساعدة فى التحقيق أحد مراقبى البوليس وجاويش مباحث ٠ وظهر فى صحف يوم الأحد ٢٢ من أكتوبر خبر العثور على الجثة ٠ وفى ٢٤ من أكتوبر تقدم كبير مهندسى نادى طيران الخدمات المتحدة فى « السترى » وقال انه فى ظهر يوم ٥ من أكتوبر حضر رجل اسمه « هيوم » الذى عرفه من زيارة سابقة للمطار ليســـتأجر طائرة « أوستر » طوال بعد الظهر ودفع أربع أوراق بنكنوت من ذات الجنيهات الخمسة لتسوية حساب سابق وحلق بالطائرة فى الساعة الخامسة قائلا انه ذاهب الى «سوث اندو» وفى الصباح التالى

عاد وقال انه ترك الطائرة فى مطار البلدية بســـوث اند حيث اعتزم أن يستردها خلال النهار وأن يعود بها الى السترى .

وشرع البوليس فى الحال فى استجواب كل شخص له صلة بالمطار يستطيع أن يدلى بأى بيان عن رحلة تلك الطائرة . فقدم أحد ميكانيكيى الطيران بيانات على أقصى ما تكون من الأهمية فقد قال : انه عرف هيوم وتذكر أنه منذ حوالى ثلاثة أسابيع حضر الى المطار فى سيارة سوداء ماركة سنجر وأنه أخذ من السيارة طردا ملفوفا فى مادة سمراء مربوطا بحبل ووضعهفى طائرة ماركة « أوستر » وكان حجم الطرد نحو قدمين وست بوصات فى قدم وتسع بوصات ، ومن الطريقة التى كان يحمله بهـــا « هيوم » يظهر أن الطرد كان ثقيلا ، وذكر أحد البرادين الذين يعملون فى الطيران والذين استجوبوا أيضا أنه يتذكر أنه رأى « هيوم » يصل الى المطار فى عربة حوالى الساعة الخامسة مساء ٥ من أكتوبر وأنه أخذ من السيارة طردين كبيرى الحجم فوضعهما فى الطائرة ، وأيد هـــذه الرواية براد آخر وأطلع هذان الرجلان فيما بعد على اللباد والحبلاللذين كان الجذع ملفوفا بهما وقال كلاهما انهما شبيهان بما كان على الطردين اللذين وضعهما « هيوم » بالطائرة .

ثم ظهر أعضاء نادى الطيران للخدمات المتحدة وقد كان يعيش فى نادى الطيران « بسوث اند » يوم ٥ من أكتوبر . وتذكر أنه فى ذلك اليوم هبطت طائرة من طراز أوستر على مطار « سوث اند » وأن « هيوم » خرج من الطائرة وطلب اليه أن يعود بها الى السترى ولكنه رفض وكان واثقا أن الطائرة أوستر كانت خالية من أى طرد فى ذلك الوقت .

ولما غادر « هيوم » الطائرة فى سوث اند عملت تحريات عنالحظائر هناك لمعرفة ما اذا كان استأجر منها سيارة ليعود بها الى لندن فقد اتفق أن سائقا تستخدمه شركة تأجير سيارات تذكر أنه أركب معه قائد طائرة من طراز « أوستر » وأوصله الى كولد زجرين وأنهما غادرا « سوثاند » فى نحو الســـــاعة ٦ر٣٠ م ودفع له الراكب أجره بورقة بنكنوت من ذات الجنيهات الخمسة استخرجها من بين حزمة من الأوراق .

دلت دفاتر « سوثاند » أن الطائرة أوستر غادرت المطار متجهة الى السترى فى الساعة ٤ر٧ م فى اليوم التالى وأظهرت التحريات التالية شاهدا رأى قائد الطائرة ينقل طردا كبيرا ثقيلا من سيارة الى طائرة حوالى الساعة الرابعة مساء يوم ٦ من أكتوبر فعرضمساعدته ولكن قائد الطائرة رفضها وظهر من الوصف أنه هو (هيوم) ومع ذلك فالطائرة لم تطر

رأسا الى « السترى » ولكنها هبطت فى مطار قريب من « جريفزاند » فى حوالى السادسة الا ربعا مســـاء وأن قائد الطائرة الذى ذكر أنه هيوم استأجر سيارة أجرة للذهاب الى لندن وكان يحمل سجادة خضراء مربوطة « بدوبارة » ، وأمكن الاهتداء الى سائق التاكسى الذى تذكر أنه أوصل هيوم الى حى « فتش لاى » وتقاضى أجره أيضا من ورقة مالية فئة الجنيهات الخمسة ٠

وقد علقت من قبل على الطريقة المقرونة بالصبر التى يبتنى بهـــا البوليس من تحرياتهم قطعة قطعة صورة كاملة للحوادث العابرة فجذع كجذع ستى وجد فى ٢١ من أكتوبر وفى ٢٦ منه جمع البوليس كثيرا من التفاصيل التى ذكرت ثم حان الوقت ليســـمعوا ما الذى يريد أن يقوله « هيوم » نفسه عنها فتوجهوا اليه فى مسكنه الذى يتـألف من منزل صـــغير فى الطابقين الثانى والثالث من منزل بـ « جولدرزجرين » وطلبوا اليه أن يصحبهم الى مركز البوليس ٠

وفى أثناء الطريق قال «هيوم» لماذا كل هذا ؟ فأجابوه : نحن نحقق حادث قتل ستانلى ستى ٠ فقال هيوم : انى لا أستطيع مســـاعدتكم فى هذا الشأن لأنه لاعلم لى بشىء عنه ٠

ولما طلب اليه أن يصف تحركاته يومى ٤ و ٥ من اكتوبر ورحلته بالسيارة الى السترى يوم ٥ منه قال : أولا انه لم يقد ســـيارة خـــلال الثلاثة أو الأربعة الأشهر الأخيرة فذكر له البوليس أنه رؤى يقود سيارة فى مطار « الســـترى » يوم ٥ من أكتوبر وحينئذ اعترف هيوم بأنه قاد فعلا سيارة الى المطار وفى ذات اليوم المذكور وأنه استأجر طائرة ليذهب بها الى سوث‌اند ولكنه لم يكن معه أى طرد ٠

وفى اليوم التالى كرر هذا الانكار ولما أخبر أن شهودا رأوه وهــو يضع طردين فى الطائرة فى السترى وفى سوث انـــد ــ حلت اللحظة المؤثرة وهى اللحظة التى تهز مشاعر أقسى رجال البوليس ، ووضع هيوم رأسه بين يديه وهو يسب نفسه سبا قبيحا٠

لا يعرف الانسان ماذا يدور فى ذهن الرجل المشتبه فيه فى هذه اللحظة ، لحظة الانهيار ، قد يظن أحدهم لابد أنه اليأس ازاء ثقل معلومات البوليس ويقظة أحزانه وشعوره بعدم جدوى محاولة اخفاء أى شىء فمـا الذى يحيطون به علما وما مقدار الحقيقة التى يؤمن جانب اخفائها ؟ ٠

وادلى « هيوم » ببيان مطول ذكر فيه أنه فى ٣٠ من سبتمبر قابل

رجلين سماهما ماك وجرين في مكتب تاجر سيارات في « ورن ستريت» وأنه اتفق على أن يقود لهما طائرة تقلهما من والى أوربا للتهرب من دفع الرسوم الجمركية وفى يوم ٥ من أكتوبر بين الساعة الثانية والثالثة مساء زاره فى بيته ماك وجرين وآخر يعرف باسم بوى ومعهم طردان قالوا انهما يحتويان على صفائح أو مكابس تستخدم فى طبع كوبونات بترول مزورة وطلبوا اليه أن يلقى بهما فى البحر فوافق وتقاضى أجرذلك خمسين جنيها مكونة من أوراق مالية من فئة الجنيهات الخمسة فوضع الطردين فى خزانة المطبخ وبعد الظهر وضعهما في سيارته وقادها الى «الستري» وهنـــاك نقلها الى الطائرة وطار متجهابها الى سوث اند وعرج على البحر وفتح الباب المجاور لقائد الطائرة وألقى كلا من الطردين فى المـاء على بعد أربعة أميال أو خمسة من الشاطىء .

وصف بعد ذلك هبوطه بالطائرة فى سوث اند والسيارة التى اقلته الى داره وأنه لما بلغها قابله « ماك » فأخبر ماك بأنه القى بالطردين فى البحر وأن ماك قاده عبر الطريق الى سيارة من طراز همبر كان بها «جرين وبوى » وكان فى خلف السيارة طرد كبير الحجم وسألوه ان كان يستطيع أن يلقى هذا الطرد أيضا فى البحر وأعطاه (بوى) مائة جنيه وحملواالطرد الى داره ووضعوه فى خزانة المطبخ كالمرة الأولى وفى اليوم التالى أنزل الطرد ووضعه فى سيارة مستأجرة بمساعدة مستخدم فى الحظيرة وبينما هو يفعل ذلك سمع صوت حشرجة يخرج من الطرد فظن أنه ربما كان به جثة آدمى وجال بخاطره أنها قد تكون جثة ستى الذى كان يعرفه .

ولو أننى كنت أسجل كتابة أقوال «هيوم» فانى أظن أن الاغـــراء كان يدفعنى الى أن أوجه اليه سؤالا عن هذه النقطة « أى حياة هذه التى تعيش فيها ، هذه الحياة التى تسمع فيها صوت حشرجة تخرج من الطرود وتظن فى الحال أنها صادرة عن جثة ؟ كيف يتسنى لك أن تفكر فى ستى ؟ » ولكن ليس هذا النوع من الاسئلة هو ما يعده الضابط المحنك مفيـــدا عندما يتولى الاستجواب .

استطرد « هيوم » يقول كيف أنه قاد السيارة الى «سوث اند» ومعه الطرد وكيف وضعه فى الطائرة وحلق بها وكيف تمكن مع بعض الصعوبة فى القائه فى البحر قريبا من نفس المكان الذى ألقى به الطردين الآخرين ثم فقد أعصابه وهبط بالطائرة فى « فافرشام » وحلق ثانية ثم هبط فى جريفزاند حيث ترك الطائرة واستأجر «تاكسى» ليعود الى لندن وحينمـا

رأى ما ذكرته الصحف عن اختفاء ستى وأرقام الأوراق النقدية التى كانت فى حوزته راجع الارقام التى أعطاها اياها « بوى » فوجد أن أربعة منهـا كانت ضمنها وفى يوم الاحد ٢٣ من اكتوبر قرأ عن العثـور على جزء من جثة ستى وبعد ذلك فورا كلمه (بوى) تليفونيا فحذره من أن يقـول شيئاً للبوليس فمنذ هذا الوقت لم ير أحدا من هؤلاء الرجال الثلاثة ولم يسمع عنهم شيئا ؟

اخفقت التحريات العميقة التى عملت فى ورن ستريت وفيما يجاوره فلم يعثر على أى شخص رأى «ماك وجرين وبوى» أو سمع عنهم والحـق أنه يوجد كل سبب للشك فى أنهم أشخاص حقيقيون «وهيوم» نفسـه عندما سئل عنهم مرة أخرى قال انه ليس لديه ما يضيفه من بيانات عنهم وفى هذا المساء وجهت اليه تهمة قتل «ستى» فجوابا على هذا الاتهـام قال « لا لم أقتله انى لست مذنبا » وفى اليوم التالى قدم للمحاكمة أمام محكمة بوستريت وأجلت المحاكمة حتى ٥ من نوفمبر ، واستمرت تحريات البوليس فى هذهالفترة وتبين أن «هيوم» كان فى حاجة شديدة للمـال ولكنه فى ٥ من اكتوبر أودع البنك مبلغا من المال ووجد شهود يشهدون بأن «ستى» كانت له علاقات تجارية «بهيوم» وأنه وجد معه فى سـنتى ١٩٤٨ و ١٩٤٩ فلما سئلت زوج هيوم أنكرت معرفتها بأى شيء عن رجال ثلاثة زاروا زوجها فى ٥ من اكتوبر وكذلك بالرجلين اللذين زاراه مساء ذلك اليوم ومعهما طرد كبير وأنها لا تعلم شيئا عن طرد حمل من المطبخ فى صباح اليوم التالى .

كان معمل الطب الشرعى يشغل أيضا فى القضية فتبين له أن دم القتيل من فصيلة «٥» وفى ٢٥ من أكتوبر بحث مدير المعمـل الطائرة أوستر ووجد آثار دم على أرضها خلف مقعد قائدها وفحص أيضا سجادة خضراء أخذت من مسكن هيوم ووجد عليها بقعة دم آدمى غير أن السجادة نظفت وصبغت وكان يستحيل القول بنوع فصيلة الدم التى تنتمى اليها البقعة وأثبت فحص أرض غرفة الأكل وجود آثار من فصيلة «٥» تسرب الى الشقوق بين ألواح الارض الواقعة بين غرفة الطعام والمطبخ ، ووجدت آثار مماثلة على الاخشاب التى يوضع تحتها البياض وعلى حافة حوض غسل الأيدى الموجود بالحمام وفى ٣ من نوفمبر وجدت آثار أخرى على المشمع المغطى للقاعة الصغيرة الموصلة بين غرفة الاستقبال والحمام، وفى شقوق ألواح خشب الارض فى هذه الغرفة وجدت آثار كثيرة على عدد كبير من درجات السلم الموصل الى الحمام فى الطابق العلوى وعلى جدران السلم بين الطابقين الأول والثانى وأن نحو ٤٢٪ من السكان ذوو دم ينتمى الى

فصيلة «٥» وبما أن البقع الدموية التى جمعت تنتمى الى هذه الفصيلة فلا يجعل منها قرينة قاطعة٠٠ ولكنها فى هذه الظروف تكون قرينة قوية على أن هذه البقع من دم سقط من بقايا جثة « ستى » المقطعة ٠

بعد ذلك استجوبت المساعدة اليومية « لمسز هيوم » فقد لاحظت فى ٥ من أكتوبر أن السجادة الخضراء اختفت من غرفة الاستقبال وأخبرها هيوم أنها أرسلت للصباغة لأنه لم يستطع أن يزيل منها بعض البقع وذكر أيضا أنه حينما كانت مسز هيوم تستعد لمغادرة المسكن مع الطفل قال هيوم انه سيتولى تنظيف خزانة المطبخ ويجب ألا يشغله أحد بعد ساعة أو نحوها رأته فى الردهة ومعه طرد كبير الحجم ويظهر أنه ملفوف فى ورق أسمر يضعه تحت ذراعيه وكان فى الصباح قد أعطاها شلنين ونصف شلن وقال انه أتلف قطعة القماش الجديدة التى تستعملها لتنظيف الارضية وذلك أثناء محاولته غسل السجادة ، وأن هذا المبلغ لتشترى به قطعة بدلا منها ٠

أثبت البوليس بعد ذلك أن «هيوم» أخذ السجادة الى محل التنظيف فى فنشلى رود وأنه سأل عنها جملة مرات ثم استردها أخيرا فى ١٩ من أكتوبر من المصبغة ووجد نقاش تذكر أن زميلا له من الصناع طلب اليه أن يزور هيوم فى بيته حول الاسبوع الأول من أكتوبر وأنه فعل ذلك وطلب اليه أن يدهن بعض أجزاء الارض ومن ضمنها ذلك الجزء من أرض غرفة الطعام الذى بين باب القاعة وباب المطبخ وفى حوالى الساعة ١٢ من اليوم نفسه ساعد هيوم فى انزال طرد كبير ملفوف فى لباد ووضعه فى سيارة ، ولما عرض على هذا الرجل اللباد والحبل اللذان وجدا على جذع « ستى » قال انهما يماثلان ما كان منهما على الطرد ٠

ثم تعرف أحد المستخدمين فى حظيرة محلية على سكين مطبخ وجدت فى مسكن هيوم وذكر أن هيوم طلب منه أن يشحذها بعد ظهر يوم ٥ من اكتوبر ولما سئل هيوم عن هذا الموضـــوع اعترف بأنه أخذ السـكين ليشحذها وقال انه شحذها ليستخدمها فى قطع فخذ من اللحم ٠

وتعرفت احدى المستخدمات فى محل تجارى فى وست اند على ورقة مالية من ذوات الجنيهات الخمسة وكانت قد أخذت رقمها وتذكرت أنهـا دفعت لها يوم ٢٢ من أكتوبر للحصول على كتاب بعناوين التليفونات ودل الرقم على أن الورقة المالية كانت من بين الاوراق التى تسلمها يوم ٤ من أكتوبر ومن وصف العاملة لم يبق شك فى أن المشترى هو هيوم وقد وجد دفتر العناوين فى مسكنه ٠

لم يعثر في مسكن هيوم على أية بصمات لأصابع ستى كما أن سيارة ستى التى وجدت مهجورة بجوار الحظيرة فى (سانت بنكراس) لم يكن بها أثر بصمات ذات قيمة ٠

كان لهيوم سابقة جنائية أدين فيها فى سنة ١٩٤٢ بتهمة الادعاء كذبا بأنه كان فى خدمة جلالة الملك وكان يرتدى كسوة القوات الجوية الملكية بغية الحصول على اذن فى الدخول الى مكان محرم وكان يحمل لهذا الغرض مستندا مزورا ٠

وكان هذا الدليل الذى قدمه الاتهام ضد هيوم عند محاكمته أمام القاضى لويس فى محكمة أولد نيلى يوم ١٨ من يناير وقدم الاتهام ٢١ شاهدا وأدلوا بشهاداتهم وحينذاك أصيب القاضى بمرض مفاجىء ولم تكن مندوحة من استئناف الاجراءات من جديد أمام القاضى «سلرز» ٠

وكان بين شهادات شهود الاتهام العديدين بعض نقط فى مصلحة هيوم فقد قرر دكتور نير الاخصائى فى علم الامراض أنه يرى أن أكثر من شخص اشتركوا فى حادث القتل ذاكرا أنه لا توجد أى جروح على أيدى « ستى » كما كان يحتمل حصوله لو أن ستى كان حرا فى الدفاع عن نفسه وذكرت مسز هيوم أنها لا تعرف شيئا عن البقع الدموية التى وجدت فى المسكن وأن كل ما تذكره هو أن هيوم قضى ليلة ٤ من اكتوبر ـ وهو اليوم الذى اختفى فيه ستى ـ فى المنزل ٠

لم يكن هناك بطبيعة الحال أى دليل مباشر يدل على الوقت الذى قتل فيه ستى ولا عن كيفية قتله ولم يوجد أى شخص رأى أو سمع عن طرود أخذت الى المنزل أو سمع أية ضجة فى ليلة ٤ من اكتوبر ولو أن القتل حصل فى مسكن هيوم وأن عظام الفخذ نشرت فيه لما كان هذا ليتم دون ضجة كبيرة وفى الواقع شهد أحد سكان الطابق الادنى بأنه لم يسمع شيئا ليلة ٤ من اكتوبر ٠

تقدم أحد الصحفيين واسمه « دجلاس كلاى » وقال لى انه قابل «ماك» و «بوى» فى باريس سنة ١٩٤٩ أى قبل الحادث فكان هذا هو الدليل الوحيد الذى استطاع الدفاع أن يقدمه على وجود الرجال الثلاثة الذين زعم هيوم أنهم أحضروا الطرد الى مسكنه ٠

وذكر هيوم فى شهادته سلسلة الحوادث لغاية مساء ٥ من اكتوبر وكانت مطابقة لأقواله الاولى التى أدلى بها للبوليس ولما أبديت هذه الاقوال لم يكن البوليس يعلم شيئا عن اكتشاف بقعة دم فى مسكنه ولم تشر

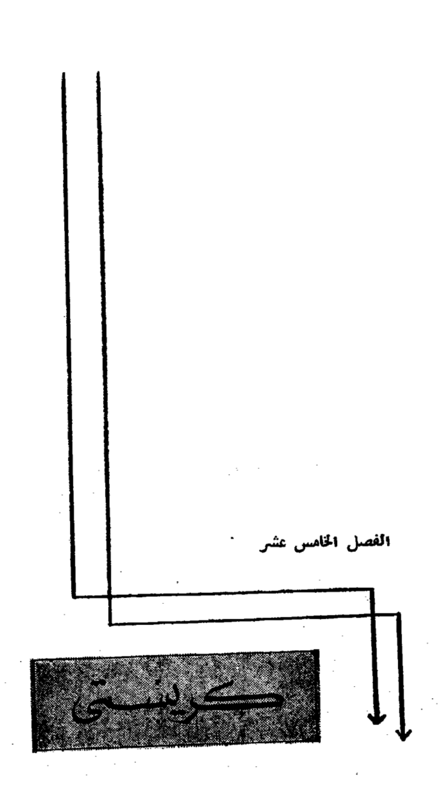
الاقوال الى الدم الذى كان يتسرب من الطرد الكبير الذى أدخل الى مسكنه فى ذلك المساء وفى الواقع أنه وصف الطرد أنه جاف والآن وقد ووجه هيوم بأدلة معمل الطب الشرعى فقد قال : انه لاحظ حينما وضعت الحزمة الكبيرة فى غرفة الطعام أن دما أخذ يتسرب منها على الارض فوضعوها فى الدولاب حيث وجدوا به أيضا دما ٠

وفى اليوم التالى أخرج الطرد من الدولاب وبينما ينزل على السلم ليوصله الى سيارته سقط منه وكانت النتيجة أن جانبا من جوانبه فتح ووقع بعض الدم منه على الارض فأعاد تثبيت الحبل وغطى البقعة التى على الطرد بقطع من ملابس زوجته ومسح الدم وبعد أن فعل ذلك وصل النقاش وأعانه على حمل الطرد وانزاله الى السيارة ٠

كانت الادلة الاستنتاجية ضد هيوم فى غاية القـــوة وكان اغفاله الاشارة الى الدم الموجود فى مسكنه فى أقواله الاصلية داعيا الى تأويله تأويلا فى غير مصلحته بالمرة لكن يظهر أن شرحه فى المحكمة اقنع المحكمين كما أقنعهم عدم وجود أى دليل على كيفية حصوله على اللفـائف والحبل التى استخدمت فى ربط الحزمة فبعد أن انسحب المحكمون للمداولة مدة ساعتين وتســـع وعشرين دقيقة لم يتفقوا على قرار فكان لا بد من اجراء محاكمة جديدة ولكن عندما قدمت القضية لمحكمين آخرين قرر النائب العام ألا يقدم أى شهود على تهمة القتل وأن يكتفى بالتهمة الثانية وهى أن هيوم كان شريكا وهنا اعترف هيوم بأنه مذنب وصدر الحـــكم عليه بالسجن اثنتى عشرة سنة ٠

ليس من شك فى عدالة هذا الحكم غير أن التساؤل عن الذى قتل « ستنى » وكيف قتل ومتى قتل ؟ لا يزال بغير جواب ، ومع أن السر لايزال بغير حل فان اعادة تصور جميع تحركات « هيوم » فى تلك الايام المحرجة تقدم مثلا طيبا لعمل رجال المباحث ٠ ولما شرح «هيوم» لرجال البوليس فى ٢٦ من اكتوبر الطريقة التى تخلص بها من بقايا الجثة بالقائها من طائرة الى البحر ، لم يخبرهم بشىء لم يكونوا قد اكتشفوه نتيجة لتحرياتهم وهذه القضية تبين تماما قيمة التعاون الوثيق بين رجال البوليس والمعمل وخبير الامراض تؤيدهم جميع موارد أحد مستشفيات لندن ، واستطاعوا جميعا أن يجمعوا تفاصيل الطريقة التى تم بها التخلص من الجثة وهى حتى الآن طريقة فذة من طرق الجريمة فى بريطانيا ٠

الفصل الخامس عشر



اكتشاف أربع جثث ـ العظام التى وجدت فى الحديقة ـ القاء القبض على كريستى وأقواله ـ عمل عظيم من أعمال التجميع ـ تعقيد قضية ايفنز ـ محاكمة كريستى والحكم عليه ـ تحقيق قضية سكوت هندرسون ـ الاقوال الختامية لكريستى ٠

ان قضية « جون هاليداى رجينلد كريستى » أثارت اهتماما خاصا لا لأنها تضمنت سلسلة من حوادث القتل ترجع الى عشر سنوات ٠ ولكن بسبب المشكلة التى أوجدها اعتراف « كريستى » فى حادث قتل أدين فيه شخص آخر ونفذ فيه حكم الاعدام ، وللمصادفة فى هذا الشأن نصيب كبير الا أنه يصعب على كثير من الناس أن يصدقوا أن سلسلة من حوادث القتل يمكن أن ترتكب فى بيت واحد ويرتكبها رجلان يختلف أحدهما عن الآخر ٠

تبدأ القصة فى مارس سنة ١٩٥٣ فى ذلك المنزل الكالح اللون الكائن فى ١٠ «ريلنجتون بلاس» فى «نوتنجهام هل» حيث استأجر كريستى وزوجه الطابق الارضى من المنزل منذ سنة ١٩٣٨ ، وفى أواخر مارس توجه مستأجر آخر أراد أن يستخدم مطبخ الطابق الارضى ليثبت رفا يضع عليه جهاز الراديو ، فلما طرق الحائط لاحظ أنه مجوف فنزع بعض ورق الحائط وأدخل مشعلا فى الفتحة فرأى فى داخلها ظهرا عاريا لجثة آدمية ، واستدعى البوليس ووجدوا خلف ورق الحائط باب دولاب للفحم ، وكان فى الدولاب جثث لثلاث نساء ، ولاحظ البوليس أيضا فى الغرفة الامامية أن بعض ألواح الارض غير مثبتة ووجد تحتها جثة امرأة رابعة مغطاة بالتراب ٠

خــلال الايام القليلة التالية فتش البوليس المنزل من الارض الى السقف وأخذ ينزع الارض والمواقد ويهدم الجدران المجـوفة · ولـكنه لم يعثر على جديد ، وقد حفروا الحديقة الخلفية فوجدوا بها عددا من العظام البشرية ، وأظهر فحص هذه الجثث التى وجدت فى المنزل أن النســاء الاربع كلهن متن خنقا ، وفى ثلاث حالات كان هناك ما يدل على حصـول الموت بالخنق والتسمم بأول أوكسيد الكربون ·

والجثة التى وجدت تحت ألواح الارض ظهر أنها جثة مسز «كريستى» وتعرف عليها أخوها وأختها ، وكانت آخر أخبار تلقتها الأخت خطابا منها مؤرخا فى ١٥ من ديسمبر سنة ١٩٥٢ أضاف اليه كريستى حاشية يقول فيها « ليس لدى ايثل ظروف » · ولذا توليت تصديره بالنيابة عنها وأنا فى العمل ، وفى عيد الميلاد تلقت الأخت خطابا من كريستى يقول فيه : ان زوجته طلبت منه أن يكتب بطاقات عيد الميلاد لانها تشكو روماتيزما فى أصابعها · وفى ١٧ من يناير كتبت الأخت الى مسز كريستى ولكنها لم تتلق ردا بعد ·

لم ير أحد من الجيران مسز كريستى منذ عيد الميلاد أو قبله بقليل، وكان كريستى نفسه يجيب عن غيـاب زوجته بسلسـلة من القصص المتضاربة ، فقال لبعضهم انه تشـاجر مع زوجته فهجرته ، والى البعض الآخر أنه وجد عملا جديدا تارة فى « برمنجهام » وتارة أخرى يقول انه فى « تورثمبتون » أو «تشستر» أو «شفيلد» وان زوجته طبقـا لهذه القصص سبقته الى هذه الاماكن ·

كان لابد أن ينصب الشك على «كريستى» لانه غادر المسكن فى ١٩ من مارس دون انذار بعد أن أجره الى مستأجرين جدد وان لم يكن له حق التأجير من الباطن على الاطلاق ، واستعار منهم حقيبة ملابس ورأوه يضع فيها أشياء مختلفة من ملابس النساء ثم قوى الشك فى أمره عندما أسفر فحص خطاب ١٥ من ديســمبر عن أن تاريخه غير ، وحينما تذكر المستأجرون الآخرون المقيمـون فى المنزل أنهم كانوا يرون كريستى من اكتوبر سـنة ١٩٥٢ يصب من وقت لآخر مواد مطهرة فى البـالوعات ويرشها على أرضية الممر ·

أخذ البوليس يبحث عن « كريستى » فى جميع الاماكن التى يحتمل ان يجده فيها بلندن ، وفى أثناء بحثهم زاروا بطبيعة الحال المساكن العامة التى يلجأ اليها المجرمون المطلوب البحث عنهم ليختفوا فيهـا ، وكانت

النتيجة أن كريستى امكن تعقبه بسرعة فى « روتنهاوس » فى كنجز كروس رود ،حيث مكث من ٢٠ من مارس الى ٢٥ منه وغادرها قبل أن تصل اليه يد البوليس .

فى ذلك اليوم كتبت الصحف حكايات طويلة حول حادث القتل . وفى الصباح الباكر رأى أحد كونستابلات البوليس فى نوبته للعمل على ساحل « بتنى » رجلا يرتكن على حائط النهر فلما سئل عن اسمه أجاب انه « وادنجتون » . وهذا مثال يبين كيف يعوز المجرمين كثير من قوة الخيال لان هذا الاسم هو اسم صهر كريستى ، وان كان الكونستابل لم يكن يعرف ذلك وقتذاك ، ولم يقتنع الكونستابل بهذا وطلب الى الرجل أن يصحبه الى مركز البوليس « بتنى » واتفق أن مرت عربة البوليس فى تلك اللحظة فركباها . وفى الطريق دون أن ينبس الرجل بكلمة أخرج بطاقة شخصيته للكونستابل وكان عليها اسم « جون كريستى » .

وفى مركز البوليس استجوب أحد رؤساء المفتشين « كريستى » وأخبره بالعثور على جثة مسز كريستى وسأله هل يود أن يقول شيئا عنها ، فاخذ كريستى على الفور يبكى ، وهو رجل هزيل أصلع الرأس يضع على عينيه منظارين ضخمى العدستين ، وكان شكله أقرب الى شكل الكاتب المنهوك منه الى شكل رجل قاتل .

قال : انها أيقظتنى وكانت بها غصة لم أستطع أن أتحمل المنظر طويلا ... وأنت تعلم مدى ما فعلت .

وهنا وجد كبير المفتشين أنه يصح تحذيره ، وبعدئذ أدلى كريستى بأقواله ، وقال : انه استيقظ ليلة ١٤ من ديسمبر ليجد زوجته فى حالة تشنج ، وقد ازرق وجهها وغص حلقها فأخذ جوربا وربطه حول عنقها ليحملها على النوم واستطرد يقول : تركتها فى الفراش يومين أو ثلاثة ولم أعرف ماذا أفعل ، ثم تذكرت أن بالغرفة الامامية بعض ألواح الارض غير مثبتة فعدت ووضعتها فى حزام وأخذت أسحبها مرة وأحملها أخرى حتى وضعتها تحت الالواح وواريتها التراب .

وأخذ يصف بعد ذلك بيع أثاثه بعد عيد الميلاد وبيع خاتم زوجته وساعتها الذهبية ، فقد باعهما الى تاجر مجوهرات فى «شبردزبوش» لانه كان فى ضائقة مالية . وهذا الجزء من القصة حقق بسرعة الرجوع الى تاجر المجوهرات الذى قدم دفتر مشترياته وكان فيه الامضاء الصحيح والعنوان الحقيقى لكريستى .

وعندما قبض على كريستى وجد معه ايصال لخطاب مسجل مرسل الى فرع أحد البنوك بشفيلد ، وهذا الفرع تسلم خطابا بتاريخ ٢٦ من يناير سنة ١٩٥٣ وعليه امضاء ايثيل كريستى يطلب فيه تقفيل الحساب وصرف الباقى ، فأرسل البنك مبلغ عشرة جنيهات وخمسة عشر شلنا وبنسين • وتسلم بدلا من الايصال شيكا عليه امضاء ايثيل كريستى ، وكان الامضاء الذى على الخطاب والامضاء الذى على الشيك تقليدا متقنا لامضاء المرأة المتوفاة ولم يسترع ريبة أحد فى البنك • بناء على هـــذا الدليل وجهت الى كريستى تهمة قتل زوجته وقدم للمحاكمة أمام المحكمة ووضع تحت الحراسة حتى يستطيع البوليس أن يستكمل تحرياته •

ذكر كريستى فى الاقوال التى أدلى بها أنه يشكو من صداع مزمن ودوار والتهاب الانسجة واسهال حاد وأنه كان يعالج منها طبيا فى أوقات مختلفة من سنة ١٩٤٨ الى سنة ١٩٥٢ • وأيد طبيبه هذه الاقوال وقال انه نصح كريستى فى يوليو سنة ١٩٥٢ بدخول أحد مستشفيات الامراض العقلية كمريض متطوع ولكنه رفض ذلك •

استمر البوليس يقوم بتحرياته للتعرف على الجثث الثـــلاث التى وجدت فى الدولاب ولم يمض طويل وقت حتى تعرف عليهـــا أقرباؤهن وأصدقاؤهن بينما أن أناسا آخرين قرروا أنهم رأوهن فى صحبة رجل عرفوا أنه كريستى الذى شرح هو نفسه كيف التقى عرضا بهؤلاء النسوة الثلاث ، وكيف أنه صحبهن الى مسكنه • وقال كريستى انه كانت تقوم فى كل حالة مناقشة بينه وبينهن ، وكانت النسوة يرفضن مغادرة المسكن فكان يقع بينهم نوع من الشجار ينتهى بأن تسقط النساء على الارض أو على أحد الكراسى ، وكان كريستى يدعى عدم قدرته على تذكر ما حصل على وجه الدقة ، ففى احدى الحالات ظن أن ملابس المرأة لا بد أن تكون قـد التفت حول عنقها ، وفى حالات أخرى وجد المرأة راقدة على كرسى وحول عنقها ثوبها وفى الحالة الثالثة كانت على الارض فقط ، وهداه التفكير فى كل مرة الى أن يضع الجثة فى الدولاب •

وأظهر الكشف الطبى على كل جثة عدا جثة مسز كريستى آثار تسمم بأول أكسيد الكربون ، وهـــذه نقطة هامة بسبب ما ذكره فيما بعد عن الطريقة التى اتبعها مع امرأة أو اثنتين ممن وجدت جماجمهن فى الحديقة •

عملت فرقة من رجال البوليس فى حفر جميع تربة الحديقة الى عمق قدمين حتى وصلوا الى طبقة الطفل التى لم تمسسها يد ، واستغرق هـذه

العمل عدة أيام ، وكانت النتيجة اكتشاف عدد من العظام البشرية والشعر والملابس وبعض قصاصات الصحف .

أما العظام فنقلت الى ادارة التشريح فى مستشفى لندن حيث فرزت وجمعت حتى تألف منها هيكلان عظميان يكادان يكونان كاملين لم ينقصهما الا جمجمة وبضع عظام ، ولو أن جمجمة قد تفككت الا أنها جمعت من اثنتين وتسعين عظمة مكسورة ، ومع ذلك لم يمكن الجزم لأى الجثتين تنتمى هذه الجمجمة التى أعيد تركيبها هذا التركيب العجيب ؟ وللتثبت من أنه لم تغفل أية قطعة صغيرة نخلت جميع تربة الحديقة بعناية ونتج عن هذا اكتشاف بعض الاسنان والعظمة الفقرية الرابعة من جهاز الرأس.

وبناء على هذا الدليل الجديد استطاع رجال التشريح أن يعينوا — على وجه التحقيق — الجثة التى تتبعها هذه الجمجمة .

أجرى البحث عن الجمجمة الناقصة فى جميع محطات البوليس القريبة وسئل ضابط الوفيات المحلى وأظهرت السجلات أنه بينما كان رجال البوليس يحققون حادث مقتل امرأة تسمى مسز ايفنز بنفس العنوان فى سنة ١٩٤٩ علموا أن كلب كريستى استخرج من الحديقة جمجمة ، وأن كريستى ألقى بها فى الطابق الارضى لمنزل هدمته القنابل حيث وجد البوليس الجمجمة فى سنة ١٩٤٩ ، وأظهر الاختبار الذى قام به أحد اخصائيى علم الامراض أن الجمجمة لامرأة فى نحو الثالثة والثلاثين من عمرها ، وأبلغ الامر الى ضابط الوفيات . ولما لم يكن هناك ما يدل على تاريخ الجمجمة فقد رجح أن تكون لشخص قتل أثناء الغارات الجوية ، اما الآن فلم يبق الا قليل من الشك فى أنها جمجمة الهيكل العظمى الآخر الذى جمع وأعيد تركيبه من البقايا التى وجدت فى حديقة كريستى .

تلاشى لحم الجثتين كلية ودل فحص التربة على أنهما دفنتا وعليهما الملابس كاملة منذ تسع سنوات أو عشر وأنهما تحللتا حيث وجدت العظام ومن هذه البقايا استطاع علماء التشريح أن يقولوا ان الجمجمتين كانتا لامرأتين احداهما — وهى التى أعيد تركيب جمجمتها — تبلغ من العمر احدى وعشرين سنة وكان طولها نحو خمسة أقدام وسبع بوصات أو ثمان وكان لأحد أسنانها تاج من خليط الفضة والبلاديوم وكان مصنوعا بالطريقة التى تمتاز بها صناعة الاسنان فى وسط أوربا ، أما الأخرى فكان عمرها بين ثلاثين وأربع وثلاثين سنة وطولها حوالى خمسة أقدام وبوصة أو بوصتين .

لم تشغل قضيتا هاتين المرأتين الا جزءا صغيرا نسبيا فى محاكمة

كريستى ولذلك فان العمل العظيم الذى أتمه علماء التشريح فى مستشفى لندن ـ باعادة تركيب الجمجمتين ـ لم يسترع انتباه الجمهور ، ولكن الرجوع الى سجل الأشخاص الغائبين فى اســـكتلنديارد أيد كل ما عملوه فان السجلات أظهرت أنه فى أغسطس ســـنة ١٩٤٣ اختفت احدى اللاجئات الشابات القادمات من فينا واسمها « روث فورست » وكان عمرها حينذاك ٢١ سنة ووجد البوليس فى الحديقة بقايا صحيفة محترقة تاريخها ٩ من مايو سنة ١٩٤٣ واختفت امرأة أخرى اسمها «موريل اميليا ايدى» وعمرها ٣٢ سنة وكانت تعمل فى مصنع للراديو فى « بارك رويال » وكانت قد تركت منزل عمتها فى بتنى فى ٩ من اكتوبر سنة ١٩٤٩ قائلة « انى لن أتأخر » ولكنها لم تعد وكانت ترتدى رداء أسود ووجد فى حديقة كريستى آثار ثوب حريرى أسود ٠

كان البوليس يعتقد بحق أنهما هما المرأتان اللتان وجدت عظامهما بالحديقة ولكن لمضى فترة طويلة من الزمن لم يستطيعوا أن يجدوا دليلا على وجود صلة بينهما وبين كريستى وبناء على ذلك اتفق كبير المفتشين الذى تولى التحقيق مع محـامى كريستى على أن يتـــوجه اليه فى سجن بركستون انتظارا للمحاكمة وكان هذا فى ٥ من يونيو وسأله المفتش هل يرغب فى أن يقول شيئا عن البقايا التى وجدت فى الحديقة فأدلى كريستى بأقوال تؤيد شخصية المرأتين وقال انه قابل فورست فى سنة ١٩٤٣ وانها ذهبت معـــه الى مسكنه حيث خنقها بحبل ودفنها فى الحديقـة وبعد ذلك ببضعة أشهر بينما كان يحفر فى الحديقة استخرج جمجمة فوضعها فى صفيحة القمامة التى كان يستعملها فى حرق الجثث ٠

وفيما بعد حينما كان يعمل فى أحد مصانع الراديو تقابل مع «موريل ايدى» وشرح كيف أنها فى احدى زياراتها لمسكنه شكت من زكام فأقنعها أن تستنشق بعض دواء اسمه « بلسم فراير » بوساطة أنبوبة موضوعة فى وعاء وقد أوصل الانبوبة الى صنبور الغاز ٠ غير أن البلسم أخفى رائحة الغاز ولما استنشقت الفتاة الغاز فقدت وعيها ٠ وقد سبق أن ذكرنا أن ثلاثا من الجثث التى وجدت فى المنزل كان بها آثار التسمم بأول أوكسيد الكربون ، وأضاف كريستى أنه لا يذكر جيدا أنه ربط جوربا حول عنق المرأة وأنه دفنها فيما بعد بالحديقة وعليها ملابسها ٠ وفى بيان آخر قال انه لا يذكر هل هى روث فورست أو «موريل ايدى» التى قتلها بالغاز ، وذكر تفصيل طريقة تخلصه من الجمجمة التى كانت جمجمة موريل ايدى بالقائها فى المنزل الذى هدمته القنابل سنة ١٩٤٩ ٠

وأشار كريستى للمرة الاولى فى أقواله التى أدلى بها الى البوليس بحضور محاميه الى حوادث أدت الى مقتل مسز ايفنز فى سنة ١٩٤٩ ٠ وموجزها انه فى ٢ من ديسمبر سنة ١٩٤٩ وجدت جثتا مسز ايفنز وابنتها جيرالدين البالغة من العمر أربعة عشر شهرا مخبأتين فى غرفة الغسيل فى الفناء الخلفى للمنزل رقم ١٠ فى ريلنجتون بلاس وكانت الوفاة فى كلتا الحالتين ناشئة عن الخنق ، وايفنز الذى كان يسكن فى بعض الحجرات فى أعلى مسكن كريستى غادر ريلنجتون بلاس فى ١٤ من نوفمبر ، ثم قبض عليه فيما بعد فى « مرثيرتيدفيل» وأعيد الى لندن حيث اعترف بأنه خنق زوجته وطفلته ٠ وفى ١٣ من يناير سنة ١٩٥٠ اتهم بحادثتى القتل هاتين وحوكم أمام المحكمة الجنائية المركزية ، وكان الاتهام قد قرر المضى فى تهمة قتل الطفلة ولو أن أكثر الأدلة الخاصة بالزوجة كان ثابتا ، وقد قدم كريستى وزوجته كلاهما الأدلة للاتهام ووجد كريستى أثناء استجوابه أنه مسئول عن حادثى القتل أو على الاقل أنه كان يعلم عنهما أكثر مما قال وكان جوابه « هذا كذب » ٠ ولو أن ايفنز أنكر أثناء المحاكمة الاعتراف الذى ذكره فى أقواله للبوليس الا أن المحكمين لم يصدقوا صحة انكاره وأدانوه فى مقتل الطفلة ونفذ فيه حكم الاعدام فيما بعد ٠

وذكر كريستى فى أقواله للبوليس أنه فى يومين متتابعين فى شهر نوفمبر سنة ١٩٤٩ صعد السلم ليرى مسز ايفنز وفى المرة الاولى وجدها تحاول الانتحار بالغاز لكنه فتح الباب والنوافذ فعادت الى وعيها وفى اليوم التالى صعد اليها ، وعلى حسب روايته طلبت اليه أن يساعدها على الانتحار ففتح صنبور الغاز ووضع الانبوبة قريبا من وجهها ولما فقدت وعيها أغلق الصنبور ثم قال «أظن أن هذا حدث حينما خنقتها وقد خنقتها بجورب وجدته فى الغرفة» ٠ ولما قابل مستر ايفنز أخبره أن زوجته انتحرت بالغاز وأنه (اى ايفنز) سيشتبه فى أنه قتلها بسبب المشادات التى كانت تحدث بينه وبين زوجته ، ويظهر أن ايفنز كان يرى مثل هذا الرأى وقال انه سيأخذ جثة زوجته فى عربة ويتركها فى مكان ما ٠

وعند محاكمة كريستى التى بدأت فى ٢٢ من يونيو سنة ١٩٥٣ اختار الاتهام أن يبدأ بتهمة قتل الزوجة ولم يحاول الدفاع أن ينفى تهمة القتل ولكنه كان يبغى الحصول على أنه « مذنب ولكنه مجنون » ولاثبات هذا وجهت أسئلة ليست فقط عن مقتل مسز كريستى بل أيضا عن مقتل خمس نساء وجدت بقاياهن فى المنزل والحديقة ، وكذلك عن مقتل مسز

ايفنز وكان هذا موقفا تشوبه الغرابة اذ نجـد الدفاع يبحث عن أكثر ما يستطيع من جرائم يقوى بها اتهام كريستى ، فيركز الاتهام همه على حادثة واحدة •

ولما سئل كريستى عن سبب اعطائه الآن بيانا عن مقتل مسز ايفنز يختلف عما أدلى به عند محاكمة مستر ايفنز قال « كذبت فى البيان الاول لأننى كنت متهما فى قتلهما معا •• وقال أيضا لانى لم أتدخل فى مقتل الطفلة بل لم أمسها » •

وقال ان الوقائع الخاصة بمسز ايفنز لم يكن يذكرها عندما قبض عليه فى ٣١ من مارس ولكنه بعد ذلك كان قد قابل محاميه كمـــا قابل الاطباء من الجانبين وأنه يذكر الآن أكثر مما كان يستطيعه حينذاك •

ومما يلاحظ أنه بينما كان مترددا فى تفصيلات حوادث قتل أخرى ادعى أنه ارتكبها كان كثيرا ما يقول (لا أذكر) أو (أظن أنى فعلت ذلك) الا أنه فى قضية مسز ايفنز وطفلتها كان جازما فى قوله عما حصل •

ووجه المحكمون بتناقض شهادات الاطباء وهو ما يقنعنى أكثر من أى شىء آخر بأن بساطة قواعد « ماكنوتن » هى الطريق الوحيد العملى الذى يستطيع منه أن يعرف محـــكمون غير فنيين (مرض الجنون) • أما من ناحية الدفاع فان أحد علماء النفس كان يدافع بأن كريستى كان مجنونا، وأما الاتهام فقد قال عالم نفسانى آخر ودكتور ماتيسون الضابط الطبيب الخبير الملحق بسجن بركستون بأن كريستى كان من الناحية القضائية سليم العقل •

وقد ذكر القاضى فينور فى تلخيصه قرار المحكمين انهم وان كانوا قد سمعوا الكثير عن موت ست نساء أخريات وطفلة ايفنز فان كريستى لم يناقش فيما أدلى من بيـــانات عنهم ، وأنهم كانوا مهتمين فقط بمقتل مسز كريستى ، وهى النقطة الذهنية فى ذلك الوقت ، ففيما يختص بهذه النقطة كان يقال ان هذه السلسلة من حوادث القتل دليل على الشذوذ ، غير أن المسألة لم تكن هل كان كريستى شاذا ؟ بل كانت بحسب تعبير قواعد « ماكنوتن » هل كان يعرف ما يصنع ؟ وقضى المحكمون ساعة واثنتين وعشرين دقيقة فى اتخاذ قرارهم ووجدوه مذنبا •

ففيما يتعلق بكريستى كان هذا هو ختام المسألة غير أن شهادته عن مستر ايفنز ألقت فى نفوس الكثيرين شكا فى نتيجة محاكمة ايفنز منـذ ثلاث سنوات • حقا ان ايفنز أعدم لقتله ابنته وزوجته ولكن ان كان يوجد

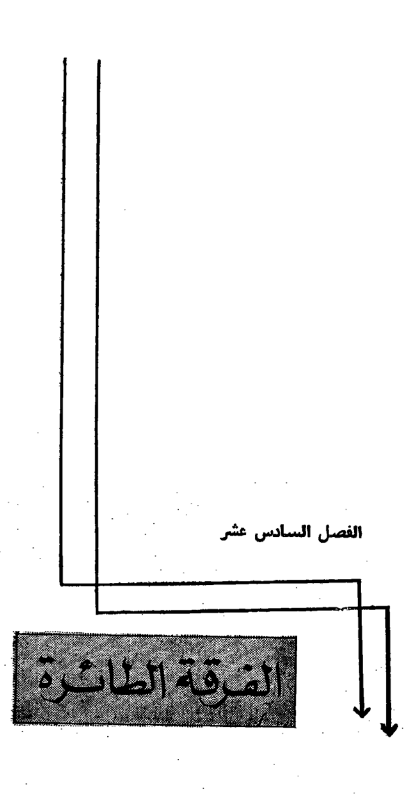
أى صدق فى رواية كريستى الجديدة فقد يكون فى أن ايفنز قتل الطفلة كما قتل مسز ايفنز فاحتمال انحراف سير العدالة فى قضية حكم فيها بالاعدام ، وان كان احتمالا بعيدا ، مسألة لا يمكن تركها محوطة بالشك •
لذلك قرر وزير الداخلية أن يجرى تحقيقا وافيا فى ظروف وفاة مسز ايفنز وطفلتها فعين مستر جون سكوت هندرسون للقيام بالتحقيق وقرر وزير الداخلية أن يعين لمساعدته ضابط بوليس من ذوى الخبرة ، ولكيلا يكون أية شبهة من المحاباة أو التحامل ، كان الضابط المنتخب هو مساعد كبير الكونستابلات فى (وست بدنج) ولم يكن له من قبل أية علاقة بأى من القضيتين •

راجع مستر سكوت هندرسون جميع الأدلة والشهادات المرتبطة بكل محاكمة كما راجع جميع تقارير البوليس والاتهامات التى نظرها القضاء والملفات والمستندات الاخرى التى أعدها المحامون للدفاع فى كلتا القضيتين وسمع شهادات كل من قيل عنه أنه يفيد التحقيق حتى بلغت جملة من سمعهم ثلاثة وعشرين شخصا بالاضافة الى كريستى نفسه ، وكان كريستى فى ذلك الوقت رجلا محكوما عليه بالاعدام ينتظر تنفيذ الحكم فكانت اجابته لمستر سكوت هندرسون تختلف جدا عن الشهادة التى أدلى بها وقت محاكمته •

وفى الواقع انه لم يكن مستعدا أن يقول بطريقة ما هل هو مسئول عن وفاة مسز ايفنز ؟ وفى خلال أقواله قال « ما زال الأمر غامضا على ، واذا قال أحد الناس انه ظاهر انك اقترفت هذا وانه يوجد دليل كاف على ذلك ، فان أقول انى فعلت » وأخيرا فى حديث مع قسيس سجن « بنتون فيل » قال كريستى انه خلال مقابلاته لمحاميه اختلط عليه الأمر وأصبح تحت تأثير انه من الضرورى أن يعترف بارتكاب جرائم قتل « كلما كثرت كلما زاد ابتهاجا ••• ! »

كانت استنتاجات مستر هندرسون الختامية أن الدعوى المقامة على ايفنز لقتل ابنته كافية ساحقة وان لم يكن هناك شك فى أنه مسئول عن مقتل زوجته أيضا ، وذكر أن من رأيه أن كريستى انتهى به الأمر بالتدريج الى أنه ظن أن من المفيد للدفاع عنه اعترافه بقتل مسز ايفنز ، غير أن أقواله فى هذا الشأن لم تكن حقيقية بل لم يكن يصح التعويل عليها •

فى ١٣ من يوليو قدم مستر سكوت هندرسون تقريره الى وزير الداخلية بعد اسبوع من ابتداء التحقيق وفى ١٥ منه نفذ حكم الاعدام فى كريستى فى مدينة « ينتون فيل » وهكذا انتهت قضية مدهشة أكمل فيها أخصائى علم الأمراض ومعمل الطب الشرعى عمل ضباط المباحث المختصين واذا ما ظهر لمدة قصيرة ما يدل على احتمال انحراف سير العدالة فى قضية ايفنز فقد أزاح الشك عنها البحث التمحيصى الذى قام به مستر سكوت هندرسون وما زلنا فى مأمن من الخطأ اذا قلنا ان خطر اعدام رجل برىء بعيد الاحتمال بعدا يبرر عدم الاعتداد به .



الفصل السادس عشر

الفرقة الطائرة

لماذا أطلق عليها هذا الاسم ؟ فرقة الشبح ـ رحلة فى سيارة الفرقة ـ اخطار العمل ـ قصة الجاويش (دينز) ـ قضية (برت هوليداى) حق البوليس فى التفتيش ـ البترول الأحمر وكوبونات الملابس المزورة ـ القبض على عصابة تكسير نوافذ المحلات التجارية وسرقة ما بها .

ان الفكرة السائدة عن الفرقة الطائرة هى انها جماعة من ضباط البوليس فى سيارات غاية فى القوة يستخدمون عادة فى أحوال التعقب المثيرة بسرعة ٧٠ ميلا فى الساعة مخترقين شوارع لندن ، وأنهم ليستطيعون القيام بهذه الاعمال الخلابة بل يقومون بها فعلا اذا ما دعتهم الحاجة الى ذلك غير ان عملهم اليومى أقل مظهرا ، وهم مدينون باسمهم لا الى سرعة سياراتهم بل الى أنهم غير مقيدين بمنطقة معينة كرجال المباحث التابعين للفرق ولكن لهم مهمة تطواف تشمل مناطق بوليس العاصمة .

ولو أن اغلب الجرائم ذات صفات محلية الا ان كثيرا من الجرائم الخطيرة الخاصة بالسطو على المنازل وبالسرقة يقترفها المجرمون فرادى أو جماعات تمتد على نطاق واسع . وفى الثلاثين سنة الماضية ساعد تقدم وسائل النقل ولاسيما السيارات على توفير الفرص لهذا الطراز من المجرمين ولذلك لا يقصر جرائمه على حدود المناطق الرئيسية . فلمقابلة هذا النشاط كان من الضرورى انشاء جماعة منتخبة من رجال المباحث تكون لهم الحرية الكاملة للتوجه الى حيثما تهديهم التحريات فانشئت الفرقة الطائرة فى سنة ١٩١٩ بنحو ١٢ رجلا وأخذ عددها يتزايد زيادة مطردة الى ان كان بها فى أواخر الحرب ما بين ٤٠ و٥٠ ضابطا تحت رياسة أحد كبار

المفتشين ، ولما ووجهت بالزيادة الكبيرة فى الجرائم بعد سنى الحرب قررت أن أهمية الفرقة تبرر ترقية الضابط المنوط به رياسة الفرقة الى رتبة رئيس مراقبين وزيادة عدد أفرادها الى ٨٠ ضابطا تقريبا .

ومهمة ضباط الفرقة الطائرة هى أن يتعرفوا بجميع المجرمين الخطرين فى العاصمة وأن ينموا علاقاتهم بجميع أنواع الناس الذين يستطيعون تزويدهم بمعلومات عن الجرائم التى ارتكبت فعلا أو التى وضعت خطط تنفيذها وهم لابد أن يعترفوا بعد زمن قليل بسبب نشاطهم وحضورهم كثيرا أمام المحاكم ولهذا السبب يحصل كثير من التغيير فى الفرقة لأنه أصبح أحد ضباطها معروفا فى عالم الجريمة فان الاستفادة منه تضعف كثيرا .

قبل انشاء الفرقة الطائرة كان يتغلب على هذه الصعوبة باستخدام جماعة صغيرة من الضباط للتفرغ لجمع المعلومات وكان المفهوم أنهم أنفسهم لا يقومون بأى تحقيق ولكن يرسلون معلوماتهم الى غيرهم من الضباط للتصرف فيها حتى يبقوا غير معروفين ولا مميزين . أما فرقة الشبح كما تسميها الصحافة فقد كانت مدمجة فى الفرقة الطائرة الأصلية ومازال فريق صغير من الضباط يعملون بهذه الطريقة .

وكلما كنت أخرج مع الفرقة الطائرة . وكثيرا مافعلت ذلك — لم تكن تقع فى الأمسية حوادث عادة ، وفى احدى المناسبات ركبنا السيارة الى (وست اند) نتسكع فى الشوارع الخلفية لحى (سوهو) ثم وقفنا وسرنا على أقدامنا فى شارع (كوفنترى) حيث أشار الضباط الى عميل أو عميلين من عملائنا . وكانت دهشتى من ذلك عظيمة . ثم سرنا بالعربة متجهين الى « نيتس بريدج » ودرنا حول حظيرة أو اثنتين يرجح وجود سيارات مسروقة فيهما وقوى أملنا بوصول اشارة لاسلكية بأن سيارة مسروقة فى طريقها من همرسمت الينا — وأن سماع تعقب احدى السيارات فى الراديو ليشبه كثيرا الانصات الى وصف مباراة فى كرة القدم حيث يندمج السامع فى المباراة . وتلت ذلك رسالتان أو ثلاث الواحدة بعد الأخرى تقول ان السيارة المسروقة تقترب منا . كلا ان شخصا آخر قد غير اتجاهها . وأخيرا ان سيارة بوليس أخرى قد سبقتنا وأوقفتها فى (تشلسى) .

وهكذا عدنا متجهين الى وست اند وقدنا سيارتنا فى كوفنت جاردن وستراند وزرنا سوهو مرة أخرى وهنا كان يسود قليل من

الضجيج فوضع له الضباط حدا باشـــاراتهم الأبوية . ســيروا من فضلكم . وفى شارع (بولند) كان جرس التنبيه ضد اللصوص يدق بعنف ، غير أنه كان أيضـا انذارا لا محل له وقد طلبنـــا الى مركز البوليس المحلى أن يهتم بالأمر فكان هذا خلاصة أعمال دوريتنا مدة ساعتين . وهذا نموذج صحيح من الأعمال اليومية للفرقة الطائرة ما لم تكن دنيا الجريمة قد تلقت تحذيرا بأن تحسن سلوكها مراعاة لخاطر الحكمدار ولكن الانســـان لا يســـتطيع أن يحكم بأنها ليست دائما دار امان . وذلك بناء على التقارير التى تقدمها الفرقة كل ثلاثة شهور وان هذه المدة للتعبير فترة هزيلة اذا لم تشهد القبض على نحو مائتى شخص واسترداد ما تبلغ قيمته نحو أربعة آلاف جنيه من المسروقات .

انه لامتيـاز عظيم أن ينتخب شـــخص للعمل بهـذه الفرقة لان أعضاءها انما يعملون تحت مسئوليتهم . وهم ينظمون اعمالهم بحسب مايرون . ومجال عملهم أوسع من مجال رجال المباحث الاعتياديين . وللفرقة ٣٢ سيارة كل منها مزود بجهاز لاســلكى مرسل ومستقبل لضمان الاتصال المستمر باسكتلنديارد وبســيارات البوليس الأخرى وما لم يكونوا مشغولين فى أحد التحقيقات فان السيارات تســتمر فى الحركة الدائمة لجمع المعلومات وللاحظة أية بادرة من بوادر النشــاط الاجرامى .

كثيرا ما يحف الخطر الجسيم بأعمال الفرقة الطائرة ففى أوائل سنة ١٩٤٩ كانت الفرقة تبحث عن رجل اسمه « آرثر باركن » كان مطلوبا القبض عليه لأنه أصاب أحد رجال البوليس اصــابات بدنية خطيرة وكان ثمة ما يحمل الفرقة على الاعتقاد بأن الرجل استولى على عربة مسروقة ماركة بدفورد وأنه أعد خطة لسرقة بعض الأشياء بالقرب من (كلايهام كومون)فى ١٨ من يناير فوقف الضباط له بالمرصاد فى احدى سيارات (ك) – وهى عبارة عن عربة ليس فيها ما يميزها . وبمجرد أن تحرك « باركن » وزملاؤه بعربتهم أرسلت اشارة لاسلكية الى ثلاث سيارات تابعة للفرقة الطائرة كانت تنتظر على بعد من ذلك المكان .

ولما تحركت عربة بدوفورد تبعتها السيارة (ك) وأخذت تخبر سيارات الفرقة بالاتجاهات التى يتجه اليها « باركن » . واســتطاع البوليس بمهارته فى قيادة السيارات من اللحاق به فى شارع (سلون)

وقد كان يسرع غاية السرعة وطلبوا اليه أن يقف ولكنه لم يذعن وبذلك اضطره سائق احدى سيارات الفرقة الى الخضـوع والتوقف بينما ادركتهم سيارات البوليس الآخرى وأحاط الضباط بالعربة المسروقة فهجم عليهم « باركن » وزملاؤه بقضيب حديدى ومطرقة ثم ســاق « باركن » سيارته الى الأمام بغتة فاوقع الضباط الذين كانوا على سلم العربة عندما اصطدم بسيارة البوليس وأخذ يقود عربته بعنف الى الامام والى الخلف في عزم لسحق رجال الفرقة الطـــائرة على العربات الأخرى واخيرا تحول فجأة الى افريز الشارع ودون أن يأبه بالمشاة سار فى الطريق عشرين ياردة وهرب فيها الى (تشى سى) ولكن احـــدى سيارات البوليس استطاعت أن تتعقبه وقد رأته يصـعد على الافريز مرتين لتجنب حركة المرور المزدحمة فى وسط الطريق ملزما لكثير من الناس أن يهربوا من طريقه ، ثم حدث أن اختفت العـــربة عن أنظار البوليس ثم وجدت فيما بعد متروكة على ساحل البرت .

كان الشيء الثانى الذى ســـمعه البوليس هو ان رجلين تنطبق عليهما أوصاف اللصوص ركبا الاتوبيس رقم ٤٩ المتجه الى « كرستال بلاس) فأرسلت أشارة لاسلكية تلقاها بعض الضـــباط فى ســيارة لاسلكية كانت تقوم بأعمال الدورية فى (ستريت هام هاى رود) وكانوا قد رأوا الاتوبيس رقم ٤٩ يمر بهم وبسؤال السائق علموا أن رجلين غادراه منذ قليل وركبا الاتوبيس رقم ٣٣ فســــاروا فى أثرهما حتى ادركوا هذه السيارة ووجدوا « باركن » وزميله « برلنسكى » جالسين بالدور الاعلى وأنـكر كلا الرجلان شخصيتهما وقالا انهما كانا ذاهبين الى (سوث كرويدون) للبحث عن عمل ، ولكن الضباط لم يقتنعوا بهذه الحجة ونقلوهما الى سيارتهم معتزمين احضارهما الى مركز بوليس (جيبس هل) وفى الطريق قابلوا احدى سيارات الفرقة الطائرة وقد تعرف ضباطها على السجينين ، وقبل وصـــولهما الى مركز البوليس حاول « باركن »محاولة أخيرة يائسة للهرب ولكن أمكن التغلب عليه وكان مع الرجلين ربطات كبيرة من مفاتيح تسيير الســـيارات يمكن بواسطتها أن تفتح تقريبا كل عربة فى الطريق .

وفى الوقت المناسب قدما للمحاكمة امام رئيس القضـــاة وادينا بتهمة القتل العمد واخفاء الأشياء المسروقة وحكم على باركن بالأشغال الشاقة لمدة ١٢ سنة وعلى برلنسكى بمدة سبع سنوات ، وبعد النطق بالحـــكم طلب اللورد « جودارد » أن يقف مفتش الفرقة الطائرة فى

(برادفورد) وقال له « يا حضرة المفتش اعتقد أنك انت وافراد الفرقة الطائرة الأخرين جديرون بكثير من التقدير فيما بذلتم من جهد فى هذه القضية فقد اظهرتم جميعا شـــجاعة فائقة » وان الأمة لمدينة لـكم باحضاركم مجرمين خطيرين أمام القضاء ، وان الطريقة التى استطعتم بها أن تقبضوا عليهما فى مثل هذا الوقت القصير ، وفى جزء من لندن يختلف كل الاختلاف عما تعهدون ، يدل على المستوى العالى للكفاية التى بلغتها قوة البوليس فى هذه البلاد وفى لندن على وجه الخصوص وانكم تستحقون تقدير الوطن » .

أما عن الشجاعة المقرونة بضبط النفس فلا يوجد الا قليل من الامثلة التى تماثل حالة الجاويش « دينز » التابع للفرقة الطائرة وهو الذى أنعم عليه بنوط بوليس الملك للأعمـــال الجليلة مكافأة له على ما أدى من أعمال وهو الآن يسمى نوط جورج . ففى سنة ١٩٤٧ وصل بلاغ بأن عصابة من اللصوص اعتزمت أن تضع كمينا لموظف يعمل فى فرع بنك ميدلند الموجودفى «كنتسن‌ثون»وان يسرقوا مفاتيحه ويسلبوا البنك وكانوا يعرفون عاداته وتحركاته منذ أن يغادر البنك ليعود الى داره وعرف المكان الذى يراد وضع الـــكمين له فيه ، وانه قد وضعت الخطة للتخلص منه بعد أن يسرق البنك .

وتطوع « دين » الذى كان يشبه موظف البنك فى بنيته وسحنته آن ينتحل شخصيته فى المساء المحدد للقيام بالاغارة وكانت ليلة قارسة البرد وكان الجليد يغطى الأرض ولـما كان « دين » يعلم أنه متبوع فقد سار فى هدوء الى الممر الذى يبدأ من المحطة القريبة من مسكن موظف البنك فأسرع خلفه رجلان بينما تخلف وراءهما ثالث فسمع صـــوتا يقول له : « صح » . ثم شعر بضربة على رأسه ففقد الرشد وخر على أثرها عى الأرض . وبينما هو راقد على الأرض ركل وضرب ثم ألقى به فى سيارة كبيرة مغطاة وعصبت عيناه بكوفية والصقت شفتاه بشريط لاصق وقيدت يداه وقدماه معا ، ثم آخذت منه مفاتيح البنك وأوقفت السيارة وألقى به من العربة على كومة من الجليد ووجهه الى أسفل .

وقد أفلح فى فك وثاقه وأخذ يترنح حتى وصل الى بيت على بعد خمســين ياردة حيث اختبأ فيه ، وحينما وصـــل الى جراج فـــرقة البوليس وجد دينز يشكو من ارتجاج ومن التعرض للبرد القارس وقد أخلى من العمل بعد شهرين وفيما بعد وجد فى محل الاعتـــداء جورب صوفى به ثلاثة أرطال ونصف رطل من الرمل المبتل .

وبينما كان دينز يقوم بخديعتهم كان ضباط آخرون من الفرقة الطائرة يراقبون البنك فى «كنتسن تون» ثم شوهد أحد أعضاء العصابة وهو يقترب فقبض عليه ووجد معه مفاتيح البنك وساعة دينز ثم قبض على خمسة رجال آخرين وصدرت ضدهم أحكام بالأشغال الشاقة مددا مختلفة بين ثلاث سنوات وسبع سنوات .

وقضية « برت هوليداى » هى احدى القضايا المهمة التى تناولتها الفرقة الطائرة وهى تبين أكثر من غيرها . الطريقة التى بموجبها تجر نتف الاخبار الصغيرة الى حقائق يتناولها التحقيق وتؤدى الى قضايا هامة . فان أربعة من قوات البوليس تعاونوا فى أن يضعوا حدا لسلسلة طويلة من السرقات فى المقاطعات الداخلية . على الرغم مما لهم من استقلال . كما توضح أيضا ضرورة الحظ الذى بدونه قد يضيع سدى عمل رجل المباحث الذى يقتضيه الكثير من الصبر .

بدأ التحقيق فى نوفمبر سنة ١٩٤٧ حينما كانت الفرقة الطائرة تعمل بالاشتراك مع ادارة كونستابلات صرى فى سلسلة من السرقات . ووصلت بيانات أن مخفى الأشياء المسروقة يعيشون على نهر التيمز قريبا من وادى بريدج ، وفى الحال عرفت شخصية اثنين من المجرمين يعيشان فى تلك المنطقة ووضعا تحت المراقبة الدقيقة واستبعد أحدهما لأنه ظهر أن لا صلة له بأعمال السرقة التى تجرى عنها التحريات . وأما الآخر فقد عاجلته المنية قبل أن ينفق كثير من الوقت فى تعقب أثره المضلل وربما كان هذا من حسن حظ البوليس .

ولعب الحظ دوره . ففى فبراير سنة ١٩٤٩ استدعى كبير المفتشين المدعو « توملين » التابع لادارة كونستابلات (بكنجهام شير) لتحقيق حادث سرقة جبن من فندق «دمب بل» فى بلدة (تابلو) ، فقد دخل رجلان بار الفندق وطلبا مشروبا ولما استدار خادم البار وولاهما ظهره تطلع الى المرآة فرأى أحد الرجلين يأخذ الجبن ويخفيه فى ملابسه وليتنى أعرف ما الذى حفز هذا الرجل على سرقة الجبن وقد يشترك معى فى هذا التساؤل مراقب البوليس المستر « لى » التابع للفرقة الطائرة . وكان سارق الجبن يعرف محليا باسم « برترام ردفرس هوليداى » وكان يسكن فى كوخ يطلق عليه (يوم العيد) على جزيرة فى نهر التيمز قريبا من « رايز برى » ولما استدعاه كبير المفتشين توملين أنكر هوليداى معرفته بأى شىء عن الجبن المسروق ، وكان هوليداى

يصف نفســـه بأنه من ذوى الأملاك وأنه تاجر مجوهرات وآحس كبير المفتشين أن الموضوع جدير بالتحرى وادلى بشــكوكه الى مراقب البوليس « لى » .

فى أول الأمر لم يحمل اسم « برترام ردفرس هوليـداى » لدى المراقب أى معنى ودق ناقوس التنبيه لان « لى » كان يعرف برت هــذا تمام المعرفة من أربعة وعشرين عاما تقريبا اذ كان لصا فى منتهى النشاط وسرعان ما دل البحث فى مكتب السجل الجنائى على تفصيلات حياة هوليداى السابقة . على آنه منذ ذلك الوقت لم يرد اسمه على رجال البوليس وانه عاش عيشة ظاهرها الاحترام والثراء .

أعيد استجواب الرجل الذى أعطى البيـــانات عن مقر مخفى الأشياء المسروقة وقال أن هوليداى هو الذى يشتبه فيه ولكنه رفض أن يزيد على ذلك شيئا ، وترك رجال البوليس يواصلون تحرياتهم لأكثر من ثلاثة اشهر وضعوا هوليداى فيها تحت المراقبة المتواصلة ولكنهم لم يصلوا الى أكثر من آنه غادر الكوخ وانتقل الى لندن حيث اتخذ له مسكنا فى ميدان (ارلزكورت) وذكر المخبر فيما بعد للفرقة الطائرة أن هوليداى ترك كمية من المجوهرات الغــالية فى خزانة ايداع وعملت التحريات فى كل خزانة ايداع فى لندن ولكن لم يعرف أنه استأجر خزانة ما . وانما كل ما ظهر آنه فى سنة ١٩٤٦ نقل صندوقا ثقيلا للوثائق من أحد البنوك فى «وندسور» الى بنك زوجته فى « تشلسى » .

ان بصيصا من الاخبار التالية زاد من وجوب التعجيل فى البحث لأنه علم أن هوليداى لم يكن مجرد مخفى اشياء مسروقة بل انه خبير بالتســلق وأنه مع شريك له يقومان بسلسلة من السرقات فوضعت الرقابة على الشريك ايضا ولكنه كان ماهرا فى الهرب وبعد فترة من الزمن تلقى البوليس معـــلومات عن سرقة مزمع ارتــكابها فى ٨ من سبتمبر . وفى هذا اليوم كان على هوليداى وشريكه أن يتقابلا قريبا من محطة «أوسترلاى بارك » على طريق جريت وست وانتظر البوليس فى المكان المعين للمقابلة وفى الحال رؤيت ســيارة هوليداى تصل وتقف وبمجرد ما صــعد الشريك قادها هوليداى متخذا الجانب الخطأ فى الطريق وهو يسير بسرعة كبيرة متجها الى لندن ، ثم استدار واتجه نحو (ستيز) وهذه المناورة هزت ضباط البوليس ولكن لما لم يبلغ عن اية جريمة فى تلك الليلة لم يكن بد من الانتظار لفرصة اخرى .

حانت الفرصة فى وقت قريب حينما وصلت معلومات عن سرقة جديدة يراد ارتكابها وفى هذه المرة كان موضع السرقة هى «رايزبرى» يوم ١٤ من اكتوبر فتوجه البوليس فى وقت مبكر الى المكان المزمع ارتكاب الحادث فيه غير أن هوليداى وصديقه كانا قد سبقا البوليس اليه وحينما رأيا ضباط البوليس عادا أدراجهما .

والخبر التالى الذى تلقاه البوليس والذى قد يستحق عنايتهم كان خاصا بأحد محال الرهان المعروف صاحبه باسم (بوفى لين) وعرف بوفى لين بأن اسمه الحقيقى هو (أودز) فوضع تحت المراقبة وفى ١٣ من ديسمبر رئى هو وهوليداى معا فى ميدان (ارلز كورت) وركبا فى سيارة أودز الى بنك مسز هوليداى فى (تشل سى) وبعد ذلك بقليل خرج هوليداى يحمل طردا ملفوفا بورق أسمر فانتهز رجال مباحث الفرقة الطائرة هذه الفرصة وعلى ظن ان الطرد يحتوى على مسروقات أوقفوهما . وفتشوا الرجلين والسيارة وكان داخل الطرد قطع عدة من المجوهرات القيمة ادعى هوليداى بأنها له اما اودز فانكر معرفته بأى شىء عنها وقد وجد البوليس مع اودز خمسة كوبونات بترول اعترف بأنه حصل عليها بطريق غير مشروع وعلى ذلك احتجز فى مركز البوليس .

ذهب البوليس ثانية الى بنك مسز هوليداى حيث أخذ حقيبة ملابس وصندوق الوثائق وكان هوليداى قد أودعهما باسم زوجته فى سنة ١٩٤٦ والصندوق الذى كانت به المجوهرات التى وجدت بالطرد أصبح الآن فارغا ولكن وجد بحقيبة الملابس مجموعة من الأوانى الفضية وبعض السكاكين وادعت مسز هوليداى أن السكاكين لها . غير أنها انكرت معرفة أى شىء عن الأوانى الفضية . وفتش بحضور مسز هوليداى ومسز أودز منزلا الرجلين . وفى المنزل الكائن بميدان « ارلز كورت» عثر البوليس على مجموعة ضخمة من كل نوع غالى الثمن . وفى منزل اودز (باونسلو) وجد بخزانة حائط بعض الأحجار والمجوهرات الثمينة ، وفى الوقت نفسه لم يمكن الوصول الى معرفة اى شىء عن الأوانى الفضية والمجوهرات ولكن البوليس برغم أن التحقيقات كانت واسعة النطاق لاقى نجاحا طيبا .

كان البوليس مطمئنا الى صحة اتهام هوليداى بحيازة المجوهرات بطريقة غير مشروعة وهى المجوهرات التى وجدت بسيارته . وفى اليوم التالى قدم هوليداى وأودز الى قاضى البوليس فى محكمة بوليس

« وست اندى » وأخلى سبيله بضمان مالى قدره آلفان من الجنيهات ، وبعد دقائق قليلة وردت الاخبار بأنه وجدت احدى القطع التى بحقيبة الملابس وهى فنجان فضى منقوش مماثل لفنجان مسروق من منزل فى (ستوك بوجى) فى سنة ١٩٤٦ ، وبناء عليه قبض على مسز هوليداى واتهمت بحيازة الفنجان المسروق وافرج عنها لتظهر مع زوجها واودز فى الجلسة التالية .

وبعد الافراج عن اودز بالكفالة ارسل مخفورا برجال البوليس الى خزانة الودائع وفى خزانته وجدت مجوهرات اخرى . وفى ١٦ من ديسمبر عثر البوليس على كمية طيبة من الأمتعة فى شقة هوليداى عرف انها من بين مسروقات مختلفة كبيرة حدثت فى (بكنجهام شير) .

وظل البوليس يتنسم الأخبار فعرف أن هوليداى كان قلقا بشأن الأمتعة التى ضبطها البوليس وأنه رسم خططا للتصرف فى بعض مازال يخفيه من مجوهرات ووضع ثانية تحت المراقبة ولو انها استدعت عناء غير قليل . وفى صباح ١٨ من ديسمبر المبكر كان من خلفه من يتبعه فى طريقه من شقته الى « ستينز » ولكنه فى الشوراع الخالية من المارة كان يستحيل أن تكون الرقابة قريبة منه دون أن يكشف أمرها ، وفى ستينز ضاع اثره وظل مختفيا ثلاثة أيام . وفى ٢١ من ديسمبر قدم بوليس آجهام القريب من استينز تقريرا بأنه يوجد رجل مصاب بعيار نارى فى راسه فى فندق « فرجينيا واتر » وكان الرجل هو « برترام هوليداى » واذا كان استطاع فى المدة بين ١٨ و ٢١ من ديسمبر أن ينجح فى التصرف فيما أخفى من الأمتعة الأخرى المسروقة فانه احتفظ بسره معه الى الأبد . ومنذ ذلك لم يوجد شىء من المسروقات .

ولما جمعت جميع المضبوطات عرضت فى اسكتلنديارد ليعاينها من يكون قد سرقت منهم ونشرت قوائم وصور فوتوغرافية لهذه الأشياء نشرا على اوسع نطاق ، وبحث فى سجلات البوليس ودعى الذين سرقت منهم أشياء للحضور الى اسكتلنديارد ليقرروا هل يستطيعون التعرف على أمتعتهم وكان فى انتظارهم عرض مدهش من بنادق وبوصلات وميكروسكوبات وتماثيل وآوان وساعات جيب وأخرى للحائط ومجوهرات تشهد بالذوق الوفير لهذا اللص الأنيق كما كانت الصحف تنعت هوليداى .

وفى الختام أمكن التعرف على ١٧ قطعة من المسروقات كانت سرقتها

فى الفترة من ١٩٣٢ الى ١٩٤٩ فى لندن وأنحاء مختلفة من صرى وبركشير وبكنجهام شير . ولم يستعرف على باقى الأشياء . ولما كانت مسز هوليداى لم تدع ملكية أى شىء منها فقد بيعت وأضيف ثمنها الى مؤسسة ممتلكات المسجونين ، وهى التى يصرف منها بين وقت وآخر بناء على اذن وزير الداخلية اعانات خيرية بوليسية الى الجمعيات التى تعنى بمساعدة المسجونين المفرج عنهم .

كثير من غنائم هوليداى لا يزال بغير شك فى الخفاء وعلى الرغم من البحث الدقيق الذى قام به رجال الفرقة الطائرة وزملاؤهم فى ادارات كونستابلات المقاطعات لم يمكن الاهتداء الى شىء ما عدا مشبك ثمين من الماس كان مخبأ فى سماعة تليفون واكتشف على أثر ملاحظة عابرة من مسز هوليداى فى قولها انها رأت زوجها يوما يعبث بالتليفون بطريقة غريبة وتبين من التحقيق أن مسز هوليداى كانت واقعة تحت سيطرة زوجها ، ولما أتى دورها للمحاكمة راعى المحكمون هذا الظرف ولم يدينوها فى تهمة اخفاء الاشياء المسروقة ، ومع أن القوائم الوافية والصور الفوتوغرافية للاشياء التى ضبطت مع أودز نشرت فى مجال واسع فلم يتيسر اثبات سرقة أى شىء منها . وعلى ذلك لم يحاكم أودز الا عن كوبونات البترول وحكم عليه بغرامة خمسة جنيهات لحيازته اياها .

هكذا انتهت حياة جريئة من أجرأ ما وجد حتى الآن فى سجلات الفرقة الطائرة فان رجال المباحث فى اقتفائهم أثر هوليداى لاقوا أخطارا جسيمة لانه كان يحمل دائما بندقية فى كل غاراته على الدور ووجد بجوار سريره مسدس أوتوماتيكى مع بعض مئات من الرصاص على أن ثمة خطرا أقل ظهورا وهو الخطر الذى تعرضوا له حينما أوقفوا هوليداى واودز لتفتيشهما على سبيل الاشتباه لان القاء القبض على وجه الخطأ قد يؤدى الى مطالبة البوليس بتعويض كبير . ففى كل عام يوقف البوليس نحو ٧٠٫٠٠٠ رجل ثم يتضح أن ٩٠٪ منهم أبرياء ومما يذكر للبوليس بالحمد على حسن تصرفه فى هذه الظروف وللجمهور على حسن تقديره لم أتلق أكثر من أربع شكاوى أو خمس فى السنة لم يتقدم فيها الا طلبان أو ثلاثة بالتعويض واستطعنا أن نسويها عادة خارج المحكمة ، وبغير هذا الحق فى الايقاف والتفتيش لم يكن بد من ضبط مجرمين مهرة مثل هوليداى .

والقيود التى اقتضتها ظروف الحرب أضافت الكثير الى أعمال رجال البوليس وكان أكثرها ارهاقا أوامر التموين المختلفة . وكان أغلب

المخالفين من الحثالة الذين كانوا يحاولون التهرب من هذه الاحكام والحصول على أكثر من المقرر لهم من التموين . غير أنه كان يبلغ الى البوليس من وقت لآخر مخالفات على نطاق واسع كان يستخدم فيها جماعات من المجرمين مهارتهم لتزوير وتوزيع كوبونات بعض الاصناف ، وكان هذا النوع من الجرائم تحديا للفرقة الطائرة فقابلتها بما يعهد فيها من همة ومثابرة . فمثلا في يناير سنة ١٩٤٨ أنشأ وزير الوقود والقوى لجنة برياسة سير (جودفراى رسل فيك) لترسم خطة محكمة لتوزيع البترول بالبطاقات وأعير للجنة لمدة أسابيع كبير المراقبين من البوليس (تشاريمان) وكان حينذاك رئيسا للفرقة الطائرة وأخبرني رئيس اللجنة فيما بعد أن معلومات مستر تشاريمان الواسعة في الصفقات التى تعقد فى سوق البترول السوداء كان لها نصيب كبير فى استخدام البترول الأحمر .

كان تزوير كوبونات الملابس من أكثر أنواع التزوير ربحا خلال الحرب وبعدها لان توزيع الملابس بالبطاقات أقسى أنواع القيود على الناس وكان هو الذى يمكن أن تتحقق به أكثر الارباح حتى أنه دفع فى بعض الاحيان أربعون جنيها للحصول على ألف كوبون مزور . وفى سنة ١٩٤٧ اضطربت لجنة التجارة اضطرابا خطيرا من جراء النسبة الكبيرة التى تتداول بها الكوبونات المزورة وطلبت من اسكتلنديارد التحرى عن مصدرها وسرعان ما تلقت الفرقة الطائرة بيانات عن امرأة اسمها (بيرنز) كانت شريكة للمزور وكانت هى نفسها من بين كبار مروجيها فتعقبها البوليس عدة أسابيع فوجدها تستعمل كوبونات مزورة فألقى القبض عليها على أمل أن ترشد رجال المباحث الى مصدر هذه الكوبونات ثم عرف فيما بعد أنها على صلة برجل يدعى (وليم روبرتس) وينتحل اسم وطسن وهو من أرباب السوابق العديدة فى تزييف النقود كما أن له سابقة فى احراز أدوات لتقليد أوراق من ذات الشلنات العشرة وفى سنة ١٩٤٤ أفرج عنه من السجن ومنذ ذلك التاريخ وهو كثير ما يرى والمرأة بيرنز معا .

وحينما اقتفى أثر وطسن واستدل على مسكنه فى (ميدافيل) استصدرت أوامر بتفتيشه وقام البوليس بغارات مفاجئة على منزل بيرنز ووطسن فى وقت واحد وعلى منزل زوجين باسم (هفرمان) . وعندما وصلت الفرقة الى مسكن وطسن وجدت بابا مغلقا ولم يجدوا مجيبا عندما طرقوا الباب ولذلك دخلوه عنوة فوجدوا فى الدار وطسن الذى أيقن باكتشاف أمره واستحالة هربه وأن الأدلة بالغرفة ناطقة فاعترف بأنه مسئول عن تزييف الكوبونات لان الغرفة كانت فى الواقع عبارة عن

(ورشه) كاملة العدة وجد البوليس فيها ألواحا فوتوغرافية مع خمس عشرة صورة فوتوغرافية لكوبونات الملابس وأكلشيهات نحاسية وكمية من الورق عليها العلامة المائية لمصلحة الطباعة والتاج ، وكان على أحد الموائد مطبعة يدور في أحد جوانب الغرفة جزء مظلم عليـــه حاجز وجد أيضـــا آلة فوتوغرافية ذالالواح الزجاجية التى تستعمل فيها ومقص ورق وألواح رسم وأدوات حفر وبالجملة جميع الاجهزة الـكاملة المطلوبة لاعمـــال التزوير الراقية ٠

ووجد على مائدة قريبة من السرير محفظة بها أربعون فرخا من الورق من كوبونات الملابس المزورة ولما عرضت على وطسن قال فى شيء من الزهو « أظنكم فى غير حاجة الى سؤالى عن مصدرها وأعتقد أنها متقنة أليست كذلك ؟ » ولما حذر وقيل له انه سيقبض عليه قال متفلسفا (هذا هو غاية العدل) ٠

أما الضباط الذين توجهوا الى منزل بيرنز فى نونتجهل فقد وجدوا عشرين فرخا من الكوبونات المزورة فحاولت أن تدعى أنها دست عليها ولكنها قالت فيما بعد عندما قبض عليها (لقد كنت مجنونة اذ اشتركت مع وطسن وانى أعلم بوجود آلاف من هذه الكوبونات فى كسنجتون) ٠

كذلك يظهر أن مسز هفرمان أخذت تأسف لسوء اختيار زوجهـــا للشركاء لانه حينما قيل لزوجها انهما سيلقى القبض عليهما بدآ يتناقشان فيما بينهما وقالت مسز هفرمان (هذا ما لا بد من حصوله نتيجة الاختلاط بمثل هؤلاء الناس) ووجدوا فى منزلها عشرة فروخ أخرى من الكوبونات المزورة ٠

قدم هؤلاء الاربعة الى المحاكمة أمام المحكمة الجنائية المركزية وحكم على وطسن بالاشغال الشاقة لمدة سبع ســـنوات بتهمة تزوير وحيـــازة كوبونات مزورة وعلى بيرنز وهفرمان بالسجن مدة ١٢ شهرا لحيازتهما الكوبونات المذكورة أما مسز هفرمان فوجد أنها غير مذنبة ٠

ان هذا المجهود القيم لفريق من عشرة ضباط وجاويشة بوليسية برياسة مفتش المباحث جورج روبنس فقد ظلوا يراقبونهم لمدة ثمانية أسابيع كانت تتخللها أوقات كثيرة تحرمهم من تناول الطعام ولكن نفوسهم كانت راضية لانهم انتصروا على عصابة خبيرة بأعمال التزوير وهى مركز التهرب من نظام التموين فى جميع أنحاء البلاد ٠

قد يرى الملاحظ الخارجى أن البوليس يعرف رجلا أو مجموعة من

الرجال لهم علاقة بالجريمة . ولكن نظرا لنقص الادلة يعجز أحيانا عن تقديم المتهمين الى المحكمة ويتحتم عليه اذن أن ينتظر حتى يصبح بين يديه أدلة مقنعة وكثيرا ما يحدث هذا .

فى سنة ١٩٤٦ كانت الفرقة الطائرة ترقب عصابة خطيرة مشتبها فى أن اعضاءها يقومون بغارات كسر نوافذ المحال التجارية وسرقتها وكانت لدى الفرقة شبهات قوية ضدهم ولكن لم يكن لديها أدلة كافية لالقاء القبض عليهم ثم حدث فى صباح أحد الأيام أن رأى رجال البوليس النظاميين فى أثناء دوريتهم فى منطقة (كلاركنول) سيارة فيها خمسة رجال أو ستة تخرج من شارع جانبى الى طريق رئيسى دون رعاية للضوء الاحمر وبعد مضى ساعات عادت السيارة وهى تجرى بمنتهى السرعة فى الاتجاه المضاد ورأى عليها حرف (ن) بحجم كبير مكتوب بلون أسود على أرض بيضاء فخشى ان يكون فى الأمر مايريب وتتبع آثار السيارة على الطريق المبتل الى أن رآها تتقدم نحوه مرة أخرى فوقف فى عرض الطريق وأشعل مشعلة علامة لطلب الوقوف منها الا أن السيارة كانت تجرى بسرعة فائقة وعندما حاذته ظهر من المقعد الأمامى وميض وصوت طلق عال كأنه طلق بندقية . ومع ذلك لم يصب رجل البوليس بأذى . ثم عثر على السيارة متروكة فى شارع (روزيرى) قريبا من المحـــل الذى أطلق فيه الرصاص وظهر أنها سيارة تابعة للجيش الملكى النرويجى سرقت فى الليلة السابقة ووجد بها بطاقة منزوعة من ثوب من الفراء تبلغ قيمته ٢٥٠٠ جنيه سرق أثناء الليل من متجر فراء بشارع (مونت) .

وبناء على المعلومات التى تجمعت لدى الفرقة توجه ضباطها فى ذلك المساء الى مسكن فى كلاركنول حيث يستأجر أحد المشبوهين المســـــمى (كنج) غرفة نوم ، وكان كنج فى الخارج ولكن الضباط وجدوا فى جيب معطف له بندقية ماوزر أوتوماتيكية وعدة رصاصات . وتحت مراتب الفراش وجدوا مسدسا اتوماتيـــكيا ماركة لوجر وأجنة وست ربط من مفاتيح السيارات وطلقات أخرى وقبضة حديدية وخنجرا فى قرابة وقطعة من الجلد مما يستخدم فى سكك حديد الاندرجروند (تحت الارض) للتعلق ثبت فى طرفها كرة من المطاط . وفى نفس المساء فتش البوليس أيضا منزلا فى (سانت بنكراس) تسكنه مسز وارد وابنتها فعثروا على ثلاثة ملابس سوداء من صوف الخروف العجمى (استركان) وأحد عشر ثوبا آخر من الفراء وأربعة مسدسات معها احدى وعشرون طلقة من الذخيرة . واحتجت مسز وارد بأن الثياب يملكها الساكن لديها وأنها لا تعرف شيئا

عن المسدسات التى لابد أن تكون مملوكة له أيضا ومع ذلك فقد قبض عليها هى وابنتها بتهمة اخفـــاء أشـــياء مسروقة ونقلتا الى مركز بوليس كنجزكروس .

كان بعض الضباط لا يزالون ينتظرون فى كلاركنول ، وبعد دقائق وصل (باب ورث) أحد المشبوهين فسئل عن غارة مونت ستريت فأجاب فى وقاحة لم يقبض على؟ لست خائفا . ومع ذلك القى القبض عليه وعندما وصل الى مركز البوليس قال (من الذى ثرثر ؟ اذا كانوا ثرثروا فسأذكر دورى فى الموضوع) . وبعدئذ ذكر أنه قابل العصابة فى منزل فى ستراند كورنر وقبل أن يقود السيارة للقيام بسرقة الفراء فى وست اند أنكر أنه أطلق النار على رجل البوليس واعترف بكسر نافذة متجر الفراء وبقيادته للسيارة .

والآن يحل دور المشبوه كنج وقد عثر عليه فلما سئل عن غارة مونت ستريت قال (لابد أن بعضهم قد أطلق لسانه فاذا كانوا خانونى فلا بد لى من ايقاعهم واليكم ما أعرف) .

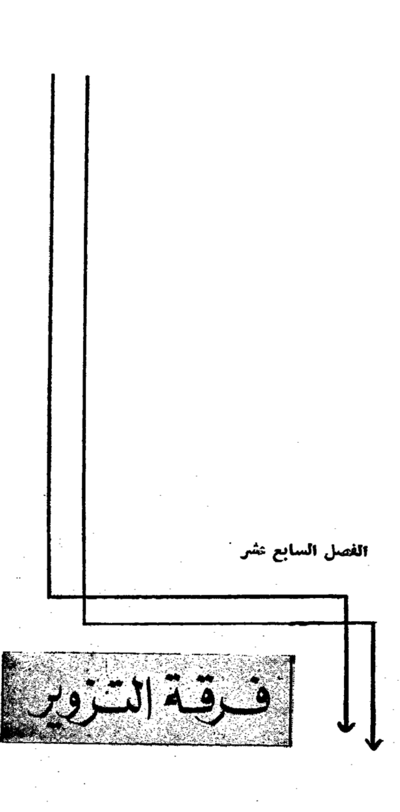
حذره البوليس واعتقله وأدلى فيما بعد بأقوال ذكر فيها أن مسز وارد وابنتها بريئتان ، وأنه كان يقيم فى غرفة النوم بكلاركنول منذ شهر وكان يستخدم السرير الذى وجد فيه المسدس لوجر ، وأنه اشتراه هو وبندقية ماوزر التى وجدت فى جيب معطفه من اثنين من الجنود الكنديين ، ثم شرح كيف أن العصابة حطمت نافذة المتجر فى مونت ستريت وكيف أخذت الفراء وولت الادبار وأنهم تركوا الفراء فى منزل مسز وارد حيث كان يعرف الابنة وكان معه مفتـــاح الدار وبينما كانوا يقودون السيارة للهرب بها وكانوا يعتزمون تركها أضاء أحد رجال البوليس المشعل فأطلق الرجل الذى كان يجلس بجوار السائق طلقة نارية ليخيف بهـــا رجل البوليس ويمنعه من التقاط رقم السيارة وبعد أن تركوها تفرقت العصابة وعاد كنج الى غرفة نومه وأخفى السلاحين المضبوطين .

بعد ذلك استجوب البوليس مشبوها آخر اسمه فيجورس اعترف بأنه كان فى مونت ستريت وأنه وضـــع الفراء فى مؤخر السيارة ولكنه أنكر اطلاق النار وقال أن كنج هو الذى فعل وأشرك فى الحادث رجلين آخرين اسماهما روسن ومورجان ، ولم يتيسر العثور عليهما لمدة تقرب من ثلاثة أسابيع وأخيرا عندما حاصرهما البوليس فى نفس المبنى الذى يستأجر كنج فيه غرفته حاول مورجان أن يتخلص من قبضة حـــديدية ولكنها ضبطت وأدلى كلا الرجلين بأقواله فوجه اليهما الاتهام .

في ذلك الوقت شرح (كنج) حادث سرقة ارتكب من قبل حينما سرقت العصابة جلابيب من متجر فى (هوليداى رود) ٠ وبينما كانوا يكسرون قفل متجر آخر فى الليلة وصلت سيارة بوليس وأخذت فى تعقبهم وحال الضباب دون قيادة السيارة بسرعة تكفي للابتعاد عن سيارة البوليس فكسر كنج زجاج السيارة الخلفي وأطلق رصاصة على مقدمة سيارة البوليس على سبيل التحذير ولم يأبه السائق بهذا واطلق كنج النار على عجلات سيارة البوليس فوقفت واطفأت الانوار وعلى مسافة مائتى ياردة تعطلت سيارة كنج واضطروا الى مغادرتها .

ولما وجد البوليس السيارة المهجورة عثر فيها على ٥٢ ثوبا وأجنة ومفتاح صواميل وعلى ظرفى خرطوش عيار ٣٢ ، وكان على الباب الامامى بصمات كنج ، وفحص مستر تشرشل خبير المفرقعات ظرفى الخرطوش اللذين ضبطا فى هذا الحادث وكذلك ظرف حادث اطلاق النار فى كلاركنول، وقرر أنها جميعا أطلقت من المسدس الماوزر الذى وجد فى معطف كنج وتعرف صاحب متجر مونت ستريت على الفراء الذى ضبط فى منزل وارد .

حوكم الخمسة رجال ومسز وارد وابنتها أمام المحكمة الجنائية المركزية التى لم تدن روسن ولا المرأتين غير انه لم يكن شك فى أن الاخرين كانوا مذنبين وبعد الادانة اعترف كنج باطلاقه النار واعترف بغارة أخرى من غارات الكسر والنهب حصلت فى شارع ليوبولد وهكذا انتهى مؤقتا نشاط عصابة مزعجة لاقصى حد ٠



الفصل السابع عشر

فرقة التزوير

تأسيس الفرقة ـ الحاجة الى اخصائيين فى قانون الشركات ـ محكمة لينسكاى ـ قضية تتلى ـ قضية ستلر سيتى وويليام المسالم واجلزوودوند ٠

أن جرائم العنف التى استرعت الأنظار بكثرتها عقب الحرب قد حجبها ذلك الطوفان من أعمال التزوير فى أنشاء شركات صورية أو فى ادارة شركات قائمة ٠ وان التحقيق فى جرائم التزوير ولا سيما تزوير الشركات عمل فنى لاقصى حد ، يتطلب الماما بقانون الشركات والمحاسبة . لا يتوافر لضابط المباحث الجنائية٠ ومع ذلك فقد كان فى اسكتلنديارد جماعة صغيرة من الضباط اكتسبوا خبرة طويلة فى هذا النوع من التحقيق ٠ وفى مارس سنة ١٩٤٦ اتخذناهم نواة لادارة جديدة تختص بتحقيق جرائم تزوير الشركات ، ولما كان هذا النوع من الجريمة ينطوى على تحقيقات لا تقتصر على أقسام بوليس العاصمة بل تمتد الى مدينة لندن فقد اقترحت على السير (هيوترنبول) حكمدار بوليس العاصمة (المدينة) ، انشاء ادارة مشتركة تتألف من ضباط من كلتا القوتين فوافق فورا على هذا الاقتراح ٠ وعلى هذا أخذ منذ ذلك الحين بوليس العاصمة وبوليس المدينة يقومان بأعمال مشتركة ٠

وظهر من هذا عرضا شذوذ ظل غير ملحوظ سنوات كثيرة فبمقتضى قانون بوليس العاصمة الصادر فى ١٨٣٩ يجوز لضباط بوليس العاصمة أن يقوموا بأعمال الكونستابلات داخل قصور صاحبة الجلالة الملكية وحولها بعشرة أميال ٠ وهذه المنطقة تشمل مدينة لندن٠ ولكن لا يوجد تشريع مماثل يخول ضباط بوليس المدينة أن يباشروا سلطاتهم خارج حدود منطقتهم وبدأ ضباط بوليس المدينة الملحقون بفرقة

التزوير فى تحقيق قضية فى حدود المدينة ثم تقدمت بعد بضعة أشهر الى حدود مراكز بوليس العاصمة وكانت أوراق القضية ترسل الى النـائب العام وكانت تطلب أذون التفتيش أمام محكمة (كلاركنول) وكانت هـذه الاذون توجه الى كونستابلات بوليس العاصمة جميعـا ، وكانت النتيجة أن تتخذ ترتيبات عاجلة لكى يتقدم بالطلب أحد ضباط بوليس العاصمة الملحقين بالفرقة وأن ينفذ الامر ثم يؤدى شهادة عن القاء القبض فى قضية لا يعرف عنها شيئا على وجه التحقيق • ولما بلغ حكمدار المدينة أنه اذا كان ضـباط البوليس الملحقون بفـرقة التزوير لهم سـلطة القبض فى منطقة بوليس العاصمة فستنتهى الصعوبات فوافق على أن يقسم اليمين خمسة من ضباط المدينة ليؤدوا أعمال ضباط بوليس العاصمة وصحح الموقف الآن بصدور قانون من البرلمان .

وضعت ادارة تزوير الشركات منذ نشأتها تحت قيادة كبير المراقبين (ثورب) الذى اعتزل الخدمة فى سنة ١٩٥٤ فتنـاولت الفرقة فى سنتها الاولى ٢٩٠ قضـية وأخذ العـدد يزداد فى كل سـنة تاليـة واستطاعت التحقيقات التى قامت بها الفرقة أن تقتل فى المهـد مشروعات كان يمكن نجاحها ولو سمح لها بالحياة لعادت بالربح على أصحابها وبالخسارة على الجمهور وهذا بغض النظر عن التحقيقات التى قدمتها الفرقة الى المحاكم •

يتولد كثير من القضايا من تحقيقات الفرقة نفسـها وبعضها تحيله عليها لجنة التجارة ومصلحة الجمارك وبعض الادارات الحـكومية الاخرى ، وكثيرا ما تطلب اليها قوات بوليس الاقاليم أن تتولى عنها القضايا المعقدة وكان من المرغوب فيه بشـكل ظاهر أن يـكون فى المدن الـكبيرة مثل (منشستر) و (ليفربول) و (برستول) و (بريتون) عدد من الضباط ليقوموا بمثل هذا العمل وأن يتعاونوا مع الفرقة ، وعلى ذلك اتفقت مع رؤساء الكونستابلات المختصين أن يلحقوا بالفرقة بعضا من ضباطهم ليتعلموا أساليبها ويكسبوا خبرة . وهؤلاء الضـباط يعملون الآن فى المدن التابعين لها .

أما أشهر تحقيقات فرقة التزوير فهى التى أدت الى انشـاء محكمة (لينسكاى) سنة ١٩٤٨ ففى هذه السنة انتشرت الاشاعات بأن بعض الوزراء وموظفى الحكومة أغراهم ماكان يدفع اليهم من مال أو ماكان يرسل

اليهم من هـدايا أو لاعتبارات أخرى أن يحـابوا بعض طلاب الرخص أو الاذونات وفى ٢ من يوليو بدأ المراقب (ثورب) تحرياته ومعـه مسـاعد واحد . وقبل نهاية التحقيق كان قد ندب للفرقة خمسة عشر رجلا آخرين من رجال المباحث . اما هو نفسه فقد استجوب عدة مئات من الناس وسجل أقوالهم ودلت التحريات المبدئية للفرقة على أن ادعاءات الرشوة فى بعض الحالات كانت صـحيحة ونتيجة لهـذا ألفت محكمة برياسة القاضى (لينسكاى) واستمرت نحو شهر تسمع شهادة الشهود وانتهى الأمر بأن أكثر الادعاءات لم تكن على اساس سليم وظهرت براءة المتهمين غير أن هذه المحكمة قررت فى قضيتين اثنتين أن المحاباة طلبت ومنحت . ومع أنه لم يوجد ما يصلح أساسا لاتخاذ الاجراءات القانونية فقد أدت النتيجة الى استقالة اثنين من المختصين . وقد أثنت المحكمة على الفرقة ثناء مستطابا للمجهود الذى بذلته فى هذه القضية الشاقة ولم يكن هناك شك فى أنها ادت خدمة جليلة فى تحذير الموظفين وعملت كثيرا لتؤكد وجوب أن يتجنب موظفو التاج ــ بكل تزمت ــ أية علاقة بينهم وبين أصحاب الحاجات المصلحية معهم وهى العلاقات التى قد تثير الشكوك فى استغلالهم نفوذهم بغير حق .

وهناك قضية أخـرى استغرقت أشـهرا فى التحقيق وهى قضـية (جورج اريك تيتلى) المحاسب القـانونى اذ استخدم فى أعمـاله الخاصة مبلغ ثلاثين ألفا من الجنيهات كان مستحقا لاحدى شركات اصـلاح الطرق التى كان يعمل وكيلا عنها عندما أممت الشركة ، واستولى أيضا على مبلغ ٩٠٠ر٢ جنيه حصل عليـه ببيع شركة جلود بالنيـابة عن أرملة مديرها المتوفى . وتقرير الفرقة عن هذه القضية تناول سلسلة معقدة من التصرفات حاول بوساطتها لص ماهر أن يغطى تزويراته ولذلك أرسل الى (كوينزلاند) أحد الضباط ليعيد منها تتلى الذى كان قد توجه اليها وأخيرا حـكم عليه بالسجن سبع سنوات .

ويحدث أحيانا أن أعمال الفرقة تؤدى بها الى ميادين شديدة الاختلاف فمثلا فى سنة ١٩٥٠ عندما باشرت التحريات عن ابدال حصـان ايرلندى اسمه (نيوتون روك) الذى أصاب فى السباق نجاحا كبيرا فى ايرلنـدا بحصان خصى اسمه (ليفى فالى) وليفى هذا كان قد بيع الى صاحب محل رهان فى برمنجهام بعد ماض قصير الأمد فاشل فى ايرلندا ولم يظهر بعد ذلك أبدا وجـرى (نيوتون روك) فى انجلترا على أنه (ليفى فالى) فى

سباق الخيول المبتدئة وتفوق عليها بمراحل ولـكن التحقيق الذى أجرته الفرقة وضع حدا لتاريخه وتاريخ صاحبه الذى اشتراه فسيق الى المحكمة الجنائية المركزية فى شهر فبراير سنة ١٩٥١ ٠

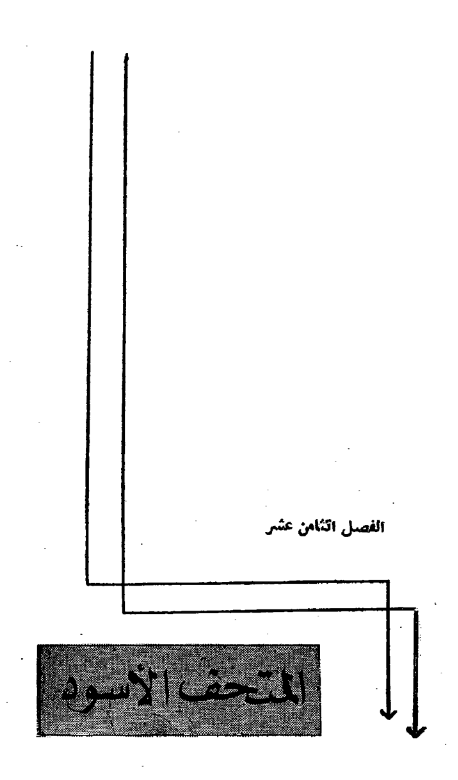
وهناك حالة آخرى استبدل فيها حصان بحصان وهى الحالة التى استبدل فيها الحصان (ستلر ستى) بالحصان (وليم المشالم) ٠ فكان ستلر ستى مهرا ايرلنديا داكن اللون ربح عدة سباقات فى ايرلنده سنة ١٩٤٩. واستحضر الى انجلترا وربح سباقات باسم (وليم المسالم) حتى سبتمبر من تلك السنة واهتم نادى (الراكبدارين) بالامر وكان لستلر ستى غرة بيضاء على جبينه على حين أن وليم المسالم خال منها ولاخفائها وضعت قطعة كبيرة مستديرة من الجلد تثبت بحزام الانف ولسوء حظ صاحبه انها تزحزحت عندما اقتيد لادخاله الحظيرة على أثر فوزه فى (لانارك) وأخذت له صورة فوتوغرافية سجلت وجود الغرة تسجيلا واضحا وأدت الفرقة واجبها فى جميع الأدلة وحكم على رجلين بالسجن ثمانية عشر شهرا فى سبع حوادث تزوير ٠

وحوادث الكلاب مثل حوادث الخيول فابدال كلب أكبر سنا وأكثر خبرة بكلب صغير يعطى صاحبه امتيازا غير عادل وفى أكتوبر سنة ١٩٤٩ ورد الى اسكتلنديارد خطاب غفل من التوقيع يفيد أن كلبا يسمى(ردوند) أى الريح الاحمر وكان قد فاز فوزا كبيرا فى السباقات الحديثة بلندن أنه هو الكلب الايرلندى المسمى (واجلز) وهو أكثر منـه كثيرا فى السن ٠ ويتحتم فى انجلترا تسجيل كل جرو فى نادى السباق الاهلى ويجب اعطاء التفصيلات عن أمه وأبيه ولونه والعلامات التى به متضمنا حتى لون أظافر أصابع قدمه ٠ وفى خلال عامين يجب تسمية كل جرو واذا كان الـكلب للسباق يجب أن تسجل جميع البيـانات فى النادى الاهلى لسـباق كلاب الصيد وهو يصدر بطاقة تحقيق شخصية مسجل عليهـا جميع السباقات التى دخلها٠ وفى يونيو سنة١٩٤٨ سجل صاحب كلب صيد خمسة أجزاء فى انجلترا ٠ وفى سبتمبر سـمى أحدها باسم (ردوند) وفى تجـارب السـباق التى عملت فى يوليو سـنة ١٩٤٩ لم ينجح ردوند الا نجـاحا متوسطا ولكنه بعد يومين اثنين من آخر محاولة جرى ٥٠٠ ياردة فى وقت يقل عن الوقت الذى جرى فيه من قبـل ٤٦٠ ياردة وبعد ذلك أخذ يربح سلسلة من السباقات الكبيرة وكثيرا منها فى أزمان قياسية ٠ ولما فحصت فرقة التزوير الامر وجدت أن كلبا اسـمه (واجلز) سـبق له الفوز فى ايرلندا أحضر بالطائرة الى انجلترا فى مايو سنة١٩٤٩ وبيع الى رجل فى

ادجوار بمبلغ ١٠٠٠ ج واحضرت الفرقة شهودا من ايرلندا الى انجلترا وعاينوا الكلب المسمى (ردوند) ولم يجدوا اية صعوبة فى التحقق من انه الكلب المعروف عندهم فى ايرلنـــدا باسم واجلز واثبتت تحقيقات الفرقة وجود استبدالات اخرى وحوكم صـــاحبه وشقيقه امام محكمة الجنايات المركزية وحكم عليهما بالسجن عامين وثمانية عشر عاما على التوالى .

ولكن مثل هذه الحوادث تكون الجانب السهل من عمل فرقة التزوير وقد اثبتت فى الميدان التجارى نشاطا له غاية الاهمية وحققت الأمل المرجو من انشائها . وأن نمو هذا النوع من التخصص فى أعمال المباحث الجنائية ساعد كثيراً فى تطهير المظهر الكريه الذى ساد حياتنا التجارية زمنـــا ما .

الفصل الثامن عشر



المتحف الأسود

تنوع سـلوك المجرمين الذى لا حد له٠٠هملر وقناع موته وتشارلس بيس وأدواته للسطو على المنازل٠ عصا السير المصنوعة فى منتهى المهارة مغامرات الرجل ذى قدم الفانلا ٠ أعمال التزييف والبطاقات ذات الاطراف المشرشرة وأجـر الذهب ٠ بقايا حوادث القتل المشهورة ٠

ان بقايا الجرائم المشهورة لها دائما تأثير السحر على كل أنواع الناس وان المتحف الأسود باسكتلنديارد يتمتع بشهرة تتعـدى كثيرا حدود الدوائر البوليسية وقد بدأ بمجموعة من المعروضات أخذت من المحـاكمات المشهورة فـكانت بعد أن تقـدم للمحكمة تـكدس فى غرفة فى الطـابق الارضى باسكتلنديارد ٠ والى هذه الغرفة كان يأتى الزوار ذوو الحظوة برفقة رجال المباحث وكان الاقتراب منها خلال ممرات تحت الارض معتمة مليئة بالتراب مما يزيد الزيارة روعة وطلاوة٠ واذا كان رجل المباحث محدثا لبقا ـ وأغلبهم ذلك الرجل ـ وصف المعروضات وتاريخها بأسلوب يتجمد منه دم الزائر ٠

وأول مرة زرت فيها المتحف كنت فى وزارة الداخليـة ووجدته أقرب ما يكون الى مكان متعفن يضم خليطا من أشياء مقبضة لا تصلح لأى غرض من أغراض التدريب أما الذى كان منها فى متحف مدرسـة تدريب رجال المباحث فى هنـدون فـكان فى مجموعه يختلف عن هـذا الطراز وأنشىء لتعـليم الطلبة وفى خلال الحرب أزيحت معروضـات المتحف الاسود لتفسح مكانا لنشاط أكثر أهمية ٠ ولما انتهت الحرب بدا لى أنه يحسن اعادة المتحف ولكن فى شكل يضم معروضات لتعليم من يزورونه من ضـباط البوليس وغيرهم من النـاس الذين يعنون بالمظاهر المختلفـة للجريمة كما هى الحـال فى متحف

رجال المباحث • هذا مع الاحتفاظ بأهميــة المجموعة القديمة الجنــائزية • وما زال المتحف فى الطابق الارضى الا أنه لم يعد ذلك المكان الملء بالقذر والوحل • وهذا ما يدعو الى أسف بعض الذين يذكرون ما كان عليه الحال من قبل • فقد عدل وزخرف وأدخلت الاضــاءة وصففت فيه موائد العرض وبهذا الترتيب الجديد لم تفقد المجموعة أى شىء من قيمتها وهى تبين التنوع الذى لا حصر له لتصرفات المجرمين كأكثر ما يدل عليه أى شىء .

فحول الجدران مجموعة من أقنعــة الموت للسجناء الذين شنقوا فى ســجن (نيوجيت) وقد عملت هــذه الاقنعــة لدراســة نظرية الدكتور (جول) (١) فى الوقت الذى اعترف فيه كثير من علمــاء الاجرام بنظرية لمبروزو الخاصة بطراز المجرمين وهذه النظرية ظهر بطلانها منــذ أكثر من خمسين سنة مضت من الابحاث التى قام بهــا أحد أطبــاء السجون من الضباط الانجليز وهو دكتور جورنج غير أن أقنعة الموت هذه احتفظ بها للتذكير بعهد يظهر أن مشكلة المجرم فيه كانت أبسط ممــا هى اليوم • وقناع هملر رئيس الجستابو فى عهد هتلر أحد الاقنعة الحــديثة التى تجد لها مكانا مناسبا فى هذا المتحف العجيب وقــد أحضرها الى المتحف أحد ضباط بوليس العاصمة وكان يعمل فى ادارة الأمن العــام فى ألمانيا فى الوقت الذى أسر فيه هملر .

تحتوى الغرفة الأولى على مجموعة فريدة من أدوات السطو على المنازل وهى تبين الاجهزة الدقيقة التى أعمل الذهن فى صنعها مما يستصحبه السارق المحترف • ومع هذه المجموعة نماذج من الأسلحة وغيرها • ومن أهم المعروضات مجمــوعة (تشارلس بيس) الذى قضى شــطرا كبيرا من حياته فى الســطو على المنازل والذى شنق فى ســجن أرملى فى ليدز يوم ٢٥ من فبراير سنة ١٨٧٩ لقتله مسز (ديسون) وتشتمل المجموعة على مطرقة وجاروف وبريمة وطفاشة وأقفال ومفاتيح لم يكمل صنعها ومصباح من علب الــكبريت ونظارات سوداء وذراع اصطناعية تســتخدم للتخفى وبوتقة لصهر المجوهرات المسروقة وسلم مصنوع من الحبــل بدرجات من الخشب يمكن طيه الى حجم صغير وحملة الى مكان ارتكاب الجريمة .

وأحد المعروضات الحديثة الاخرى هو عصا للسير • ففى خلال سنة ١٩٥٢ أقلقت راحة البوليس بوقوع سلسلة من السرقات كان اللص فيها

---

(١) نظرية الدكتور جول وهو طبيب من فينا (١٧٥٨ — ١٨٢٨) تقول ان الجمجمة تتفق مع شكل المخ وان نمو الخواص العقلية يمكن التحقق منها بفحص الجمجمة .

جميعها يدخل المنازل من نافذة علوية • ففى احدى ليالى ديسمبر من تلك السنة لما كان الضباب منتشرا • شاهد أحد الكونستابلات الشبان ـ وكان يقوم بدورية قريبا من فندق (دورتشتر) ـ رجلا يعالج أبواب بعض السيارات المنتظرة بالقرب منه ولما جرى الكونستابل نحوه هرب الرجل فى اتجاه (هايد بارك) ولكن الكونستابل أدركه وقبض عليه عند السور حيث القى على الأرض عصاه ثم سحب مسدسا أتوماتيكيا من جيبه وألقى به أيضا وتبين فيما بعد أنه كان يحمل تحت سراويله سكينا حادة مربوطة الى ساقه وكان يتدلى من حمالته أجنة حديدية ثم أتم معداته بمشعل صغير مع بطارية احتياطية وتسعة مسامير وقطعة كبيرة من جورب حريرى ملفوفة حول عنقه بحيث يمكن أن يسحبها على وجهه فى الحال .

ودل فحص عصا السير على الكيفية التى كان يستطيع بها أن يصل الى النوافذ العليا فالعصا كانت تتألف من خمس أنابيب متداخلة تداخل التلسكوب بحيث أنها اذا سحبت كونت سيخا يبلغ طوله حوالى احدى عشرة قدما وعلى مسافات يبلغ كل منها نحو قدم توجد ثقوب فى أنابيب العصا يمكن أن تدخل فيها المسامير التسعة لتقوم بوظيفة درجات السلم وكان يمكن أن تشبك العصا فى عارضة احدى النوافذ أو التليفونات بوساطة يدها المعقوفة المغطاة بشريط من المطاط وكان ثقلها فقط هو الدليل على أن هذا الجهاز العجيب لم يكن كما يدل عليه مظهره وقد زخرفت زخرفة فنية باضافة كعب من المطاط اليها بحيث أكسبها مظهر العصا التى يتوكأ عليها الرجل المريض • وكان لهذا السجين تاريخ طويل حافل بالجرائم الخطيرة وقد اعترف أنه مذنب فى حيازته لسلاح نارى بغير سبب مشروع بينما كان يتسكع بنية ارتكاب سرقة وصدر الحكم عليه بحبسه حبسا وافيا لمدة عشر سنوات •

وعلى مقربة من هذه المجموعة يوجد جهاز (ذى قدم الفانلا) وهو أحد لصوص المنازل ، وقد استطاع أن ينجح فى التهرب من البوليس عدة سنوات ، وكان يقوم بسرقاته فى جميع أنحاء لندن ، وكان يمارس عمله هذا عادة أيام السبت والاحد ، وكان يدخل عدة منازل صغيرة متجاورة فى الليلة الواحدة ، وكانت طريقته أن يدفع مزلاج النافذة بآلة حادة أو أن ينزع المعجون من لوح الزجاج أو أن يصنع مفتاحا للباب بواسطة زردية صغيرة ولم يكن يترك بصمات أيد أو آثار أقدام ، وكان تارة يرتدى حذاءين احدهما فوق الآخر ، وتارة يغطى قدميه بالقماش حتى يتسنى له أن يسير فى صمت ولا يترك آثار أقدامه وكان عادة يستقل دراجة ويذهب بها الى

احدى محطات السكك الحديدية أو الى طريق الترام حيث يترك الدراجة ويستقل أول قطار أو ترام صباحا ليعود به الى قلب لندن .

ومن سنة ١٩٣٣ الى سنة ١٩٣٦ على الرغم من التحقيق الدقيق واستخدام عدد كبير من رجال البوليس المرتدين ملابس مدنية فقد استمر ذو قدم الفانلا فى عبثه باطمئنان حتى تقرر أن تنصب فرقة خاصة لتعالج هذا اللص المثابر . وفى غرفة الخرائط وضعت علامات فى كل الحالات المشتبه فيها على خريطة خاصة مع ايجاد الصلة بينها وبين الاماكن التى كانت تترك فيها الدراجات وكانت الفرقة تدرس بعناية هذه الخرط وتتبع كل ما يبشر بالاهتداء الى الفاعل ووضع تحت المراقبة جميع المجرمين الذين يعرف عنهم استخدامهم لمثل هذه الطريقة وانتهى الامر الى استبعادهم جميعا ما عدا واحدا . وكان هذا رجلا يدعى ادوارد فيكارز ولم يكن له الا سابقة واحدة منذ عشرين سنة تقريبا .

واستخدم مئات من رجال البوليس للقيام ببحث واسع النطاق أسفر عن الاهتداء أخيرا الى عنوان فيكارز ولكنه كان كثير الروغان سريع الاحساس والشم اذا كان البوليس فى أثره فكان أحيانا يتجه الى طريق مسدود ولا غرض له الا أن يكتشف هل يتبعه أحد أم لا .

استؤجرت شقة مقابلة لمسكنه وأخذ فريق من الضباط بينهم بعض النساء يتولون بالمناوبة المراقبة على مختلف الشوارع مستخدمين أحيانا سيارات أو تاكسيات لتعقبه وأخيرا انتهى البحث فى أكتوبر سنة ١٩٣٧ ، فقد اقتفى أثر ذى قدم الفانلا بواسطة الاوتوبيس والقطار لغاية محطة (ايست كورت) بالضواحى الغربية ، ومع أنه اختفى فى الظلام فقد وجد بعد مضى بعض الوقت وهو يخرج من حديقة منزل خال ، وكان يحمل مجموعة كاملة من أدوات السطو ولما فتش منزله وجد البوليس فيه كثيرا من المسروقات وازاء هذا الدليل اعترف بارتكاب نحو أربعين جريمة ولكنه لم يعترف الا فى الحالات التى كان واضحا أن البوليس يستطيع تقديم الادلة على ادانته فيها ، وكان المقدر أنه فى سنة ١٩٣٧ وحدها ارتكب مالا يقل عن مائة وخمسة وثلاثين حادث سطو على المنازل وأنه كان يبدى مثل هذا النشاط منذ سنة ١٩٣٣ ان لم يكن قبل ذلك وبعد القبض عليه توقفت الجرائم التى من هذا النوع ولم تعد .

ويحتفظ المتحف بأدوات العمل التى كان يستخدمها وكان فيها الحذاءان الاضافيان وقفازان من الجلد ومجموعة من المفاتيح وقطع من اللدائن ليأخذ عليها بصمة المفاتيح وقطعتان من الخشب وزوج من الزرديات ومقبض

معدنى مجوف وبعض الأسلاك وسكين مائدة وقاع جوربين كان يضعهما فوق حذائه وهما اللذان أطلق بسببهما عليه ذو قدم الفاثلا .

يدل أحد معروضات المتحف على أهمية عدم اغفال شيء مهما كان تافها اذا ما وجد فى محل ارتكاب الجريمة فقد عثر على زر مكسور على قاعدة نافذة بمنزل دخله أحد اللصوص فقبض عليه فيما بعد بطريقة الاشتباه فى السطو على منزل والشروع فى ارتكاب جريمة قتل فوجد أحد أزرار سترته مكسورا وكانت القطعة التى وجدت على قاعدة النافذة تتفق تماما مع باقى الزر المكسور وبهذا الدليل أدين .

ومما له الدلالة نفسها بعض الأسافين وبعض سيقان الكراسى الخشبية فقد وجدت الاسافين فى بعض منازل ارتكبت فيها جرائم السرقة ولما فتش منزل اللص المشتبه فيه وجد أن الاسافين تتفق تماما مع سيقان الكراسى التى به والتى نزعت منه ويوجد فى هذا القسم من المعرض أيضا بعض القنابل الزمنية التى كان يستخدمها جيش ارلندا الحر أثناء الاضطرابات الارلندية فى خلال الحرب العالمية وصندوق التبغ وبعض المخلفات الاخرى التى كان يملكها سير (روجر كيسنت) وهو الذى نفذ فيه حكم الاعدام فى سنة ١٩١٦ بتهمة الخيانة العظمى .

أما القسم الثانى من المعرض فأغلبه مخصص لتزييف النقود الا أن اختفاء الجنيه الذهبى وخفض قيمة العملة الفضية قضى على تزييف النقود بشكل واضح أما اليوم فقد أصبح فن التزوير أكثر أهمية لأن الفرص المتاحة له اتسع ميدانها بانتشار المستندات ذات القيمة غير أوراق البنكنوت وهى المستندات التى تستخدم كثيرا فى كل يوم فالشيكات وأذونات البريد ودفاتر صناديق التوفير وطوابع التأمين وتذاكر الاشتراك وكثير غيرها تفتح أمام المزور ميدانا كبيرا للربح . ومن أجود أنواع التزوير لأوراق البنكنوت التى كان يصدرها (بنك انجلترا) هو ما كان يطبع منها فى المانيا النازية وكان يوزع خلال الحرب الا أنه يوجد أيضا أوراق بنكنوت مرسومة باليد وهى تكاد تتحدى اكتشاف حقيقتها وعندما كنت أفحص بعضها لم أستطع أن أملك نفسى من التعجب كيف استطاع ذلك أحد المزورين المهرة الذى حصل فى بداية عهدى لوزارة الداخلية على ترخيص فى مزاولة الحفر على حين يقضى الحكم الصادر عليه بالاشغال الشاقة فى سجن بورتلند ، أم هل هى من صنع أمين مكتبة السجن الذى قابلته فيما بعد سنوات عدة وهو يقضى عقوبة الحجز الواقى فى سجن بورتسموت فقد كان رجلا متقدما فى السن رقيق الحاشية على قسط كبير من المعلومات .

وكان ذا قيمة كبيرة فى عمله كأمين مكتبة وتحدثت معه فى تاريخه فشرح لى مع ابداء أسفه أنه أصبح يرى الآن أن التزوير صناعة بائرة لأن النفقات التى تصرف للمشرفين عليها تبلغ أرباحها .

ويظهر أن هذه النفقات كانت مرتفعة بالنسة للرجل الذى زور اذن البريد من فئة ٦ بنس و ٣ شلن والذى عرضه فى احدى القضايا فقد غير رقم ٣ الى رقم ٨ فى الارقام الكبيرة الدالة على قيمة الاذن ثم غير كلمة ثلاثة الى ثمانية عدة مرات عندما ذكرت القيمة بالكتابة حول القسم الاوسط من الاذن ولسوء الحظ نسى أن يغير قيمة طابع الدمغة الموجود بجانب الاذن وكان هذا هو سبب افلات الغنيمة منه .

وفى هذا القسم من المتحف نماذج من المجوهرات المقلدة والتى يستخدمها المحتالون الذين يعملون على اكتساب ثقة الغير بهم أو التى تستعمل فى أجهزة القمار التى يستخدمها المحتالون مثل عجلة الروليت التى يستطيع العامل أن يوقفها متى شاء وجاروف السحب المستعمل فى الأوراق .

وهذا الجاروف الذى يستخدم فى لعبة السكة الحديدية عبارة عن قطعة معدنية بها فتحة فى مقدمتها توزع منها أوراق اللعب وبها قطعة تعلو وتهبط على طول العصا لتحفظ أوراق اللعب فى مكانها وهذه الآلة فى ذاتها ليست وسيلة احتيال بل هى على العكس من ذلك مهمتها أن تضمن أن الورقة العليا من حزمة أوراق اللعب هى التى تفرق وحدها وحزم الاوراق التى توضع فى هذا الجاروف جديدة مختومة على مايبدو وغير أن حزمة أو أكثر كانت تفتح من قبل وترتب ترتيبا خاصا ثم يعاد ختمها فاذا تصيد المحتال ضحيته فتحت الحزمة وفنطت وان كان التفنيط فى الواقع صوريا لا يغير الترتيب الذى وضعت به الاوراق ولا يشترك المحتالون فى اللعب الا اذا أعطيت علامة متفق عليها من قبل وهى سحب ورقة معينة ويكون الترتيب عند حلول هذه اللحظة هو أن يجعل الضحية تتسلم الجاروف وينصبونه (بنكا) وبهذه الطريقة ينتف ريشه ويجز صوفه .

ان طلاقة بعض الناس أكثر من أن تتصور وكذلك ثقتهم فى مقدرتهم على الحصول على شىء دون مقابل فقد استطاعت عصابة من محتالين استراليين أن يستولوا بحيلة ماهرة على مقادير كبيرة من المال وكان ذلك بطريقة النصب المعروفة بأجر الذهب . فأحد الابرياء الجالسين فى احدى السيارات أو فى قاعة استقبال الفنادق قد يجد نفسه مشتبكا فى حديث مع رجل غريب يعرض عليه لسبب ظاهره الصدق أن يبيعه صندوقا مليئا بقضبان

الذهب بسعر مغر بطبيعة الحال وهذا الغريب كمظهر من مظاهر ثقته يبدى استعداده الكامل لترك نموذج منها مع المشترى وهذا النموذج يكون من الذهب الحقيقى أما سائر القضبان التى فى الصندوق وهى التى لم يكلف المشترى نفسه عناء بحثها بدقة فتوزن على أنها من الذهب ولكنها تكون فى الحقيقة من نحاس حشى بأنابيب الزئبق ترتفع بالوزن الى المستوى المطلوب ٠

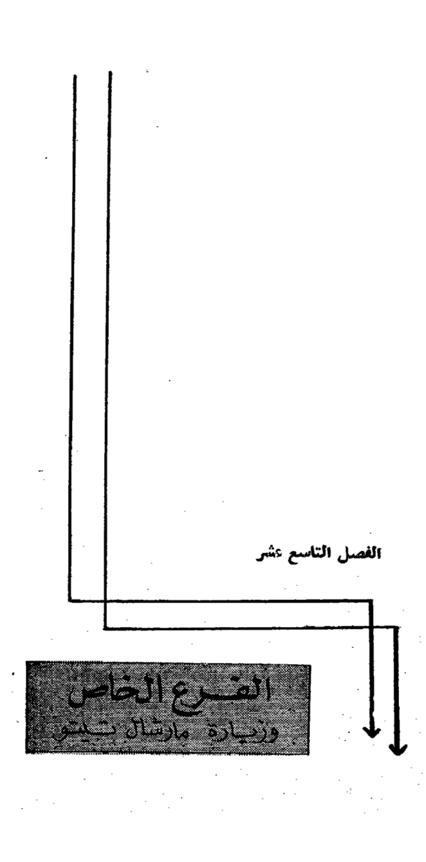
وبالمتحف أيضا مجموعة من الحقائب والصناديق المصممة خصيصا لاستعمال المهربين ولصوص المتاجر ٠ أما ما يستعمله المهربون منها فله جوانب وأرضيات مزدوجة وتصميمات أخرى مخفاة بطريقة ماهرة تخدع موظفى الجمارك عن أن يكتشفوها أما الصناديق التى يستخدمها خطافو المتاجر فلها جوانب وأرضية ذات مفصلات يمكن أن تدفع فيها باليد الاشياء المسروقة وهذا التصميم يسمح بأن توضع الصناديق فوق الاشياء المراد سرقتها بحيث اذا رفع السارق الصندوق مرة أخرى أصبحت المسروقات بداخله ٠

وبالقسم الثالث من المتحف بقايا كثيرة من حوادث القتل المشهورة ففيه مثلا دفتر مذكرات كونستابل البوليس ادجار مع البيانات التى كان يكتبها حينما أطلقت عليه النار ٠ والهراوة المصنوعة من المطاط التى استخدمها توماس قاتله ورصاصات مختلفة وظروف رصاصات وكتاب (اطلاق النار فى سنبيل العيش) وهو الذى وجد مع توماس وبجوار هذه الاشياء يوجد معطف المطر والمسدسات التى أشير اليها فى قضية (انتكريس) وقطع ألواح الأرضية الملوثة بالدماء التى أخذت من مسكن دوجلاس هيوم الذى أدين بتهمة اشتراكه فى مقتل ستانلى ستى ٠ ويوجد ما يذكر بقضايا أخرى قديمة فالمسدس الذى استخدمه (ادهم سنج) فى حادث مقتل سير (مايكل ادوير) على رصيف فى (كاكستون هول سنة ١٩٤٠) كما يوجد الدبوس الدائر والادوات الاخرى التى كانت (لرونالدترو) الذى حكم عليه بالاعدام فى مايو سنة ١٩٢٢ لقتله (جروترد باتس) الذى وجد فيما بعد أنه مجنون فأرسل الى (برودمور) وتوجد أيضا سكينة صيد استخدمها (باى وترز) فى حادث القتل الذى أدين بسببه هو ومسز طومسون فى ديسمبر سنة ١٩٢٢ وتوجد كذلك مذكرات هربرت أرمستريج محامى (سوث ويلز) ولفافتان من الزرنيخ شبيهتان بما استخدمه فى تسميم زوجته فى سنة ١٩٢٢ وصندوق الدواء والمسماع الذى كان يستخدمه (نيل كريم) سجين لاميت الذى أعدم فى نيوجيت

لقتله ماتيلدا كلوفر بتسميمها بالاستركنين ويوجد عدد من بقايا قضية كربين سنة ١٩١٠ وفيهـا البرقية اللاسلـكية التى أدت الى القبض على كربين وزميلته ايثل لنيف عند وصولها الى نيويورك ومما يذكر أن هذه هى المرة الاولى التى استخدم فيها اللاسلكى لمثل هذا الغرض ·

وهنـاك مجموعة من معروضـات هامة أخـرى وهى التى لها علاقة بمقتل الكونستابل جتردج فى مركز اسكس وهو الذى قتله براون وكندى فى سنة ١٩٢٨ وهذه المجموعة تتضمن سلم عربة ورفرفها وكانت قد سرقت من أحد الاطباء وعليهـا آثار دماء نشأت عن اصـابته بأعيرة نارية وعدد من أدوات الجراحة التى سرقت من السيارة عندما وجدت مهجورة فى (بركستون) وعثر عليها فيما بعـد فى حظيرة براون القريبـة من محل الحادث ووجد قناعان للوجه كان يرتديهمـا المجرمون ومسدسان ضـبط أحـدهما مع براون حينما قبض عليه وثبت أنه اسـتعمل فى اطلاق خرطوشة وجد ظرفها فى السيارة المسروقة ·

ويشتمل المتحف على عدد من المعروضـات التى تبين تاريخ بوليس العاصمة ولكن بسبب ما أصاب السجلات والمذكرات من تلف شامل عند الانتقال الى المبنى الحالى فى سنة ١٨٩٠ فان هذه المعروضات قليلة العدد، أما وقد أعيد انشاء المتحف فالمرجو أن يجذب اليه بالتـدريج المواد التى تشرح بالتفصيل تطور قوات البوليس وان كان التمثال الذى يود كل رجل من رجال البوليس أن يراه هو بطبيعة الحال اختفاء المعروضات اختفاء كاملا مع اختفاء الجرائم التى تستخدم فيها ·



الفصل التاسع عشر

الفرع الخاص
وزيارة مارشال تيتو

الدور الذى يلعبه الفرع الخاص ـ حكمداره ـ حماية الوزراء والزوار الممتازين ـ أخطار القتل التى كان يتعرض لها مارشال تيتو ـ كيف اتخذت الحيطة ضدها ـ قلق رئيس الوزراء ـ الزيارة تمر دون حادث ـ الاضطرابات السياسية الداخلية لا تدخل فى اختصاص الفرع المخصوص ـ كيف عولج موضوع الفاشيين والشيوعيين فى (ايست اند) » .

ان الخلاف بين تفهمنا للدور الذى يلعبه البوليس وتفهم كثير من البلدان الاخرى له واجهنى بمجرد أن توجهت الى اسكتلنديارد فى محادثة مع المدير العام للامن فى باريس وسألنى اذا كنت أجتمع كثيرا بوزير الداخلية فأخبرته بأنه قد يمضى شهر أو أكثر دون أن ألقاه الا فى المناسبات الاجتماعية على الرغم من أن مكتبى يتبادل مع وزارة الداخلية المراسلات الرسمية بانتظام فى المسائل الادارية وقد نالت منه الدهشة كل منال وقال (يا الهى انى أمضى مع وزيرى ساعتين كل صباح) .

وفى الواقع لاتوجد رابطة مشتركة بين بوليس العاصمة أو حتى الفرع الخاص وبين قوات البوليس السياسى كما هو فى كثير من الاقطار الاخرى .

ان الفرع المخصوص جزء من ادارة المباحث الجنائية وهو مبدئيا ادارة مخابرات ومهمته أن يفرض رقابة مستمرة على أية جماعة من الناس من أى لون سياسى يحتمل أن يؤدى نشاطها عاجلا أو آجلا الى أعمال صريحة للاخلال بالأمن أو التحريض عليه وبناء على ذلك كان الفرع يهتم من وقت لآخر بجماعة

الاخوان الارلنديين الجمهوريين وهى التى كانت قد أدت باستخدامها الديناميت فى سنة ١٨٨٤ الى انشاء هذا النوع كما يعنى الفرع بأعمال جماعة سين فين(١) والفاشيين الشيوعيين والفوضويين والانتخابات والهنود. الوطنيين ووكلاء المخابرات فى جيوش الاعداء فى أثناء الحرب .

ويرأسه القومندان (برت) وقد بدأ حياته فى الدرك بوظيفة كونستابل نظامى ، ثم التحق بادارة المباحث الجنائية وأعيد فى الحرب العالمية الثانية الى القسم الخامس للاستعلامات الحربية وعاد الى اسكتلنديارد فى سنة ١٩٤٥ الى الفرع المخصوص. وبرت يليق لهذا العمل لأنه هادىء الطبع لايضطرب يظنه الانسان أحد كبار موظفى الحكومة المدنيين أو أحد كبار موظفى الجماعة أكثر مما يحسبه من رجال البوليس ويمتاز بذاكرة عجيبة ، واكتسب منذ سنوات طويلة خبرة واسعة بالناس الذين يشتغلون بالحركات الارهابية.

وضباط الفرع المخصوص ليست لهم سلطات تفوق سلطات ضباط البوليس الاعتيادى ، واذا ماأريد اتخاذ اجراء فانه يترك عادة الى فروع قوات البوليس الاعتيادية ، وفى كل ميناء بحرى أو جوى يعين مندوب للفرع المخصوص ومهمته التعاون مع ضابط الهجرة فى أن يفحص فحصا دقيقا كل الاجانب الذين يدخلون البلاد ، ويطلب من ضباط هذا الفرع أن يكونوا على معرفة باللغات وبعض الاتجاهات السياسية وكثيرا ما ينسب اليهم نشاط يدعو للأسف ، وأرى من الانصاف لهم أن أقول انه لو صح وجود مثل هذا النشاط فانى لم أكتشفه برغم انى عملت مع ضباط الفرع المخصوص أغلب السنوات الاربعين الماضية وكنت على صلة وثيقة بهم . وهناك واجب آخر يقع عبؤه على عاتق الفرع المخصوص وهو أن يخصصوا ضباطا لحماية الوزراء ، وقد مضى وقت طويل دون أية محاولة لاغتيال حياة وزير بالمملكة ، وقلما تدعو الحاجة الى أن يقوم بحماية أحد الا رئيس الوزراء ووزيرى الداخلية والخارجية وهم أبرز أعضاء الحكومة وأكثر الناس استهدافا لمثيرى الفتن ، والعمل الرئيسى للضباط هو تخليص الوزراء من الازعاج والمضايقة ولكن عليهم واجب اليقظة لكل ما هو أكثر خطورة من ذلك ويعدون أنفسهم لمعالجته أو طلب مساعدة ضباط آخرين اذا استدعى الحال .

وتعطى حماية مشابهة لرؤساء الحكومات الأجنبية أو الزائرين العظام القادمين من خارج المملكة فمثلا فى نوفمبر سنة ١٩٥٢ سألنى

(١) (السين فين) حركة سياسية اجتماعية تنادى باستقلال ايرلندا وتعليم اللغة والآداب الايرلندية .

وزير الداخلية عن وجهة نظرى فيما يمكن فرضه من نظام كاف لحماية امارشال تيتو) عند قدومه فى زيارة غير رسمية الى هذه المملكة فشعرت بأن واجبى يقضى بأن أقول ان فى الامر مخاطرة ينبغى ألا يغفل لها حساب، ولكن سوف نبذل غاية جهدنا ولو أنه من المستحيل أن نضمن عدم حصول مايمكن حـــدوثه • وكان حاضرا فى ذهنى تاريخ قاتم عن الاغتيـالات السياسية واذا كان أحد المتطرفين من خصومه استطاع أن يدخل بلادنا على أنه زائر أو طالب وكان مهيئا نفسه لمواجهة نتائج عمله فقد يستفيد من طرقنا السهلة غير المقيدة لمحاولة يصعب عليه اقترافها فى دولة أخرى حيث يكون الزوار الكبار فى حراسة أكثر التصاقا مما هى هنا •

وبصرف النظر عن احتمال القيام بمحاولة مقرونة بالعنف ضـده ، فهناك احتمال أن يقوم جماعة أو أكثر من المتذمرين من نظام المارشال فى الحكم بمظاهرة فالايطاليون من أجل تريستا والشيوعيون بسبب خروجه على الكومنفورم ، والفاشيون لانه شيوعى ، والرومان الكاثوليك للمعاملة التى يعامل بها الكنيسة والقسس ، ولنذكر جمـــاعات الصرب والكروات الذين كانوا أثناء الحرب ــ ولا زالوا ــ فى عداء مع تيتو وكثير من أعضائهم سجن أو شنق •

ولم يغب عن نظرنا فى كل حين عندما رسمنا الخطة أن نذكر حادث (ساراجيفو) ونتائجه • وعندما تقررت الزيارة نهائيا وضع الحكمدار برت بمساعدة رئيس الكونستابلات فى المملكة ترتيبا لكى يراجع فى جميـع انحاء البلاد سجلات المشتبه فيهم من أهالى البلقان ووسط أوربا ففحصوا كشوف الاجانب المسجلة أسماؤهم على ضوء تاريخهم وعمـــا يعرف عن هؤلاء الذين يستحقون منهم رقابة خاصة وقد زودتنا ادارات المخابرات التابعة الى (يوغوسلافيا) وحكومتنا ببضعة أسماء معينة على حين قامت وزارة الداخلية بوساطة ضباط الهجرة بفرض رقابة دقيقة على كل من يهبطون فى الموانى البحرية والجوية •

وقد راجعت فى الوقت نفسه جميع الاجراءات التى يجب اتخاذها اثناء زيارة مارشال تيتو لحمايته شخصيا وكما يحدث عند زيارة رؤســاء الدول ينبغى الحاق مخبرين منتخبين لمرافقته أثناء اقامته للتعاون مع من يستصحبهم من ضباط الأمن ، ولكن ظهر لنا أن أكثر من هذا لابد منـه وعلى الاخص فى هذه المناسبات التى تستلزم مروره فى الشوارع أثناء رحلته أو زيارته بعض الاماكن خارج لندن . ان الحرس الراكب الذى يحرس الملك أو رؤساء الزائرين ليس الا حرسا مظهريا ولكنه من الصعب

القول بأنه يؤدى أكثر من حماية رمزية · واقتبست من نظم بوليس أمريكا شبيها وقررت أن تكون حراسة المارشال بحرس من راكبى الموتوسيكلات ان دوريات بوليس الموتوسيكلات بتدريبهم وخبرتهم سائقون متفوقون فى جميع الاحوال· واختيرت فرقة لهذا من بينهم عدد ستة عشر كونستابلا أربعة من كل قسم وأرسلوا للتدريب فى هندون واستطاعوا أن يكونوا أليق تشكيلة تصلح لهذا الواجب غير المألوف ، ولما وصل المارشال بدءوا العمل وكانوا موضع حديث كل فرد بأنه لم يشهد من قبل مثل هـــذا المنظر الفريد فى لندن ·

لقد قاموا بحراسة سيارة المارشال فى جميع رحلاته بلندن ومكنوه من تنفيذ البرنامج فى مواعيده المقررة فى خلال أسبوع مزدحم وبالاتفاق مع رئيس الكونستابلات المختص قد رافقوه فى رحـــلاته خارج بوليس العاصمة الى (وندسور ودكسفورد) وكنا من حسن حظنا قد جهزنا الحرس فى الوقت المناسب بخوذة الصدام التى اعتمدت حديثا والمطلية بالسواد وعليها شريط أزرق وشارة بوليس العاصمة وقد أظهروا بمظهرهم الأنيق وحسن قيادتهم للموتوسيكلات ماقد يؤديه هذا النظام الجديد من الحراسة فى مناسبات الاحتفالات وهو نظام جديد بالنسبة للندن وخير ما استخدم فيما بعد أثناء طواف الملكة خلال لندن بعد التتويج ·

على أن وظيفتهم لم تكن مقصورة على أعمال الاحتفال فأن أعظم الخطر فى احتمال الاعتداء على حياة المارشال كان قد يبدو واضحا فى الاوقات التى كان يقف فيها بلا حراك ويسير فيها سيرا بطيئا على مقربة من حشود الناس فبالتعاون الذى وضعت خطته بعناية بين البوليس المشاة وحرس الموتوسيكلات أمكن عدم وقوف سيارته فى صفوف السيارات ، ونظمت الحراسة بحيث يستطيع دائما راكبان من حرس الموتوسيكلات أن يطبقا على السيارة اذا مادعت الحاجة بحيث يستطيعان أن يضبطا أى شـــخص يحاول أن يجرى نحو السيارة التى كانت فى حد ذاتها من السيارات التى لايخترقها الرصاص وان مما يؤكد الأمن فى الحياة السياسية الانجليزية أن مثل هذه السيارة لم يتيسر الحصول عليها فى هذه البلاد وان حكومة شمالى ارلندا هى التى وضعتها تحت تصرفنا ·

وكان تاريخ الزيارة وتفاصيل برنامجها سرا والسبب ظاهر لانه كلما بكر فى اعلانها اتســـع الوقت للأشخاص ذوى الميول الخبيثـــة ليعدوا خططهم ، وقدم تاريخ وصول المارشال فى مرحلة متـــأخرة من

البرنامج فعين له ١٦ من مارس بدلا من ٢٣ ولم تعرف ميناء الوصول حتى بالنسبة لرجال البوليس الا قبل الوصول ببضعة أيام ٠

ولما لم تكن الزيارة زيارة رسمية فان البروتوكول لم يسمح بأن ينزل المارشال في قصر بكنجهام وعلى ذلك أصبح من الأهمية بمكان اختيار مكان مناسب لاقامته وواضح أنه كان لابد من اختياره بحيث تمكن حراسته حراسة طيبة ولهذا السبب استبعدت الفنادق من الحساب وشددت على أن ينزل فى منزل خاص ٠ واختير لهـــذا الغرض قصر (هويت لودج) فى ريتشموند بارك ، وكان هذا المكان من وجهة نظر البوليس مكانا مدهشا لانه مع قربه من لندن قربا معقولا كان مع ذلك قائما على أرض مرتفعــة يمكن أن يرى منها كل من يحاول الاقتراب وكذلك اختيرت الشوارع التى يسلكها بين هذه البقعة ولندن ٠

كان واضحا أن المكان الذى يقيم فيه المارشال لايمكن أن يظل طى الكتمان طويلا بعد وصوله ولكن قبل ذلك لم يكن ما يدعو الى الاعلان عنه وخلال الزيارة كان المنزل محاطا بحرس مسلح تعززه الكلاب البوليسية وكان على صلة برياسة البوليس تليفونيا ولا ســـلكيا وكانت به أنوار كاشفة متحركة لكى تغمر الارض بنورها فى حالات الاضطراب ٠

وبمجرد أن وضع نظام تحركات المارشال وضعنا خطة تفصيليــة لتزويد النقط التى يحتمل ان ينشأ منها خطر ٠٠ برجال البوليس ٠ كما درست بدقة جميع الطرق التى يسلكها ووضعت الترتيبات للارشاد الى تحركات القارب المسمى (نور) التابع لسلطات ميناء لندن وهو يتجه فى نهر التيمز من جرينتش الى متنزه وســـــمنستر النهـــــرى وذلك لكى تخلى القناطر بأقل تدخل فى حركة المرور التى يمر من تحتها القارب لانه من الظاهر أنها تعد من نقط الخطر ٠

ولما كان متنزه وستمنستر الذى سيسير فيه المارشال يطل عليــه قنطرة وستمنستر وساحل فيكتوريا فقد شعرت بالحاجة الى اتخاذ احتياطات خاصة وعلى ذلك وضعت (كردونات) سياجات من البوليس تبعد النــاس عن القنطرة وعن جزء من الساحل من على جانبى المنتزه أما المنتزه نفسه فقد فتش تفتيشا دقيقا للبحث عن مفرقعات وكان ذلك بواسطة بوليس سلطات ميناء لندن وضباط بوليس العاصمة التابعين للفرقة أو وضعت عليها حراسة من ليلة السبت حتى وصول المارشـــــال بعد ظهر يوم الاثنين ٠

وفى حين اتخذت هذه الاحتياطات كنت مهتما بأن تبذل كل التسهيلات

المعقولة لممثلى الصحافة وأشرطة الاخبار والاذاعة وهى الهيئات التى كانت تقضى مهمتها بأن تذيع على العالم بيانا كاملا فى أول فرصة لزيارة كان ينتظر أن يكون لها أهمية سياسية بارزة ، وكان للمخبرين الصحفيين والمصورين والمعلقين على الاخبار فى الراديو القادمين من يوغوسلافيا .. الحق فى مطالبتنا بمساعدتهم . وكانت هيئة الاذاعة البريطانية تؤكد أهمية الزيارة بلغات مختلفة الى دول أوربا . وفى الوقت نفسه كنت مهتما ألا تقلق راحة المارشال بمقابلة عدد كبير من مخبرى الجرائد له ، ولهذا رأيت أن أصدر بطاقات خاصة لعدد محدود من المخبرين المعتمدين والمصورين وعمال أشرطة الاخبار على أن يعملوا جميعا متعاونين لحساب جميع من يعنيهم الامر ، وأن يقتسموا فيما بينهم النتائج وتمت الموافقة على هذا . وقد علمت أن هذا الترتيب نجح ولقد يسر مهمة البوليس .

ولما اقترب موعد الزيارة كان من المستحيل أن نتجنب الشعور بالقلق ، ولذلك لم يدهشنى أن يطلب رئيس الوزراء فى يوم الخميس السابق على الزيارة ان أتوجه لمقابلته حيث أخبرنى مستر ونستون تشرشل أن المارشال تيتو لم يكن محبوبا من عدد وفير من الناس وقد لا يتحرج بعضهم من محاولة قتله فما الذى عملته لحمايته ؟ فعرضت عليه الخطوات التى اتخذناها .. ثم سأل : ما الذى اتخذناه بشأن متنزه وستمنستر ؟ فأخبرته ويظهر أنه رضى به وبعد مضى يومين طلب منى مقابلته فى مجلس العموم وأعاد سؤاله عن متنزه وستمنستر وأعدت عليه النظام الذى أعددناه . وعندئذ قال تشرشل (أود ان أذهب اليه وأشاهد ما عملتموه) . خرجنا معا من مجلس العموم وسرنا الى الساحل فلما وصلنا الى الأرض ودرسنا موقعها وحالتها أكد أنه يكون من الحكمة ابعاد جميع الناس عن الأماكن المطلة على المتنزه

فى يوم الاثنين وهو صباح يوم وصول المارشال أرسل رئيس الوزراء فى طلبى للمرة الثالثة وأمرنى أن أعيد النظر فى الترتيبات مرة أخرى فلما انتهيت سألنى هل أنت راض عنها فقلت (راض) فأجاب فى اهتمام (حسنا انها مسئوليتك بالطبع) فعدت الى اسكتلنديارد وأنا أعزى نفسى بهذا الاعتقاد .

لم يكن ثمة مايمكن عمله الا انتظار الحوادث والتوسل الى الله بحسن الختام وكنت فى المتنزه حينما وصل المارشال فكان رجلا مرحا تبدو عليه ملامح الذكاء رائق المزاج ، وكان يتلو خطابه بلغة انكليزية كان ظاهرا أنه لم يعتدها ولم يكن يظهر عليه اضطراب من توقع أى حادث مزعج .

وفى الواقع فان الحادث الوحيد فى هذه الزيارة وقع عندما أخذت سيارته تغادر المتنزه اذ ألقى أحد الموجودين فى جموع الناس قريبا من محطة وستمنستر قنبلة دخان ولم يرها أحد وهى ترمى ولم يقبض على أحد وذهبت القنبلة فى مجرى المياه القذرة محدثة فزعا قليلا فى محيطها وكان هذا كل شيء ٠

كنت أتلقى تقارير منتظمة عن تحركات المارشال كل يوم ولكن لم يكن بها ما يستحق التسجيل وقد رأيته مرة ثانية فى حفلة استقبال أقامها السفير اليوغوسلافى وقد تذوقت فيها لاول مرة مشروبا وطنيا يسمى (سليفوفتز) وانى مستعد أن أجرب أى مشروب مرة ثانية ولكنى لاأحب أن أجرب هذا المشروب مرة أخرى ٠

فى صباح اليوم الأخير من زيارته استدعى رجلى المباحث اللذين كانا ملحقين بخدمته وأهدى اليهما علبتى سجاير من الذهب وقد تلقيت فيما بعد خطاب شكر من السفير اليوغوسلافى يعبر فيه عن تقديره لكل ما اتخذ من تدابير ، وفى أول ابريل قال رئيس الحكومة فى مجلس العموم (لست أظن أن من المغالاة القول بأن الزيارة كلها لاقت نجاحا منقطع النظير وانها ساهمت فى التعاون والتفاهم المتبادلين بين البلدين كما عملت على تأييد قضية السلم العامة) ٠

ان قيام بوليس العاصمة بدوره فى هذه الزيارة التاريخية مصدر رضاء عظيم له اذ يعرف أن ضيفنا الممتاز عاد الى وطنه ومعه ذكريات سارة عن هذه البلاد غير أننا كنا نفضل أن يرانا ونحن مبتعدون عن المظاهر الرسمية كما رآنا أمثاله من كبار الزوار غير أن الأخطار التى تعرضنا لها كانت أخطارا جساما ٠ وأظن أنه ليس من الشيء القبيح أن يتحقق كل فرد كيف أن رقابة البوليس يمكن زيادتها بسرعة وباحكام الى درجة لم تعهد من قبل ولو كان هذا لبيان الضرورة التى تقضى بصيانة حريتنا فلا تصبح التدابير الاستثنائية التى اتخذت فى ذلك الاسبوع أشياء مألوفة ٠

منذ الحرب أقلقتنا قليلا الاضطرابات الناشئة عن نشاط بعض أحزاب سياسية الا أن هذه الاضطرابات عندما وقعت لم يقع عبء معالجتها على عاتق الفرع المخصوص بل على بوليس النظام فالحركة الفاشية التى كان لها قبل الحرب أتباع عديدون عولجت خلال الحرب بشيء من الشدة ولم يبق منها الآن الا شكل مخفف غير أن الفاشيين بمجرد أن وجدوا أنفسهم قادرين على تجديد نشاطهم لم يتخلفوا عن ذلك متسمين باسم (حركة

الاتحاد) متخذين طريقة التحدى منظمين المواكب والاجتماعات فى تلك الأنحاء من «ايست اند» التى يكثر فيها السكان اليهود • وكانت هذه التصرفات تثير قيام مظاهرات مضادة ، وكان يقع بعض مايخدش الأمن العام فلما حصل هذا بدا لى أنه قد آن الأوان لأتدخل فأصدرت بموافقة وزير الداخلية أمرا فى ٢٩ من ابريل سنة ١٩٤٨ الخاص بالنظام العام حرم المواكب السياسية فى مساحة كبيرة من ايست اند فتهرب الفاشيون من أحكام هذا الامر ونظموا فى الحال موكبا خارج المنطقة المحرمة وكانت نتيجته حدوث اخلال شديد بالنظام وقبض على واحد وثلاثين شخصا •

وبناء على ذلك أصدرت أمرا جديدا فى ٦ من مايو يشمل جميع مناطق بوليس العاصمة ويخولنى ذلك القانون السلطة لهذا العمل لمدة ثلاثة أشهر وبما أنه خلال هذا الوقت كانت حركة الاتحاد تستمر فى عقد اجتماعات فى شوارع ايست اند ، وان لم تستطع أن تنظم موكبها وكان يقع فى تلك الاجتماعات فى كثير من الظروف اصطدامات بينهم وبين خصومهم فجددت الامر ثلاثة أشهر آخرى لغاية ٦ من نوفمبر ، وفى هذا الوقت تحسنت الاحوال وقل الاضطراب فى الاجتماعات ، وكذلك قررت أن ألغى الحظر الذى كان مفروضا على المواكب على أمل أن تتجنب حركة الاتحاد أى تحديات أخرى •

استمرت الاجتماعات المنتظمة تعقد فى منطقة دلستون وأخذ كبير المراقبين (سنترثويت) وضباطه التابعون للفرقة (ج) يقضون الأسابيع تلو الأسابيع فى الفصل بين المتنازعين أو فى فض الاجتماعات اذا هددت بالتحول الى التشاجر الصرف وكنت أقابل (سنترثويت) بانتظام ، وكنت أقنعه بضرورة التزام الحياد ولكنى فى الوقت ذاته أخبرته أنه سيجد كل تأييد اذا لجأ الى الاجراءات العنيفة حين يخشى حدوث اضطرابات ، فقابل سنترثويت وهو رجل صريح زعماء الاضطرابات وصرح لهم بما لديه من تعليمات ، واعتقد أنه كان يدين بالتأييد الذى منحته اياه وما أظننى بحاجة الى القول بأن رجال البوليس الذين أجلت كشوف أجازاتهم كانوا متذمرين كل التذمر من هذه المهمة وكانوا يستمطرون اللعنات على رءوس كل من الفاشيين والشيوعيين •

ولم يكن رجال البوليس فى مركز يحسدون عليه لأن الفاشيين كانوا يشكون من أن البوليس أخفق فى حمايتهم وهم يمارسون حقهم فى حرية الخطابة فى حين أن اليهود والشيوعيون كانوا يشكون من أن البوليس يحمى الفاشيين حينما كانوا ينظمون اجتماعاتهم المثيرة الشائنة فى مناطق

كان معروفا أنهم غير مرضى عنهم فيها فهذه الشكاوى المتناقضة كانت طبعا دليلا على أن البوليس كان يلتزم الحياد ٠

بعد شهر أو شهرين بدأ حزب الاتحاد أكثر نشاطا فنظم موكبا جديدا كان فيه كثير من سوء النظام فأعيد فرض الحظر فى ٢٢ من مارس سنة ١٩٤٩ مدة ثلاثة أشهر وكان له أثر أطول بقاء من الحظر السابق فمر الصيف فى أمان الا أنه فى الخريف قام موكب من (ميرستريت) الى (ردلى رود) ولقى معارضة من هيئة من الشبان الشيوعيين اليهود تعرف باسم جماعة ٤٣ وكان لابد من القاء القبض على اثنى عشر شخصا ٠

بعد بضعة أسابيع ظهر أنه اذا لم أكن أعدت فرض القيود على المواكب لاستفحل الاضطراب لان هذه المواكب لم تكن تجذب اليها الخصوم السياسيين من الفاشست فقط ولكنها تجذب أيضا عددا من الرعاة الصغار الذين يجدون فيها فرصا لخلق اضطرابات يفيدون منها ، ولما فكر فى تنظيم موكب ٤ من اكتوبر كان محققا أن الاضطرابات ستتولد عنه ، ولذلك أعددت فرض القيود من ٣ من اكتوبر لمدة ثلاثة أشهر وكنت أجددها كل ثلاثة أشهر حتى ربيع سنة ١٩٥١ عندما انتهت المدة قبل (يوم مايو) ماعدا فترات قصيرة فى يناير سنة ١٩٥٠ ٠

وفى جميع أنحاء العالم يكون (يوم مايو) هذ اليوم الذى تقوم فيه مظاهرات اشتراكية وشيوعية ٠ وفى لندن منذ عدة سنوات اعتاد مجلس صناعات لندن أن ينظم سلسلة من المواكب المنتظمة تسير من أحياء لندن المختلفة الى ميدان ترافلجار حيث تعقد اجتماعا عظيما ٠ وفى سنة ١٩٥٠ وقعت هذه المواكب ذات الصبغة السياسية تحت طائلة الحظر الذى فرض بالامر الذى أصدرته ولذلك امتنع كثيرون وأغضب هذا أولئك الذين كانوا يرغبون فى تسيير مواكب (يوم مايو) المعتادة وطلبوا أن أقصر أمرى على المواكب الفاشية وانى اذا لم افعل هذا فسيكون تصرفى مشوبا بالغرض وفى الواقع أن السلطة التى خولنى اياها القانون لا تعطى حق التفرقة فاما أن تشمل الجميع واما لا ، غير أننى سنة ١٩٥١ لم أكن أرغب فى تجديد الأمر مدة الاشهر الثلاثة .

أولا ــ لأنى بصفة عامة أكره القيود التى تخالف تقاليدنا عن حرية الخطابة وطبيعة العمل ولم تكن لى أية نزعة لفرض قيد ما الا كملجأ أخير ٠

وثانيا ــ لان الحظر وقد استمر أكثر من اثنى عشر شهرا متوالية

يمكن أن يفسر تفسيرا له مسحة من الحق بأنى أكسب تصرفا وقد رأى البرلمان أن يكون مؤقتا (صفة الدوام) •

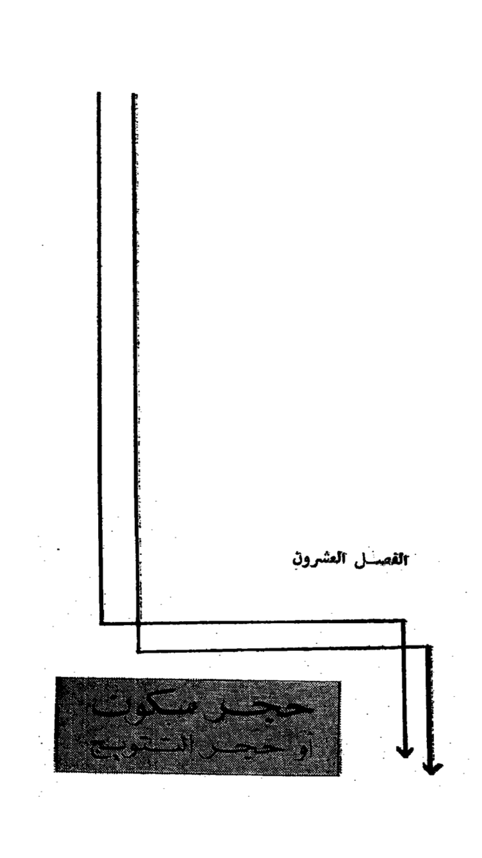
وثالثا — من الناحية العملية وهى الاهم — انى اقتنعت بأن الحاجة الى فرض القيود قد انتهت وآن الحظر يمكن أن يرفع دون آى خوف من تحديد الاضطرابات •

وفى الواقع ظهر لى أن الاضطرابات تكون أكثر احتمالا اذا ما حاولنا أن نمنع مواكب (يوم مايو) وقد كانت فى الماضى مقرونة بالنظام أكثر منها من قيام مظاهرات صغيرة تنظمها جماعات منقسمة على نفسها وغير منظمة ممن يمالئون الفاشيين • ولهذا قررت ألا أعيد فرض الحظر ، ولم يجد فيما بعد ما يجعل من الضرورى اعادة فرضه • وبدآ حزب الاتحاد يظهر بمظهر التحرش • وكانت محاولات خصومهم فى تعطيل اجتماعاتهم وسيلة للدعاية لهم ولم يكونوا يستطيعونها بجهودهم وحدها • فلما تحقق زعماء الطائفة اليهودية من ذلك أقنعوا الجماعات المعارضة لحزب الاتحاد أن من المصلحة تجاهل تلك الاجتماعات وهذه النصيحة الحكيمة مع ما أبداه رجال البوليس المحلى من الصبر والحزم عادت بأطيب الثمرات فاختفى اختفاء كاملا مدة عامين كل مظهر من مظاهر الاضطراب •

وفضلا عن نشاط حزب الاتحاد خلت السنوات التالية للحزب خلوا تاما من أى اخلال بالأمن ويمكن أن توصف بأنها خالية من الحوادث الا حادثة واحدة ستظل ذكراها عالقة بالأذهان زمنا طويلا • فان الوطنيين الاسكتلنديين لم يسترعوا الا قليلا من الانتباه جنوبى الحدود وحتى فى اسكتلندا لم يتخطوا حدود الاضطرابات العادية السياسية ولكنهم فى مساء عيد الميلاد سنة ١٩٥٠ قاموا بضربة أحدثت عجبا دام تسعة أيام بسرقتهم حجر سكون (١) من كرسى التتويج فى كنيسة وستمنستر •

---

(١) وهو اسم العاصمة القديمة لاسكتلندا ومحل تتويج ملوكها وكنيسة وستمنستر أشهر مبنى دينى في انجلترا وكان يتوج فيها ملوكها منذ ٩٠٠ سنة ويدفن فيها الملوك والشعراء والسياسيون والجندى المجهول •



الفصل العشرون

حجر سكون
أو حجر التتويج

بلاغات عن محاولات لسرقة ماسة الملك ـ حظ الناشئين رجل البوليس يرى المجرمين ـ عريضة للملك ـ المطاردة تنتقل الى اسكتلندا ـ استجواب المشبوه الأول ـ شابان يسردان قصتهما ـ عودة الحجر .

جلب حجرسكون (١) الى انجلترا فى سنة ١٢٩٦ ادوارد الاول بعد انتصاره على الاسكتلنديين وكان قد ثبته والترنقاش الملك فى كرسى ومنذ ذلك التاريخ وملوك انجلترا وملكاتها يتوجون عليه ، وكان هذا الحجر فى نظر الوطنيين الاسكتلنديين رمز الاستقلال الاسكتلندى . وكون فريق صغير منهم فكرة الاستيلاء عليه ونقله الى اسكتلندا ليوجه أنظار الرأى العام الى شكاياتهم .

---

(١) حجر سكون ـ نسبة الى مدينة (سكون) عاصمة اسكتلندا القديمة بلندن ، وهذا الحجر هو الذى يتوج عليه ملوك بريطانيا . وكان يتوج عليه ملوك اسكتلندا لمدة ٤٠٠ سنة . حتى نقل الى لندن عام ١٢٩٦ م

المترجم

وكانت اسكتلنديارد قد تلقت من قبـــل بلاغا بأنه يحتمل حدوث محاولة للاستيلاء على حجر الملك فى (كنجستون أون تيمس) التى كان يتوج عليها الملوك السكسونيون ، ثم وصلت معلومات أخرى بأن عضوا بارزا من الجناح المتطرف من جماعة الوطنيين الاسكتلنديين غادر اسكتلندا قاصدا الى انجلترا بالســـيارة • ولذلك أخذ البوليس منذ ذلك الوقت يراقب حجر الملك ليلا ونهارا • ولم تصل الينا أية اشـــاعة عن محاولة الاستيلاء على (حجر سكون) • وقام بالسرقة جماعة من الهواة الناشئين صاحبهم الحظ • فانهم حينما قبض عليهم أخيرا واستجوبهم رجال البوليس كان الأثر الذى تركوه فى نفوسهم أن هؤلاء الشبان لم يكن لديهم أية فكرة عن النجاح فى نزع الحجر فانهم كانوا يعتزمون محاولة نزعه أثناء النهار عندما تكون الكنيسة مفتوحة ، وكانوا لا يبالون اذا شوهدوا وهم يفعلون ذلك، ويقبض عليهم لأنهم يكونون قد حققوا الغرض الذى يبغونه من العلانية التى تنشأ عن القبض عليهم •

فى مساء عيد الميلاد سنة ١٩٥٠ كانت كنيسة وستمنستر مغلقة لا يدخلها الجمهور من الساعة الخامسة مساء فأغلق الحارس الابواب والبوابة الحديدية خارج ركن الشعراء (١) وبعد الساعة التاسعة خرج الحارس الى الممر المغطى ورأى الكاهن يتحدث مع اثنين من الطلاب خارج البوابة ، فطلب اليه الكاهن أن يفتح لهما البوابة ويسمح لهما بالدخول لكى يطلعهما على بعض أجزاء المبانى المهمة ، وبعد نحو عشر دقائق انصرف الطالبان ولاحظ الحارس أنهما يتكلمان بلهجة اسكتلندية •

وفى الساعة ١٠و٤٥ مساء سلم الحارس العهدة الى رجل المطافىء والى حارس الليل فقاما بالمرور المعتاد خلال الليل ، ولم يلاحظا أمــرا غير عادى حتى اذا وافت الساعة السادسة صباحا رأى الحارس أن الباب الموجود فى ركن الشعراء فتح عنوة فتوجه فى الحال الى كنيسة (هنرى) السابع وتحقق من أن الشمعدانات الفضـــية والصليب الموضـــوع على التمثال التذكارى لمعركة بريطانيا لم تسرق • ثم توجه الى كنيسة أدوارد المعترف فوجد أن حجر التتويج الذى يزن حوالى ٤٥ رطلا مسروقا •

بمجرد أن أبلغ خبر السرقة الى البوليس اتصل بى رئيس المباحث الجنائية بالمنزل تليفونيا وأبلغنى ماحدث وكان قد عهد الى رئيس مفتشى رجال المباحث (ماك جراث) التابع لفرقة (١) والذى تقع الكنيسة فى

(١) ركن الشعراء ركن مشهور من أركان كنيسة وستمنستر دفن فيه كثير من مشـــاهير شعراء انجلترا •

اختصاصه القيام بالابحاث واكد لى أن كل مايمكن عمله لكشف الحادث قد عمل .

لما وصل (ماك جراث) الى الكنيسة فى ذلك الصباح وجد أن البوابة الموصلة من بلاس يارد الى ركن الشعراء كانت مفتوحة ، وان الأبواب الخشبية على يمين الطريق الموصل من البوابة الى باب ركن الشعراء فتح عنوة ، وكان المزلاج والقفل قد انتزعا وكانمتيسرا أن تدخل من الباب قطعة طويلة من الخشب كان يستعملها البناءون الذين كانوا يعملون بالكنيسة وبذا كان يمكن الوصول الى باب ركن الشعراء الذى ظهر أنه فتح عنوة ايضا من الخارج كما ظهرت عليه آثار استعمال (أجنة) حديدية ، وكانت المسامير المثبت بها لوحة المزلاج الخاص بفناء البناء مفقودة . فوجد ماك جراث داخل الكنيسة أن زخرفة الكرسى قد أتلفها نزع الحجر ووجد تحته (أجنة) حديدية وساعة يد مما يلبسه الرجال على معصمهم ودلت الآثار التى على الارض أن الحجر سحب من الكرسى ومر من الباب الى المذبح المرتفع ثم من درجات المذبح الى باب ركن الشعراء .

وفى الحال استجوب كبير المفتشين كل الشهود الممكن سؤالهم ، وكان احد الكونستابلات الحديثين القليلى الخبرة يقوم بعمله خارج الكنيسة فى الصباح الباكر فذكر أنه رأى سيارة سوداء ماركة (فوردانجليا) بدون أضواء منتظرة فى الطريق الموصل الى باب ركن الشعراء حوالى الساعة ١٥ر٥ فى ذلك الصباح، وكان بها رجل وامرأة ولما سألهما لايضاح سبب وقوفهما على أرض خاصة أجابا بلهجة اسكتلندية أنهما فى رحلة ويبحثان عن مكان يقضيان الليل فيه فأرشدهما الكونستابل الى موقف انتظار العربات فى شارع (جريت كولدج) القريب من ذلك المكان ووصف المرأة بأن عمرها بين اثنتين وعشرين سنة وخمس وعشرين ذات شعر طويل أسود وبأن عينيها سوداوان ، ولها أنف مدبب طويل وشفتان رفيعتان ولون بشرتها خمرى ، وكان الرجل يكبرها بسنتين أو ثلاث ذا بنية متوسطة وشعره ذهبى ، اشعث وأنفه يكاد يكون أفطس ولم تتكلم الفتاة كثيرا ولكن الرجل كان يرغب فى مواصلة الحديث ، وكان يتكلم بلهجة اسكتلندية ظاهرة جدا . وبينما هم يتكلمون سمع صوت طرق باب فلما سمعه الكونستابل قال بروح المسيحى المتدين (أخشى أن يكون هذا صوت حارس الليل وأنه قد وقع) ثم أضاء مشعله ووجهه الى ظهر

السيارة ولم ير الا سجادة للرحلات (وضع تحتها كما جاء بالكتاب الذى نشره ابان هاملتون فيما بعد قطعة من الحجر كسرت أثناء نزعه) .

بعد بضع دقائق تحركت السيارة واختير رجل البوليس البوابات الحديدية فى نهاية الطريق على بعد ١٥ ياردة من مدخل الشعراء . ووجه مشعله أيضا الى باب ركن الشعراء ولكنه بدا من هذه المسافة سليما ولم يلحظ الابواب الخشبية التى فتحت عنوة وقد رأى انوارا بالكنيسة ولكنه ظن أنه يحتمل أن يكون قد أضاءها بعض الناس استعدادا لصلوات عيد الميلاد ثم سار فى سبيله .

ومرة اخرى واجه المفتش (ماك جراث) الحارس الذى تذكر أنه وجد رجلا فى الكنيسة بعد اغلاقها فى مساء ٢٣ من ديسمبر كان مختبئا خلف تمثال فى الجناح الشمالى للكنيسة وكان يلبس جوربا فى قدميه ويحمل فردة حذاء فى يده اليسرى وكانت الثانية فى جيب جاكتة وقال فى لهجة اسكتلندية انه كان بداخل الكنيسة عندما أغلقت . وخشى أن يستفيث حتى لايقع فى متاعب وآجاب أن اسمه اليسون وانه كاتب تجارى فى محطة بادنجتون ومع انه لم يقدم بطاقة تحقيق شخصية فقد اكتفى الحارس بتصديق روايته وسمح له بالخروج من الباب الشمالى.

كانت الأدلة حتى هذه المرحلة تشير الى أن الوطنيين الاسكتلنديين هما المحرضان على السرقة وبدأت التحقيقات تسير فى هذا الطريق حتى يوم ٢٩ من ديسمبر اذ وجد على مكتب جريدة جلاسجو هرالد التماس موجه الى الملك وهذا نصه .

ان العريضة التى يرفعها بعض رعايا جلالة الملك جورج السادس ومن اشدهم ولاء وطاعة تبين بكل خضوع أن مقدمى هذا الالتماس الى جلالته هم الذين ازاحوا حجر القضاء والقدر من كنيسة وستمنستر ، وأنهم فى ازاحة هذا الحجر لم يقصدوا الاضرار بممتلكات جلالته ، ولا أن ينقصوا من احترامهم للكنيسة التى هو رئيسها الزمنى .

وان حجر القضاء والقدر على كل حال هو الرمز القديم للجنسية الاسكتلندية ، وانه نقل من اسكتلندا بالقوة واستبقى فى انجلترا وفى هذا نكث للعهد الذى قطعه سلفه الملك ادوارد الثالث ملك انجلترا ، وان مكانه الطبيعى هو فى وجوده بين شعب جلالته الاسكتلندى الذين يعتبرون هذا الرمز العزيز فوق كل شىء .

ان مقدمى الالتماس الملكى سيكونون على أتم استعداد لاعادة الحجر الى العهدة الامينة التى يتمتع بها ضباط جلالته اذا ماتكرم جلالته وحقق مطلبهم بأن يبقى الحجر فى جميع الأيام المقبلة باسكتلندا بين ممتلكات جلالته أو غيرها مما يراه جلالته مناسبا .

وان هذا التأكيد لن يحول دون استعمال الحجر فى تتويج أصحاب الجلالة خلفاء جلالته سواء فى انجلترا أو فى اسكتلندا .

وان مقدمى الالتماس مستعدون لان يقدموا لوزراء صاحب الجلالة أو من ينوب عنهم الدليل على انهم القوم القادرون والراغبون والمتلهفون لأن يعيدوا الحجر الى عهدة ضباط جلالة الملك .

ان مقدمى الالتماس لصاحب الجلالة الذين خدموا جلالته فى أوقات الحرب والسلم يعاهدونه ثانية على ولائهم له محتفظين دائما بحقهم وواجبهم فى الاحتجاج على تصرفات وزراء جلالته اذا كانت هذه الاعمال مضادة لرغبات شعب جلالته الاسكتلندى أو روحه . واشهادا على حسن نية مقدمى الالتماس الى جلالته يضيفون البيان الآتى الخاص بترك ساعة فى كنيسة وستمنستر فى ديسمبر سنة ١٩٥٠ وهاهى ذى :

١ ــ ان (زمبرك) الساعة أصلح حديثا .

٢ ــ ان المسمار الذى يربط الساعة بالطرف الايمن من جلدة المعصم كسر ولحم ، وقد قدم هذا البيان عوضا عن توقيع مقدمى الالتماس لجلالة الملك خوف القبض عليهم .

ولو أن الالتماس لم يكن ممهورا بامضاء فان الاشارة الى الساعة التالفة بلغت من الدقة مبلغا يدل على أن كاتبيه كانت لهم صلة بالحادث .

وكانت تنهال على اسكتلنديارد البلاغات عن مكان وجود الحجر وكانت تفحص هذه البلاغات فما وجد منها صالحا للبحث أجرى البحث فيه ، وأعلن احد الكتاب أنه لو زود ببعض بيانات عن الحجر لما وجد صعوبة فى معرفة مكانه بالتجائه الى أساليب روحانية يحذقها هو الا ان ادارة المباحث الجنائية وجدت أن المساعدة التى يعرضها أكثر مما يجب الالتجاء اليه والدليل الملموس الوحيد الذى وجد كان هو العثور فى ٦ من يناير على لوحة بها وصف للكرسى كانت توضع عليه عادة وقد وجدت فى مكان متهدم من الغارات فى (تفتون ستريت) قريبا من الكنيسة .

ولما كان واضحا أنه من العبث استمرار التحريات فى لندن فقد انتقل التحقيق الى اسكتلندا حيث لجأ كبير المفتشين (ماك جراث) الى (بوليس جلاسجو) طلبا للمساعدة وبناء على معلومات تلقاها هذا البوليس فى ٢٣ من يناير استجوب آنسة تدعى (كاترين بل كاثيسون) مدرسة فن التدبير المنزلى فأنكرت انها تعرف أى شىء عن سرقة الحجر وان كانت أضافت قولها (لو كنت اعلم شيئا لما ذكرته لك) وقالت انها قضت عيد الميلاد فى دارها فى روسشير ولما لم يقتنع البوليس بأقوالها فقد واصل أبحاثه فوجد انها تعرف قيادة السيارة وانها غادرت مسكنها فى جلاسجو فى ٢٢ من ديسمبر فى طريقها الى لندن وانها رؤيت وهى تعود الى دارها بالقطار فى (دانج وال) فى ٢٧ من ديسمبر ، وأنها اتصلت تليفونيا بصاحبة فندق مجاور لدارها وطلبت منها أن توصل رسالة الى أمها تذكرها بأنه اذا سأل البوليس عن تحركاتها فى عيد الميلاد كان على الأم أن تقول له انها عادت الى المنزل فى ٢٥ من ديسمبر . وعلم فيما بعد انه لما انتهى البوليس من استجوابها اتصلت تليفونيا مرة أخرى بصاحبة الفندق وطلبت اليها أن توصل رسالة عاجلة الى امها بهذا المعنى.

وفى مساء ٣٠ من يناير وجد اعلان على درجات سلم كتدرائية (سانت جيلز) بأدنبره هذا نصه :

(نحن الأشخاص الذين نزعوا حجر القضاء والقدر من كنيسة وستمنستر صباح يوم عيد الميلاد سنة ١٩٥٠ والذين نقلوه عبر الحدود الى هوجماناى سنة ١٩٥٠ يرغبون فى أن يوجهوا الى الشعب الاسكتلندى النداء الآتى وان يطلبوا تعليماته عن طريق التخلص من الحجر .

وازاء التهديد بالسجن نحن نعيد تأكيد تعميمنا بالاحتفاظ بهذا الرمز العتيق للجنسية الاسكتلندية فى بلادنا ما لم يبد الشعب الاسكتلندى رغبته الصريحة فى اعادة الحجر الى كنيسة انجلترا .

ولذلك نقترح أن تتخذ الجمعية الوطنية الاسكتلندية فى اجتماعها القادم قرارا لتعيين مكان استقرار الحجر فى المستقبل ، ونحن نعاهدها باحترام أى قرار تتخذه لأننا مقتنعون أن هذه الجمعية هى الوحيدة التى تستطيع أن تعبر عن ارادة شعب اسكتلندا .

واذا كان قرار الجمعية هو اعادة الحجر الى انجلترا فسنسلمه الى أى مندوب تعينه الكنيسة الانجليزية ، أو الى من ترى الجمعية تسليمه اليه أما اذا قررت الجمعية أن يبقى الحجر فى اسكتلندا فان أملنا الصادق

هو أن تتفاوض الجمعية مع سلطات لندن لكى يجد الحجر مستقره الدائم لا فى مذبح لأناس لايرون فيه الا نه من غنائم الحرب ولكن فى عاصمة أمة تفخر باعتباره رمزا لحريتها .

وللتدليل على حسن نوايانا فاننا نذيع البيان الآتى وهو بيان لم يذعه بعد رجال البوليس .

١ ــ فى ليلة السبت ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٥٠ طرد حارس كنيسة وستمنستر احد اعضائنا من الكنيسة بعد اغلاقها بنصف ساعة واسم شريكنا هو جون اليسون القاطن فى شارع ارلنجتون رقم ١٤ .

٢ ــ ان المسمار المعلقة به هــــذه الوثيقة على باب كتدرائية سانت جيلز منزوع من مبانى كنيسة وستنمستر .

وكان هذا المسمار حلزونى الشكل ترك على عتبة الكنيســـة وقد اقتنع ماك جراث بأنه أحد المسامير التى نزعت بالقوة من بوابة فنــاء البناءين بالكنيسة .

وفى ١٦ من مارس استجوبت أم (مس مانيسون) وأكدت أن ابنتها عادت الى المنزل فى مساء يوم عيد الميلاد غير ان مس مانيسون حينما استجوبها البوليس تحققت من عدم امكان الاستمرار على روايتها طويلا، وقررت أن تعترف ومن دلائل حالة التوتر التى كان فيها هؤلاء الشبان ليلة السرقة ان مس مانيسون كانت تعتقد انها هى لا رجل البوليس التى أبدت الملحوظة عن سقوط الحارس على الأرض وعندما استجوب بعد ذلك زملاؤها حدثت خلافات بسيطة بين أقوالهم مما يعلل الحالة الطبيعية التى كانت فيها أعصابهم وقت ارتكاب الحادث وبعد أن أتمت مس مانيســـون أقوالها أضافت انها كانت تعتزم الا تتكلم الا باللغــة الاســكتلندية الدارجة ولكن لسبب غير معــروف عدلت عن تصميمها ورفضت أن تذكر أسماء شركائها .

وفى هذه الاثناء دلت التحريات التى عملت فى الحظائر الموجودة فى جلاسجو وقريبا منها على ان سيارة من طراز (فورد انجليا) استأجرها فى جلاسجو يوم ٢٢ من ديسمبر طالب اسمه (جافن فرنون) الذى يبلغ من العمر ٢٤ سنة وانها أعيدت فى ٢٩ من ديسمبر بعد أن قطعت ١٫٤٧٩ ميلا وقبل هذا بقليل طلب طالب آخر اسمه (ايان هاملتون) وعمره ٢٥ سنة من نفس الحظيرة استئجار سيارة ولكن الحظيرة رفضت أن تؤجر له فانصرف ثم عاد ومعه فرنون الذى استأجر السيارة .

خطر فى بال احد رجال البوليس فى جلاسجو أن يستعلم من دار الكتب التابعة للبلدية عما اذا كان قد استعار أحد فى الآونة الاخيرة كتبا عن كنيسة وستمنستر وأظهرت السجلات أن ثلاثة كتب فى هذا الموضوع اعيرت لهاملتون فى ٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٥٠ ودلت التحريات التالية على أن شخصا ثالثا اسمه (الكسندر ستيورات) وعمره ٢٠ سنة كانت له علاقة بالحادث فاستدعى هو وفرنون وهاملتون وأستجوبوا وأنكر هاملتون قيامه بأى دور فى السرقة ورفض الادلاء بأى قول ولكن المفتش (ماك جراث) لاحظ سرور هذا الشاب حينما أتاح له المفتش فرصة يشرح فيها من الذى يراه أحق من الناحية القانونية بحيازة الحجر . أما ستيورات وفرنون فقد أدليا بأقوالهما غير أنه لم يبح أحد منهما بأسماء شركاتهما فمن هذه الأقوال ومن أقوال مانيسون يمكن أن تؤلف قصة السرقة .

قرر فرنون وثلاثة من أصدقائه قبيل عيد الميلاد أن يتوجهوا الى الكنيسة ويسرقوا أو يستعيروا ، وهى الكلمة التى فضلوا استعمالها ، حجر السكون فاستأجر فرنون سيارة من طراز فورد انجليا وفى مساء يوم الجمعة ٢٢ من ديسمبر انطلق مع هاملتون الى لندن يصحبهما ستيوارت ومس مانيسون فى عربة مماثلة يملكها والد ستيوارت ووصلتا الى لندن فى مساء اليوم التالى وطافوا فيها بعض الوقت للتفرج عليها وفيما بعد توجه هاملتون الى الكنيسة وهو يعتزم البقاء داخلها بعد اغلاقها ليرى ماالذى يحدث فيها ولكنه انضم الى زملائه بعد أن طرده حارسها وهو الذى ذكر له أن اسمه اليسون .

وقضى الاربعة الليل نياما فى سيارتيهم وفى بعد ظهر اليوم التالى زاروا الكنيسة للاستكشاف وقرروا أن الباب الموجود فى ركن الشعراء هو أسهل طريق موصل الى داخل الكنيسة ولاحظوا الابواب الخشبية الموصلة الى فناء البناء وفى ساعة متأخرة من المساء سار فرنون وستيوارت حول فناء الكنيسة حيث تقابلا مع الكاهن ثم عاد الأربعة الى سيارتهما للنوم على نية أخذ الحجر فى صباح يوم الاثنين عندما تفتح الكنيسة ولكن البرد أيقظهم من النوم فقرروا الشروع فى العمل فورا .

وكانوا قد أتموا اعداد مدخل لهم بأن كسروا المزلاج الخشبى من الباب ورموه فى فناء الباب وقص فرنون كيف أنه وضع المسامير الأربعة التى كانت فى اللوحة فى جيبه ثم فى ثقب بأحدى السيارتين .

ثم قادوا السيارتين الى محل انتظار بشارع (جريت كولدج) وتركوا سيارة فرنون هناك وقادتهم جميعا بالسيارة الاخرى مس مانيسون الى الكنيسة واتجهت السيارة الى ركن الشعراء ودخلوا الكنيسة ونزعوا الحجر من كرسى التتويج ووجدوه أثقل مما كانوا يتوقعون فوضعوه على معطف هاملتون وسحبوه الى باب ركن الشعراء وفى هذه اللحظة سمعوا صوت آلة السيارة تدور فعجلوا بايفاد هاملتون ليطلب من مس مانيسون ايقافها وكانت قد رأت أحد رجال البوليس يعبر الطريق متجها اليها فتقدمت بالسيارة فى وسط الشارع لتحاول بذلك أن تحول نظره عن الكنيسة وعجل هاملتون بالقفز الى السيارة وذكر كلاهما للكونستابل انهما سائحان يبحثان عن مكان للمبيت .

كان فرنون وستيورات قد حملا الحجر الى البوابة الخشبية دون أن يعلما بما هو حاصل فى الخارج ثم تطلعا من ثقب المفتاح ورأيا رجل البوليس بجانب السيارة وسمعا ملاحظة عن سقوط حارس الكنيسة ثم انطلقت السيارة بمس مانيسون وهاملتون دون أن يستطيعا الاتصال بزميلهما وعادت مس مانيسون وحدها الى اسكتلندا بناء على تعليمات هاملتون .

بعد أن انصرف حارس الكنيسة توجه فرنون وستيورات الى مكان انتظار السيارات للبحث عن سيارتهما وقبل أن يبلغاه رأيا عربة بوليس تمر بجوارهما فخافا أن يكون البوليس قد أبلغ عن السرقة فقررا أخذ السيارة والابتعاد بها فورا ولما وصلا الى شارع جريت كولدج لم يجدا مفتاح السيارة ولما بلغ الفزع منهما مبلغا كبيرا انصرفا راجلين وبعد مضى بعض الوقت وبمحض الصدفة قابلاها هاملتون يقود السيارة التى ذهبا يبغيانها .

فلما اطمأن هاملتون الى عودة مس مانيسون سالمة رجع الى محل انتظار السيارات فى شارع جريت كولدج ولما وصل اليه وجد أن المفتاح ليس معه ولكنه تذكر أنه كان فى جيب معطفه الذى استخدمه لجر الحجر ولذلك عاد ثانية الى الكنيسة ولحسن حظه وجد أن المفتاح ملقى على الارض فعاد وأخذ السيارة من محل الانتظار ورجع للمرة الثالثة الى الكنيسة ووضع الحجر فى الجزء الخلفى من السيارة تحت معطفه وكان يقود السيارة على غير هدى فى لندن وضل فى طرقها الى أن رأى بالصدفة فرنون وستيوارت يسيران معا وحينذاك اتفق على أن يعود فرنون الى جلاسجو بالقطار وأن يهرب ستيوارت وهاملتون بالسيارة

وعاد فرنون الى جلاسجو بصاحبيه فيما بعد وتسلم منهما السيارة واعادها الى الجراج .

سار الآخران بالسيارة الى « كنت » وقبيل وصولهما الى روشتر اخفيا الحجر فى غابة قريبة من الطريق ثم واصلا رحلتهما الى اسكتلندا التى نقل اليها الحجر فيما بعد اما اللوحة التى كانت على الكرسى فقد القى بها فى موقع متهدم من القنابل فى شارع تفتون حيث وجدت وكان ستيوارت وهاملتون هما اللذان كتبا الالتماس الذى ترك فى ادارة جريدة جلاسجو هرالد والاعلان الذى وجد على باب كاتدرائية (سانت جيلز) .

ان الامر الذى يكتسبه القارىء من الكتاب الذى ألفه هاملتون عن هذا العمل الجرىء هو أن هذا العمل مغامرة من مغامرات الطلاب أذكته نيران الحماسة الدينية فهاملتون الذى صرح بأنه هو الذى وجد فى الكنيسة فى الليلة السابقة على ليلة السرقة كان يملأ نفسه حقد كبير على انجلترا دون معرفة تامة بهذا الحقد . وكان يعد نفسه كأنه يقوم بحرب صليبية نيابة عن وطنه المهضوم الحق وازاء صدق ماجاء فى كتابه نعرف أن شيوخ الوطنيين الاسكتلنديين كانوا يشجعونه على التمسك بفكرته مع أنه كان ينتظر منهم أن يكونوا أكثر احاطة بالحال .

حسبنا هذا القدر من الكلام عن سرقة الحجر ولنتناول الآن مسألة عودته ففى سبيل البحث عنه جفف البوليس بحيرة «السربانتينة» (١) فى لندن وما حولها حيث يحتمل أن يخبأ فيها ثم انتقل البحث الى اسكتلندا حيث كنا متأكدين من أنه نقل اليها ولم تكن لدينا حتى ذلك الوقت اية فكرة عن مقره الى أن حصل فى ١١ من ابريل سنة ١٩٥١ أن توجه أحد مدرسى المدارس وهو مستر دافيد اليستير جاردنر من سكان مدينة اربروث وأحد أعضاء المجلس البلدى وعضو فى حزب الوطنيين الاسكتلنديين الى مركز بوليس اربروث وابلغه ان الحجر موجود فى المذبح العالى فى كنيسة أربروث المتهدمة .

ويقول مستر جاردنر ومستر فرانك ثورنتون المتعهد وعضو المجلس البلدى لمدينة اربروث وعضو حزب الوطنيين الاسكتلنديين انه قد طلب اليهما قبل يوم ١١ من ابريل أن يتوسطا فى اعادة الحجر وألا يبوحا بأسماء الاشخاص الذين طلبوا وساطتهما وبحسب وصف مستر جاردنر كان الذين أعادوا الحجر غير الثلاثة الذين اخذوه وكانوا يكبرونهم فى السن كثيراً .

---

(١) هى بحيرة جميلة انشئت في هايد بارك في لندن بين سنتى ١٧٣٠ ، ١٧٣٣ .

وحوالى ظهر ١١ من ابريل دهب مستر ثورنتون الى كنيسة اربروث وكانت حيث توقفت هناك سيارة بها ثلاثة أشخاص ونقل الحجر من حقيبة السيارة محمولا على نقالة تحت علم سنت أندرو الى الكنيسة ووضع فى المذبح العالى وتذكر مستر وشارت حارس الكنيسة أنه رأى مستر جاردنر واقفا خارج المكتب فى هذا الوقت ولكنه ــ وقد كان مشغولا يبيع بطاقات بريدية الى المتفرجين ــ طلب اليه الانتظار ولما فرغ من بيع البطاقات قال للمستر جاردنر « اهذا هو حجر القضاء والقدر » فأجابه مستر جاردنر « نعم انه حجر القضاء والقدر وها هو ذا يسلم لك » .

وعندئذ قال مستر وشارت : « كان عليهم ان يستأذنوا قبل الحضور هنا بالحجر لأنى أنا المسئول هنا » .

وعلى كل حال فقد قبل تسلم الحجر وعند مغادرة الرجال الذين احضروه قال أحدهم له « انى سعيد جدا لمقابلتك ولتقليدك شرف قبول حجر القضاء والقدر » ولم يكن مستر وشارت يعرف أحدا منهم .

ولقد وضع على الحجر ظرفان مختومان موجهان الى جلالة الملك والى الجمعية العمومية لكنيسة اسكتلندا وهذه صورة خطاب الملك ارسلها كاتبوها الى الصحف ونصه :

« خطاب الى جلالة الملك جورج السادس من رعاياه الاسكتلنديين الذين نقلوا حجر القضاء والقدر من كنيسة وستمنستر واحتفظوا به فى اسكتلندا منذ اعادته اليها وهم يعرضون بخضوع ... أنهم فيما فعلوا وهم الرعايا المخلصون ، لم يقصدوا استهانة أو اضرارا بجلالته أو للأسرة الملكية .

وأن ماحدا بهم على مافعلوا ليس الا حبهم العميق لحكم جلالته لاسكتلندا ورغبتهم فى لفت أنظار وزراء جلالته الى مطالب الشعب الاسكتلندى التى اعلنوها على الملأ بالمطالبة للحصول على قسط من الحكم الذاتى .

واستعاد البوليس الحجر من كنيسة اربروث ونقله الى بوليس فورفار فى اليوم التالى الى بوليس جلاسجو الرئيسى حيث اختبره المختصون بالكنيسة وتحققوا من انه هو وقد أصيب الحجر بتلف طفيف فى أحد أركانه ولكن التلف أصلح وفيما عدا هذا لم يمس بسوء وفى اليوم

التالى نقل الحجر الى لندن حيث سلم بعد الساعة الثامنة مساء بحضور وزير الداخلية الى عميد الكنيسة .

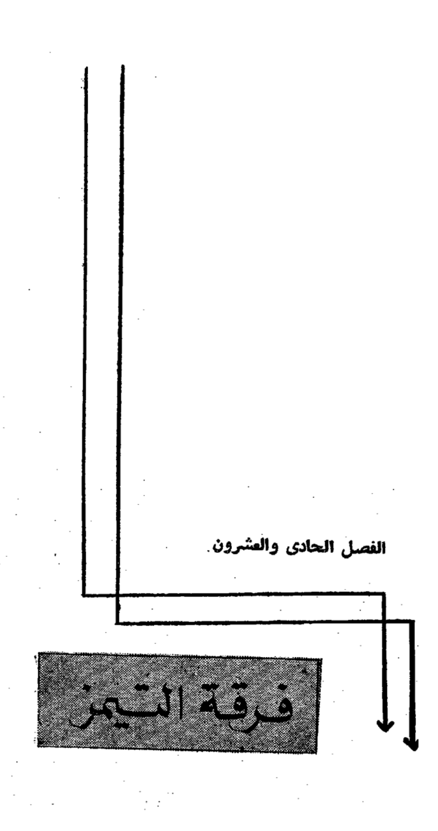
وبعد أن استعيد الحجر لم يبق الا تقرير هل تتخذ الاجراءات لمقاضاة هؤلاء الذين أزاحوه ؟ وفى ١٩ من ابريل أعلن النائب العام سير هارتلى كروس قراره فى مجلس العموم جوابا عن سؤال وجهه مستر هندرسون ستيوارت قال : —

« ان البوليس قام بتحقيق واف أو بالحرى تحقيق فى منتهى الدقة فى هذه المسألة المحزنة وانى أدرس الآن التقرير المقدم عنه وهو يشتمل على أقوال ثلاثة أشخاص من الأربعة الذين يظن أنهم اشتركوا فى ازاحة الحجر من كنيسة وستمنستر وقد اعترف كل منهم بالدور الذى لعبه دون أن يوقع بالآخرين أو يدل على مقر الحجر حينذاك وان انتزاع الحجر بطريقة خفية من كنيسة وستمنستر والطريقة التى اخذ بها والاستهتار الظاهر نحو قداسة الكنيسة كانت أعمال تخريب فاضحة قوبلت بكثير من الحزن والسخط فى انجلترا واسكتلندا وكادت تسىء الى سمعة المختصين فى البلدين ، ومع ذلك فلا أعتقد أن المصلحة العامة تتطلب منى أن آشير باتخاذ الاجراءات القانونية .

ولهذا الموضوع حاشية صغيرة طريفة فقد حضر «ايان هاملتون» الى مركز بوليس كانون رو فى ١٦ من مايو وطلب مقابلة المفتش ماك جراث وهاملتون هذا كان قد انكر مرتين من قبل أن لا صلة له بسرقة الحجر وقال له انه منذ أن قابل المفتش فى اسكتلندا رجع مذكراته اليومية فعرف انه كان فى كنيسة وستمنستر فى صباح يوم عيد الميلاد وانه ساعد فى ازاحة حجر التتويج وانه صاحب الساعة التى وجدت بالكنيسة وانه يود استعادتها .

وذكر له المفتش بأنه اذا كان حقا صاحب الساعة فستعمل اجراءات شكلية معه قبل اعادتها فقال هاملتون انه سيفكر فى الامر وانصرف ولم يعد ثانية .

الفصل الحادى والعشرون



أيام الخيالة الثقيلة ولعبة الملاحين ـ انشاء بوليس نهر التيمز ـ نقص الخسائر فى ألنهر من ٥٠٠٫٠٠٠ جنيه الى ٢٫٠٠٠ جنيه سنويا ـ الأسطول الحديث وعمله ـ البحث عن جثث وعربات وأسلحة ـ تكوين الادميرالية للفرقة .

خلال مدة عملى حكمدارا اعتدت كلما استطعت ان مما فعلت وكنا نطوف من باترسى (١) بارك على قصرى اركب لنشا من لنشات فرقة التيمز ، ومناظر نهر التيمز من اعظم مناظر لندن ، ومما يؤسف له أنى لم أستخدمه أكثر مما فعلت وكنا نطوف من باترسى(١) بارك على قصرى لامبث (٢) ووستمنستر (٣) العظيمين وعلى قناطر واترلو (٤) المدهشة ومن خلفها كنيسة «سنت بول» ودار الجمارك القديمة وبناء البرج (٥) الرمادى حتى نصل الى لندن حيث القوارب تسير فى أثر المد ذهابا وايابا ونواصل السير فنمر بأحواض السفن وهو على ما أظن أجمل مناظر التيمز حيث يواجه النهر مستشفى «رينزجرينوتش» (٦) .

(١) منتزه باترسي أحد منتزهات لندن ومساحته مائتا فدان وبه بحيرة جميلة وحدائق للنباتات الإستوائية .

(٢) قصر لامبث هو مسكن مطارنة كانتربرى على شاطىء نهر التيمز في مواجهة وستمنستر وشرع في بنائه سنة ١٢٢٧ وزيد في مبانيه في القرن الخامس عشر وبه غرف كثيرة جميلة ومكتبة عظيمة .

(٣) قصر وستمنستر هو دار البرلمان .

(٤) قناطر واترلو مقامة على نهر التيمز وقد أقيمت سنة ١٨١٧ .

(٥) برج لندن كان قلعة تاريخية بنيت سنة ١٠٧٨ ــ ١٠٨٠ .

(٦) ملجأ للشيوخ والمرضي من الملاحين ثم اتخذت منذ ١٨٧٣ دارا للكلية الملكية البحرية وهى تطل على نهر التيمز وبدىء في انشائه سنة ١٦٦٧ ثم استؤنف البناء في عهد وليم الثالث والملكة آن وفقا للتصميم الذى وضعه رن .

لقد وصف جون بيرنز(١) التيمز بأنه التاريخ السائل ، ومن المعقول أن يكون بوليس النهر أقدم من بوليس العاصمة بثلاثين عاما • وقد أصبح الآن فرقة منه ومن بوليس نهر التيمز • وهو مدين بنشأته الى باتريك كولكوهون وهو دكتور في القانون اسكتلندى الاصل من سكان دمبارتون وبعد أن شغل منصب عمدة جلاسجو غادرها الى لندن في سنة ١٧٨٩ مع أسرته حيث عين قاضيا في محكمة كوينز ستريت وخصص وقتا طويلا لدراسة الجريمة حيث فشت في لندن في ذلك العهد وكتب عددا من الكتب أبدى فيها رأيه بأن العلاج يكون بانشاء قوة بوليس مدنية منظمة تنظيما جيدا ، ولفت أنظار تجار الهند الغربية في احدى نشراته وكان عنوانها مقالة عن التجارة والبوليس في نهر التيمز ، وكان هؤلاء التجار يقاسون خسائر فادحة من لصوص النهر الذين يتآمرون مع بحارة المراكب •

وأظهرت تحريات كولكوهون أن ما يقرب من نصف البضائع التى تجلب الى نهر التيمز لم تكن لتصل الى متاجر التجار ، ولما فشل التجار في انشاء جمعية لحماية البضائع دعوا كولكوهون لتكوين بوليس نهرى جديد . افتتح مكتبا في وابنج في موقع مركز البوليس الحالى. وبمعاونة كابتن جون هاريوت الذى عين أول قاض للمكتب الجديد لبوليس التيمز ــ قاما بانتخاب وتنظيم قوة لبوليس النهر مؤلفة من بحارة ملاحين واستخدموا المراكب ذات المجاديف الطويلة وكانوا مسلحين ببنادق صغيرة وخناجر ، وسرعان ما هزم هذا البوليس الجديد العصابات المتخصصة في أعمالها تخصيصا كبيرا حتى أطلقت عليها أسماء خرافية .

وكانت « الخيالة الثقيلة » ، وهم من عمال الاحواض يخفون البضائع المسروقة في طيات ملابسهم الفضفاضة على حين كانت الخيالة الخفيفة وهم بحارة على السفن الشراعية التجارية زادوا بوسائلهم غير المشروعة المتنوعة سرقاتهم التقليدية الانيقة من طرود البضاعة ، وكانت عصابات اللصوص الاخرى هى : مثل (١) عصبة مراكبية الصيد (٢) قوارب الصيد (٣) جماعة الرجال ذوى المبادع الطويلة (٤) صيادو المعارك (٥) بلابل الطين .

(١) ولد سنة ١٨٥٨ وكان من زعماء العمال وعضوا في مجلس العموم واستقال من وزارة اسكويث عند نشوب الحرب العالمية الاولى .

وكانوا يفترسون الطرود كل فريق بطريقته .

ان نجاح رجال البوليس الجديد والحاجة اليهم تصورها قصة ضابط بوليس النهر الذى أنيط به مراقبة مركب كانت ستغطى بالنحاس، وكان أصحاب المركب قد أحضروا عشرة أكياس من المسامير النحاسية و ١٦٠٠ لوح من النحاس أيضا ، وقد سبق أن أجريت هذه العملية من قبل واستنفدت هذا المقدار ، ولكن عندما انتهت التغطية فى هذه المرة وجد أن ثلاثة أكياس من المسامير النحاسية و ١١٣ لوحا من النحاس يقدر ثمنها بمبلغ ٤ بنس ، ١٧ شلن ، ٧١ جنيه . لم تستخدم .

ومثل هذا العمل الذى قام به البوليس النهرى ساعد كثيرا على صدور تشريع بيل الخاص بانشاء بوليس العاصمة فى سنة ١٩٢٩ ، وبعد عشر سنوات أصبح لبوليس نهر التيمز فرقة من القوة الجديدة ، ومنذ ذلك الحين وهم يقومون بعمل دوريات ليلية ونهارية مجتازين مسافة يبلغ طولها ستة وثلاثين ميلا ، وتبدأ من دارتفولد الى تدنجون.

ونقصت الخسائر بالنهر أكثر من نصف مليون جنيه فى ١٧٩٧ الى نحو ٢٠٠٠ جنيه سنويا ، منذ نشأتها المتواضعة بقليل من الرجال، فان فرقة التيمز يبلغ مقدارها اليوم نحو مائتين من الرجال بقيادة كبير مراقبين .

فى سنة ١٨٨٥ استبدلت مراكب التجديف القديمة بلنشات بخارية ، وهذه بدورها اسبدلت فى سنة ١٩١٢ بمراكب ذات محركات ، وفى سنة ١٩٤٠ استخدم أول قارب يدار بآلة الديزل ، وخلال الحرب حل محلها أسطول كامل من ثلاثة وثلاثين من هذا الطراز ويضاف اليها ثلاثة لنشات لعمل الدوريات طول كل منها ثلاثون قدما يستخدمها كبير المراقبين وكبير المفتشين .

وكانت هذه فى الاصل لنشات الانقاذ الجوية والبحرية التابعة لسلاح الطيران الملكى الذى أعدها لتلائم أعمال البوليس وتستطيع أن تسير بسرعة أربع وعشرين عقدة .

ومنذ الحرب ادخل التليفون اللاسلكى فى جميع القوارب وأصبحت على اتصال مستمر مع غرفة الاستعلامات باسكتلنديارد ، ويمكن توجيهها بسرعة الى أى مكان فى النهر ، وكذلك فقد جهزت بأجهزة مختلفة من أدوات الجر والانقاذ وأجهزة لقذف الحبال ومصابيح الاشارات

الليلية ويقوم مركز بوليس «وابتج» بأعمال الصيانة واصلاح السفن البوليسية فى ورشة يوجد بها مصنع من أحدث المصانع الخاصة بأعمال الهندسة وبناء السفن وقد أضيف اليه فى سنة ١٩٤٦ حوض عائم .

ويقوم بوليس النهر بواجبات كثيرة علاوة على مايقوم به على نهر التيمز من منع ارتكاب السرقات ، وهو فى كل عام ينقذ من الغرقى نحو خمسين ويدعم ما بين مائة ومائتين من القوارب السابحة فى النهر التى لو تركت وشأنها تصيب غيرها من السفن والمنشآت النهرية بالضرر وتنتشل آلوفا من الاقدام من الخشب ، ويراقب تلك الاجزاء من الشواطىء التى يقصدها الأطفال للعب ، ويزور بانتظام المدارس القريبة من شاطىء النهر ليحذر الاطفال من الاخطار التى يجب عليهم تجنبها على طول شاطىء النهر وليس أدعى لادخال السرور فى نفوس بوليس النهر من معرفتهم انه نتيجة لهذه الاحاديث هبط عدد حوادث الغرقى كثيرا خلال السنوات الاخيرة .

وهم يظهرون كثيرا فى سباق القوارب الذى تشترك فيه الجامعات. ففى احدى السنوات كانت بعض البواخر النهرية التى تتبع السباق وفى مقدمتها ثلاث سفن أثارت رشاش الماء على الاطفال الذين كانوا يملئون جنبات شاطىء بوتنى ،حتى انه اتخذت التدابير لتحديد عدد البواخر النهرية فى المستقبل ، وفى سنة أخرى شكت اوكسفورد من أن «لانش» الحكمدار كان قريبا جدا من زوارقها بحيث يؤثر قربه فى سيرها وأرجو ألا يكون هذا ايعازا للنيل من حكمدار كمبردج ، وعلى أية حال فقد كنت خلف لنشات المحكمين والاذاعة بمسافة بعيدة .

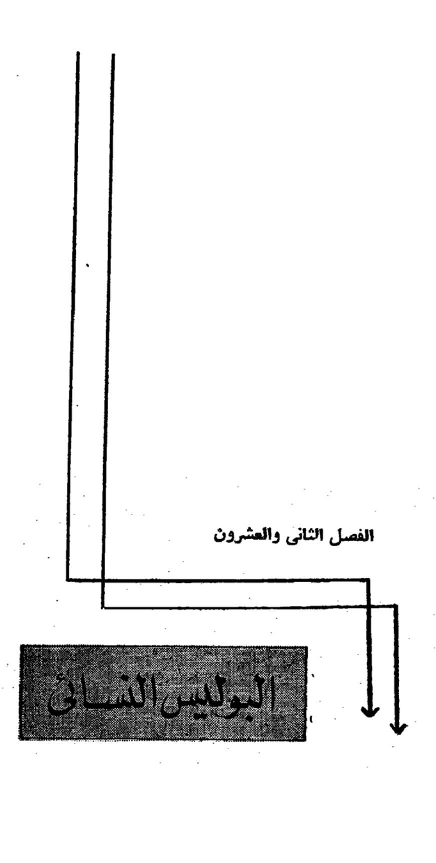
ويلقى بوليس النهر القبض على بعض الناس فى دائرة اختصاصهم، ولكنهم كثيرا ما يطلب اليهم مساعدة البوليس على الشاطىء فى تحقيقات تنتهى بالنهر أو ببعض الحياة الداخلية الاخرى ، واذا ما دعت الحال الى القيام بتفتيش فى مستنقعات أو ترع فكثيرا ما يلقى البوليس النهرى صعوبات فى نقل القوارب الثقيلة والمهمات فوق الارض ، وللتغلب على هذا بنيت سفن ذات قاع مسطح يبلغ طولها ١٤ قدما وثلاث بوصات ، ولها سارية بارتفاع خمسة أقدام وتسع بوصات وهى خفيفة الوزن بحيث يمكن أن يسيرها ثلاثة من الرجال لالحاقها بأية سفينة أخرى لتكون فى خدمتها واذا ما اكتملت شحنتها ورجالها فلا يزيد الفاطس منها على أربع بوصات وأخفقت محاولات عنيفة فى قلبها .

وتتألف مهمات السفينة من جهاز مغناطيسي دائم لانتشال أدوات الحديد او الصلب ، ومن خطاطيف من الصلب لسحب الجثث او الأشياء الموضوعة فى زكائب ، ومن مجسات مائية لمعرفة أماكن وجود الخزائن أو الفضيات وما يشبهها ، ومن جهاز نصفى مزود بمخطاف لرفع الادوات من المياه ومخطافين صفيرين لارساء السفينة وتثبيتها خلال قيامها بالبحث النهرى ، وقد دل هذا القارب الصغير على جزيل فائدته ، وقد أدى القارب فى احدى رحلاته الموفقة الى العثور على سيارة ألقيت فى حفرة مهجورة كان يستخرج منها الحصا وقد تجمع فيها ماء يبلغ عمقه ثمانين قدما ، وارشد الجهاز المغناطيسى آلة رافعة بالقارب الى مقر السيارة فدليت الحبال تحتها ورفعت من الماء بواسطة «ونش». أما صاحب السيارة الذى ابلغ عن سرقتها فيظهر أنه لم يعجبه استرجاع سيارته كما كان منتظرا ، وتبين فيما بعد انه قد دفع اجرا لاخفاء السيارة وأنه طالب بقيمة التأمين عليها فوجهت اليه التهمة وصدر عليه حكم بالحبس تسعة أشهر .

وكذلك كان الجهاز المغناطيسى مفيدا فى النهر فانه على سبيل المثال حينما وجد جندى بولندى قد قتل بالرصاص فوق كوبرى وستمنستر فى سنة ١٩٤٥ بحث بوليس النهر فى قاع النهر عدة أيام بواسطة جهازه المغناطيسى فالتقط أشياء معدنية يتردد وزنها بين ٢ و٣ هندرودويت من بينها بعض الخزائن والصواميل والمسامير ويد ادارة سيارة (مانيفلا) وثلاثة مسدسات ظهر فيما بعد أن احدها هو الذى أطلقت منه الرصاصات القاتلة .

وللبوليس النهرى كالفرق البرية جماعات من الكونستابلات الخاصة تمده بالمساعدة . أغلبهم بحارون أو عمال باليخوت ممن يحبون النهر وقواربه ، وهم يقومون بدورات تفتيش نظامية ، وفى كل عام حوالى عيد الميلاد يخرجون كقوة خاصة للقيام بأعمال الدورية على النهر حتى تتاح لزملائهم النظاميين فرصة تناول عشاء عيد الميلاد فى بيوتهم .

وفى سنة ١٩٥٢ منح حكمداريو الادميرالية جميع قوارب البوليس سلطة وضع شارة البوليس على العلم الازرق الذى هو علم الادميرالية. وهذا اعتراف من قبل السلطات العليا بالدور الذى تلعبه فرقة بوليس نهر التيمز فى تأمين النهر لجميع من لهم أعمال فوق مياهه ، قابله بالغبطة والسرور والفخر رجال بوليس النهر السابقون واللاحقون .


الفصل الثانى والعشرون
البوليس النسائى

منع النساء قانونا من العمل في البوليس لغـاية سنة ١٩١٩ ــ استخدامهن كمساعدات في الحرب العالمية الاولى ــ السـنوات الاولى للقوة الجـديدة ــ تصميم أزياء لهن ــ استخدامهن في ادارة المبـاحث الجنائية ــ التغلب على خصومة الذكور لهن ــ العمل بين النساء والاطفال ــ نوط الشجاعة .

أصبح منظر البوليس النسائي في لندن منظرا مألوفا في السنوات الاخيرة حتى ليصعب القول بأنه منـذ ثلاثين سـنة فقط التحقت أولى كونستبلات النساء بقوات البوليس وقد كن حتى سنة ١٩١٩ ممنوعـات قانونا من الالتحاق به كما كانت الحـال في وظائف كثيرة حـرم عليهن الانخراط فيها بسبب جنسهن فقط ، وفي خلال سـنوات النضـال في سبيل الحصول على حق المرأة في الانتخـاب كان كثيرات من زعيماتهن حينذاك في حرب سافرة مع رجال البوليس وفرضن عليهم واجبات لابد أنها كانت من امقتها لديهم .

ومع ذلك فقد كان للبوليس النسائي رائدة بكرت في الظهور ، اذ انه في سنة ١٩٠٧ ألحقت مس «ماك دجل» بادارة المباحث الجنائية لتسجل اعترافات البنات وتتخذ التدابير للمحافظة عليهن اذا وقعن فريسـات لجرائم جنسية قد تؤدى بهن الى الدعارة ، ومس « ماك دجل » « لم يعترف بأنها من البوليس النسائي ولم يكن لها سلطات البوليس وكانت تعمل وحدها ، وعلى الرغم من توصية احدى اللجان الحكومية في سنة ١٩١٣ بتعيين ضابطات في بوليس جميع المدن الكبيرة ، فقد ظل الرأى العام مرتابا في صواب هذه الفكرة بل بقى معاديا لها .

ان المشاكل الاجتماعية التى خلقتها الحرب العالمية الاولى هي التى أتاحت فرصة للنساء يظهرن فيها قيمتهن ، ومع انهن لم يشـهد لهن بأنهن كونستابلات فقد أدى مئات منهن أعمالا جليلة فتطوعن في أعمال الدوريات ، وفي خدمة البوليس النسـائي تلك الاعمال التى كانت تزاول في مصانع الذخيرة الكبرى ، ومسـاكن الطلبة وفيما يجاورها . وفي سنة

١٩١٧ الف حكمدار البوليس دوريات من مائة امراة واثنى عشر جاويشا للخدمة الاجتماعية فى لندن بين النساء والاطفال وبصدور قانون ازالة قيود عدم الأهلية الناشئة عن الجنس الصادر فى سنة ١٩١٩ رفع الحاجز القانونى الذى كان يحول دون استخدامهن كونستابلات بوليسيات الا أن تدابير «جدس» (١) الاقتصادية التى تلت الحرب كانت ضربة قاضية عليهن وفى سنة ١٩٢٢ هبط عددهن الى عشرين .

وبعد سنتين ارتفع العدد الى خمسين ، وانتهزت الفرصة للافادة من القانون الجديد فعين كونستابلات بوليسيات وأقسمن اليمين على ذلك ، وفى سنة ١٩٣٤ ارتفع عددهن الى ٢٠٠ الا أن عددا أقل من هذا العدد جند عندما نشبت الحرب ، ونجاح النساء فى الجيوش وفى ميادين أخرى كثيرة خلال الحرب قضى على ما كان باقيا من شكوك ، فعقب الحرب فورا اقترحت زيادة قوة البوليس النسائى فى لندن الى ٣٠٠ ، ولقى هذا الاقتراح الموافقة توا من وزير الداخلية ، ومنذ ذلك الحين وعددهن آخذ فى الزيادة حتى أصبح عددهن الآن فى اقسام بوليس العاصمة أكثر من ٤٥٠ امراة بوليسية .

كان من السهل فى سنة ١٩٤٥ زيادة الوظائف المقررة لهن ، ولكن اذا كان علينا أن ننتخب الطراز الصالح من المرأة كان علينا أن نتخطى بعض صعوبات موجودة أولاها : هى الخاصة بالملابس ، فالزى القديم بالخوذة والحذاء العالى كان قبيح المنظر ولم يسترع الا الانتقاد المر ، ولم يكن بالنسبة للنساء ليوفر لهن الراحة لا ليتفق مع طبيعتهن والخدمات المنوعة التى يقوم بها النساء قد ادت خلال الحرب الى خلق زى جذاب فلم يكن عسيرا أن يصمم على نفس خطوط التطور زى للمرأة البوليسية ، وكانت القبعة مثار أشكال اكبر ، فقدمت نماذج متنوعة منها قبعة غريبة تشبه قبعة العسكرى القديمة المدببة ولم تلق قبولا ثم شاهد وزير الداخلية استعراضات للازياء ، وأخيرا اختيرت قبعة على أساس ما ترتديه الكنديات الملحقات بقوة الطيران . واذا أضيف اليها كساء أزرق فسيتألف منهما زى جميل جذاب للنساء وهو ما وقع الاختيار عليه . أما الصعوبة الثانية فكانت ضيق مجال الأعمال التى تخصص للنساء فكن يملن الى قصر اعمالهن على الجرائم الجنسية . ومع ان هذا

---

(١) « سير رايك جدس » تولى وزارة النقل من ١٩١٩ الى ١٩٢١ ورأس لجنة للاقتصاد في المصروفات الحكومية .

العمل كان ضروريا وكان لابد أن يقوم به البوليس النسائى فكانت الحاجة ظاهرة الى وجوب توسيع نطاق عملهن ليتاح لهن مجال للعمل واسع مفيد وانبنى على ذلك ان واجبات البوليس النسائى أخذت تتسع دائرتها منذ الحرب وليس من غير المالوف فى هذه الايام ان تقود احدى نساء البوليس النسائى وحدها رجلا سجينا ، فكم من عميل فظ أدهشه وهو يبدى علامات المقاومة أن يجد كيف شددت امرأة بوليسية قبضتها عليه!.

وزاد فى السنوات الأخيرة زيادة مستمرة عدد النساء البوليسيات المستخدمات فى ادارة المباحث الجنائية فيوجد منهن بها الآن حوالى خمسين وهن ينتخبن كما ينتخب الرجال من الفرع النظامى بعد قضاء سنتين فى الخدمة ، ويعملن تحت ملاحظة احدى كبيرات المفتشات اللاتى يعملن باسكتلنديارد تحت رياسة مساعد حكمدار (الجريمة) ، وهن كزميلاتهن النظاميات يستخدمن فى جميع الفرق فى جميع أنحاء لندن ، ويقمن بأعمال متعددة من أعمال المباحث واذا ارتدين الملابس المدنية أفدن كثيرا فى جميع اعمال الملاحظة المختلفة التى تسند اليهن ، لانهن لما لم يكن عليهن ما يدل على انهن من البوليس يستطعن دخول محال تخالف فيها القوانين الخاصة بلعب القمار أو شرب الخمور ، وبذلك يقدمن شهادات مباشرة لم يكن يمكن بدونهن الحصول عليها .

كانت العلاقة بين البوليس النسائى وزملائهن من الرجال مشكلة فى غاية الأهمية . لأن الرجال كانوا ينظرون اليهن بعين الريبة ، فرجل البوليس كان يرى فيها منافسا له فى سوق العمل يمكن ان يستخدم بسبب قلة أجره لينغص عليه حياته . وأخذ اتحاد البوليس باستمرار يرفض قبول النساء البوليسيات فى عضويته ، وكان هذا الاتجاه يظهر فى الرجال المعينين فى الفرق ومراكز البوليس ، ولم تطل حياة هذا الموقف بعد الحرب لأن ازدياد عددهن جعل من الميسور ان تعين المرأة فى أى مركز مهما كان فى جميع المناطق ، وبهذا ازداد عدد الرجال الذين استطاعوا ان يعرفوا من الاحتكاك الشخصى قيمة الأعمال التى تؤديها المرأة على حين ان النقص فى عدد الرجال الذى تعانيه القوات منذ زمن بعيد كان حافزا على استخدام النساء فى أوسع مجال ممكن ، ونتيجة لهذا اختفت الخصومة القديمة والارتياب ، وقبلت النساء أعضاء فى الاتحاد وفى الجمعية الرياضية · قبلن على أنهن جزء لايتجزأ من قوات البوليس ، ولما عين الاتحاد احدى الجاويشات من بين الاعضاء الذين يمثلونه لمناقشة « سير مالكولم ترسترام ايف » فى سنة ١٩٥١ لتحسين المرتبات فان البوليس النسائى ــ ويمكن أن يقال عنه بحق انه وصل الى ما يبتغيه ، وقد أصبح

وجودهن حقيقة ملموسة ، وانه لمن الصعب ان نفهم كيف استطاعت قوات البوليس أن تعمل بدونهن ذلك الزمن الطويل .

والمرأة المجندة حديثا تقضى الأشهر الثلاثة الاولى من التدريب بجوار الرجال فى « بيل هوس » و « هندون » . وعلى غرار الرجال توضع تحت التجربة للباقى من السنتين الأوليين وتكون خاضعة لنفس لوائح الخدمة ولاحكام التأديب والمعاش ولها نفس المعاملة والسلطات والواجبات ، والاختلافات الوحيدة هى أن راتبها يبلغ نحو ٩٠٪ من راتب الرجل وان ساعات عملها أقل من الرجل عندما تؤدى أعمال الدورية فيكون الزمن سبع ساعات ونصفا بدلا من ثمان ولها أحكام خاصة بالزواج والأمومة .

وعقب الحرب بقليل سحبت القاعدة الخاصة بالاستقالة بسبب الزواج وظل عدد كبير من النساء البوليسيات مستمرات فى الخدمة بعد الزواج ، واذا اتفق ان كان الزوج من رجال البوليس وهو غالبا مايحدث فان تعارض ساعات العمل يمكن أن ينشأ عنه بعض المشاكل فتنظم دوريات العمل كلما تيسر للتغلب على هذه الصعوبة لاننا لا نود أن نخسر بغير موجب خدمات امرأة بوليسية متدربة . والزواج فى الواقع أكبر مايواجه المرأة البوليسية فى حياتها ، ففى سنة ١٩٥٢ فقدنا نحو خمسين منهن بسبب الزواج ومما يبين مقدار ما فى عمل البوليسيات من جاذبية أنه على الرغم من هذه الخسارة لم نجد أية صعوبة فى اختيار نساء على وجه السرعة ليعين فى الأماكن الشاغرة .

ورتبهن هى نفس رتب الرجال :

كونستابل — جاويش — مفتش — كبير مفتشين — مراقب — كبير مراقبين .

وتتردد المرتبات من ٣٩٥ جنيها فى السنة تزاد الى ٤٩٥ جنيها خلال ٢٥ سنة للكونستابل ، والى ٦٦٠ جنيها ترفع الى ٧٠٠ جنيه فى ثلاث سنوات للمفتشين .

عقب الحرب بقليل احيلت « مس بيتو » على المعاش لبلوغها السن وكانت رئيسة على البوليس النسائى منذ ١٩٣٤ وتحت رياستها اجتزن سنوات الشدة قبل الحرب وخلالها بنجاح وخبرة فائقة ، وعلى أساس ما وضعته مس بيتو أقيمت القوة الحالية ، وكان موضوع تعيين خلف لها موضوعا صعبا فبعد أن قمت بمراجعة دقيقة لحالات النساء

الموجودات فعلا فى الخدمة سواء فى لندن او غيرها اقتنعت بأنه للحصول على الطراز الصالح للقيادة يجب على أن أبحث خارج القوة، وبعد أن قابلت عددا من المرشحات من قوات البوليس ومن هيئات التدريس والحرف الاخرى وقع اختيارنا على قائدة السرب « اليزابث بارز » التابعة للسلاح الجوى النسائى .

ومن الأعمال المهمة المنوطة بكبيرة المراقبات تطبيق القانونين الصادرين فى سنتى ١٩٢٣ ، ١٩٣٨ الخاصين بالأطفال والشباب فعليها أن تعد فهرسا مركزيا بالشباب وبخاصة البنات اللاتى اتجهت اليهن انظار البوليس وأن تكون على اتصال وثيق بمحاكم الأحداث وبالضباط المنوط بهم مراقبة الأحداث المفرج عنهم أو المحكوم عليهم مع ايقاف التنفيذ وضباط الأطفال وضباط التعليم وبكثير من المنظمات الأهلية التى تهتم باصلاح الطفل ومنع جرائم الاحداث .

وعليها أيضا أن تنظم مناهج دراسية مدة اسبوعين يدرس فيها لكونستابلات البوليس الحديثات بعد ان يكن قد اكتسبن من الخبرة ما يؤهلهن للانتفاع بهذه الدروس ، والغرض من هذه المناهج أن توسع معلومات الطالبات بالمحاضرات والمناقشات ، عن محاكم الأحداث وايقاف الحكم عن الجريمة الأولى وعن العناية التى تبذل للسجينات بعد الافراج عنهن من السجون ومعاهد بورستال (١) وبزيارتهن سجون النساء ومعاهد بورستال والمدارس المعتمدة يطلعن على نظم المعاملة التى يعامل بها المجرمات بعد صدور الحكم عليهن ويتعرفن ظروف هذه المعاملة .

وأساس عمل المرأة البوليسية هو عمل الدورية بالملابس الرسمية اسوة بالرجال الا أنه تقوم المرأة البوليسية بأعمال الدورية فى الشوارع وعلى وجه الخصوص حول المقاهى والمحال العامة ومراكز اللهو ومحطات السكك الحديدية لأن هذه الأماكن تتيح خير الفرص للاشراف على رعاية النساء والأطفال ، فالبغاء من المشاكل الرئيسية فى هذه المنطقة والبوليس النسائى يلعب دورا مهما فى معالجته فهن لايكتفين بالقاء القبض على المومسات اللاتى يجدنهن يحرضن المارة على الفسق فى الشوارع ، بل

---

(١) بورستال قرية قريبة من شاتام أدخل فيها لاول مرة نظام لاصلاح حال الاحداث من السجناء ثم توسعت الحكومة في هذا النظام وانشأت له مؤسسات ومنظمات في مدن أخرى .

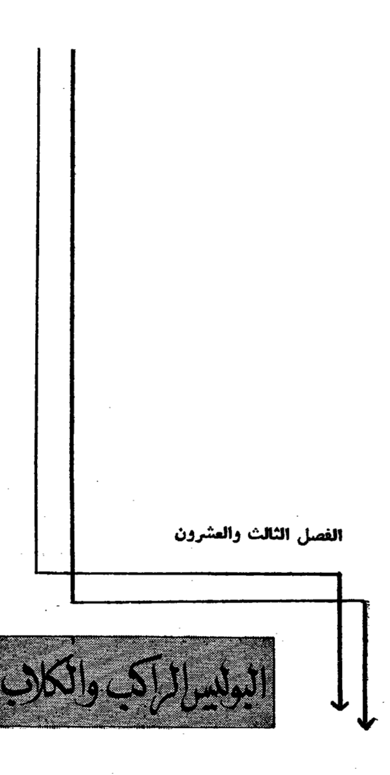
يناط بهن بنوع خاص انقاذ الفتيات اللاتى قدمن الى وست اند من الاقاليم أو من ضواحى لندن ، واصبح الخطر يهددهن بدخول حياة الدعارة .

أما فى الضواحى المتطرفة فتستخدم النساء البوليسيات فى القيام بأعمال الدورية بالمتنزهـــات والأماكن الخالية • حيث يكون وجودهن حائلا دون الرذيلة والاعتداء على النســاء والأطفال • ففى ايست اند (١) ومناطق الحوض يقمن بالدورية فى الشوارع ويهتممن بنوع خاص بالمقاهى والمحال الأخرى التى يتردد عليهـــا البحارة الملونون وهى الأماكن التى تأوى اليها المومسات .

ويحافظن على أن يكن على اتصال بالبنســيونات ومحال النــوم الاضطرادى ليبحثن دائما عن الفتيات اللاتى لا مأوى لهن واللائى يحتجن الى مكان يقضين فيه الليل ، فأمر الدورية هذا اذا اقترن باســتخدام حكيم لفهرس الاحداث الذى تمسكه اسكتلنديارد يكون وسيلة الاهتداء الى كثير من الشبــان والشابات الغائبين والى مد يد المساعدة لهم .

وللنســاء البوليســيات نفس سلطة القــاء القبض المخولة لرجال البوليس وانهن وان كن لا يحملن هراوة ويلجأن عادة الى الاستعانه برجل البوليس لالقاء القبض على أحــد الرجال الا أنهن لايترددن فى العمــل بمفردهن اذا ما اضطررن الى ذلك ، فقد دربن على الدفاع عن النفس ليستطعن العناية بشئونهن • ولن يخلو عمل البوليس من بعض الخطر الا أنهن يتقبلنه ، والأدلة متوافرة فى السنوات الأخيرة على ما يتحلين به من الشجاعة الكبيرة ، والمثل البارز لهذا هو ما وقع من احدى نســاء البوليس وهى الجاويشة (البرتالو) التابعة لادارة المباحث الجنائية عندما تطوعت وارتدت ملابس مدنية لتخدع بها رجلا يراد القبض عليه لاعتدائه عدة مرات على النســاء وسرقته اياهن فى وجهات غير مطروقةفى جنوبى لندن ، فهوجمت وتلقت ضربة من زجاجة على رأسها ولكنها تشبثت بالمعتدى الى أن وصلت اليها المساعدة والقى القبض عليه ،وجزاء لهذا العمل الذى استبسلت فيه منحت أول وســام لبوليس الملك عن أعمال الشجاعة تحرزه امرأة .

(١) ايست اند هو اسم أطلق على ذلك الجزء من لندن الذى يقع فى شرقها وهــو جــزء صناعى عامر بالسفن لتفريغ حمولتها أو شحنها أو اصلاحها أو بنائها .



الفصل الثالث والعشرون

البوليس الراكب والكلاب

فخر الفرع الراكب ـ شراء وتدريب خيول البوليس ـ أعمال الانقاذ فى الفيضانات ـ ادخال نظام الكلاب البوليسية ـ كيف يلقون القبض ـ استخدامهم ضد الأحداث المثيرى الاضطرابات فى الطرق ـ تغيير أساليب معالجة القضايا ـ قضية السلحفاة المسروقة ٠

كانت زوجتى تسير فى احد الأيام قاصدة المنزل وهى تخترق الشوارع الخلفية الهادئة فى وستمنستر حينما شاهدت أحد رجال البوليس الراكب دون أن يلحظها وهو يوقف حصانه تجاه نافذة زجاجية وزجاج النافذة يعكس الصور أشبه بالمرآة ٠ وأخذ أمام هذه المرآة المترجلة يختبر فى هدوء خطو حصانه فتحدثت اليه فقال لها (لا اجد كثيرا فرصة أرى فيها ماذا يفعل الحصان ٠ انى أرقب عادة خطوه عندما أصل الى هذا المكان وهو مكان لا يرتاده أحد) ٠

فهذه القصة تصور لى الزهو الذى يشعر به الفرع الراكب حيال خيولهم والجهد المتواصل لاحراز الكمال حتى انه ليحزن سكان لندن اذا ما اختفى يوما البوليس الراكب من شوارع المدينة .

والفرع الراكب كبوليس النهر مؤسسة أقدم من قوة بوليس العاصمة نفسها ، وهم يرجعون نشأتهم الى الدورية الراكبة فى بوستريت (١) وكانت تتألف من عشرة رجال انشأها كبير القضاة سيرجون فيلدنج سنة ١٧٦٣ ولدواعى الاقتصاد أوقفت بعض الوقت ثم أعيدت سنة١٨٠٥ وبلغ عددها اثنين وسبعين رجلا فكان عملها الطواف (الدورية) فى الطرق الرئيسية الخارجة من لندن الى مسافة ستة عشر ميلا من شارنج كروس وحتى حينما انشئت قوات بوليس العاصمة ظلت مستقلة عنها فترة من الزمن الى أن أدمجت فيها سنة ١٨٣٩ .

ويشترى خيول الفرع الراكب سير (جون نوت بور) الحكمدار الذى خلفنى حينما تكون صغيرة السن ممن يربونها فى يوركشير من

---

(١) به أكبر محاكم لندن البوليسية .

مراعيها ، وتختار الخيول على قدر الامكان موحدة الشكل متينة البنيان لا تقل عن ١٥٫٣ يدا (١) ولا تزيد على ١٦ يدا اذ أنه وجد أن الخيول الضخمة لاتحسن القيام بالمناورات فى شوارع لندن المزدحمة .

وعند وصول فصيلة جديدة من الخيول الى (امبركورت) وهى المركز الرئيسى للفرع . يحتاج مركز التدريب الى عين حكيم مجرب ليكتشف من بينها عددا كبيرا ــ وهى بعد خشنة لم تصقل ولم تنل أى قسط من التدريب ــ ما يصلح منها فى المستقبل لخدمة البوليس ، ولكن العناية وحسن التغذية مقرونة بتدريب محكم يأتى بمعجزة فى خلال شهرين أو ثلاثة ، وهى بجميع الالوان ، ولكن جرت التقاليد على أن يركب الحكمدار حصانا رماديا فى مناسبات الحفلات . وتورتون وهو اسم الحصان الذى أركبه منذ سنوات معروف بقوامه لكثير من اللندنيين ولازال يؤدى واجبه ، وهو الآن فى سن السادسة والعشرين بينما ونستون الكستنائى الذى ركبه كل من الملك جورج السادس والملكة اليزابث فى الاحتفال العسكرى العام فى لندن يحظى بشهرة أوسع لأنه يظهر على وجه العملة الرسمية التى سكت بمناسبة التتويج .

ورجال الفرع الراكب يدخلون قوات البوليس بالطريق المعتاد ويمرون بمعهد التدريب ، ومدة التجربة مثل القوات الراحلة سواء بسواء ، وقد حصل مرة من المرات أن أخذ معظمهم من بين كتائب الجيش الراكبة ، ولكن لما اختفى الحصان من الجيش نضب هذا المورد وعلى هذا يبدأ الضابط العصرى فى الوقت الحاضر بالخيول غير المدربة ولكن بعد أن يقضى ستة أشهر فى (امبركورت) معهد التدريب يكتسب براعة فائقة فى ركوب الخيل تتفق مع المستوى العالى اللازم للفرع ، ويلحق الجدد منهم بعد التمرين بفرقة ويرتدون الزى المقرر للخيالة ويكلفون اللجام وتوابعه للخيل أى أنهم يكونون ضباطا كاملى العدة والتدريب ولكنهم يكونون بغير خيول ، وفى كل فرقة يوجد ستة رجال راكبين أو أكثر ويستطيع أن يركب حديثو التخرج خيول الغائبين بأجازات بالمناوبة وبهذا تكتمل القوة الفعلية المخصصة للشوارع وتتاح للمبتدئين فرصة ركوب ركائب منوعة فى كل أسبوع . وتستغرق الدورية اليومية ثلاث ساعات ونصف ساعة وتقطع نحو ثمانية أميال وقد يعطى أحدهم حصانا فيحتفظ به سنوات وتتوطد الصلات بينهما .

---

(١) اليد تساوى ٤ بوصات فى قياس ارتفاع الخيول .

وعند وصول الحصان الصغير الى (امبركورت) يعهد به لأحد أعضاء الفرقة الذى يعد له برنامجا وافيا للتدريب لمدة ستة أشهر . وبعد أن يكتسب ثقة الحصان يركبه مطلق العنان لبعض الوقت ولا يستخدم الحصان للركوب للمرة الاولى الا بعد أن يألف راكبه ويطبع الصوت ويفهم الاشارة التى يحملها العنان الطويل من اليد والساق . ويتدرب على المشى والخبب والركض والقفز ، ومنذ ذلك الوقت يسير على نظام مرسوم ليجعله يألف بل ويحتقر أى مفاجآت تقدمها اليه شوارع لندن فالأعلام والأصوات المجلجلة ، والسيارات التى تخرج النيران من مؤخرتها ، والأجهزة التى تطلق الدخان والنار ، وشحن وتفريغ العربات ، والأسلحة النارية ، والدمى التى تمثل الزحام كل أولئك يمثل للحصان على التوالى وينبغى أن يتعلم الحصان صعود درجات السلم والهبوط منها ويجتاز الحرائق والمياه ويمر بين صحائف من الورق كبيرة راقصة تحركها الريح وبين دمى تظهر له فجأة من تحت ارجله ومن خلف الاشجار ويقابل الحصان الصغير فى المدرسة جميع مايلقاه فى الشارع بل أكثر منه .

وبعد هذا يعلم اللعب والكرة المدفوعة (١) حتى يعرف كيف يشق طريقه فى الزحام ويتلو ذلك تدريب أكثر على النط . ثم فترة نصب الخيام ثم تمرينات على السيف والرمح والمسدس . وينتهى به الامر بأن يصبح حصانا بوليسيا حسن التدريب يمكن الاعتماد عليه فى كل الظروف وخير جزاء لهذا التدريب هو الثقة الكاملة التى تبدو على حشود الناس فى لندن حينما يعمل حصان البوليس بجوارهم . وهى ثقة فى محلها لأن من الاشياء النادرة جدا أن يسىء حصان البوليس مسلكه .

كنت ذات صباح قد خرجت بالحصان نورتون فى (امبركورت) واذا بنا بمجرد خروجنا من الاسطبل قد اعترضنا على غير انتظار منظر كان يؤخذ لفيلم عن تدريب خيول البوليس فلما اقتربنا من الموقع ساد الهرج والمرج فطارت الاعلام وعلا الصليل وانطلقت طلقات المسدسات وما الى ذلك فتساءلت لحظة كيف يتحمل نورتون هذا المنظر ولكن ما كان يحق لى أن يساورنى الشك أنه لم يلق أى بال لما يحيط به .

وتختلف أوجه الاستفادة من حياة الحصان فهو يؤخذ الى قوة

---

(١) هى لعبة يلعبها فريقان يتألف كل منهما من أحد عشر لاعبا ويدفعون بأيديهم كرة قطرها ست أقدام نحو الهدف .

البوليس فى سن الثالثة او الرابعة او الخامسة ومازال كثير منها يؤدى الخدمة بحالة جيدة بعد عشرين عاما او اكثر وهى تسمى طبقا لنظام الحروف الابجدية وجميع الخيول التى اشتريت فى سنة ١٩٤٦ أعطيت أسماء تبدأ بحرف A علمين على الما ــ انجلا (وهذه هى الفرس الرمادية التى امتطيت صهوتها فى حفلة التتويج) . وفى سنة ١٩٤٧ بدىء فى التسمية بحرف B ــ برنادوت ــ بلنييم وفى سنة ١٩٤٨ بدىءبحرف C ــ كلارا (وهو اسم الفرس السمراء الجميلة الصغيرة التى ربحت الكأس فى معرض الخيول الملكى فى ريتشموند لاختيار أحسن حصان بوليسى مدرب . وهكذا يمكننا فورا أن نعرف من اسم الحصان مدة خدمته .

ورجال البوليس الراكب بعيدون كل البعد عن أن يكونوا مجرد زخرف لقوات البوليس النظامية . وفى سنة ١٩٢٨ عندما فاض نهر التيمز وغمر كثيرا من أجزاء وستمنستر استطاع البوليس الراكب ان يخوض الماء وينقذ الأهالى من طبقات المبانى السفلى المغمورة بالمياه ومن عام مضى قام بعمل انقاذ بهيدبارك (١) استلفت الأنظار فقد كان ولد صغير يركب مهرا مع والده فى شارع (روتن رو) عندما جمح المهر وأخذ يجرى بين السيارات المنطلقة فى (ايست كريج رود) ورآى كونستابل البوليس دورلمان ــ وهو يعمل فى دوريته ــ مايجرى فركض وراءه فلما أدركه مال عليه ونزع جسم الولد من البردعة وبهذا حال بين وقوع حادث ربما كان قاتلا فلما أطريته على هذه الفروسية أجاب فى تواضع (أنه من صميم العمل اليومى) .

ويظهر عمل الحصان البوليسى فى المناسبات التى تجتمع فيها جموع غفيرة فان الفارس المتطى صهوة جواده بما عليه من جلد لامع وأجزاء معدنية تسطع له سلطان على الجمهور قلما يعد له سلطان البوليس الراجل ، وعندما غزت جموع الناس حلبة سباق ومبلى للكأس النهائية سنة ١٩٢٣ استطاع رجل بوليس راكب بمفرده أن يعيد النظام حيث أخفق البوليس الراجل .

وكان أول أثر للندن فى نفسى عندما زرتها وانا صبى فى سنة ١٩٠٣ هو وقع أقدام الخيول فى انتظام على الشوارع المرصوفة بالخشب ،

---

(١) أشهر حدائق لندن العامة وهى تشغل ثلثمائة وتسعين فدانا وفيها بحيرة جميلة مصطنعة تسمى سربنتاين .

والآن لحسن الحظ أخذ الرصف بالخشب طريقه الى الزوال ، وقد طردت السيارات الخيول من لندن ولكن الحصان البوليسى سيبقى وارجو ان يبقى على الدوام مظهرا مفيدا جذابا مما تمتاز به لندن .

وقد شاركه فى العهد الحديث خليف آخر من الحيوان فقد كان من أكثر الاعباء التى واجهت فرقة الانقاذ أثناء الغارات . هو تعرف مكان الاشخاص المدفونين تحت انقاض المنازل والمبانى التى هدمتها القنابل وكانت السرعة ضرورية اذا ما أريد انقاذهم قبل أن يدركهم الموت من الاختناق من ضغط مافوقهم من أنقاض . وقد جربنا تجارب دقيقة بمساعدة ابتكارات كهربائية ولكن فى النهاية أثبتت الكلاب المدربة جيدا انها أكثر جدوى منها فى هذا المضمار . وأخيرا أثبتت الكلاب المدربة فى حماية المطارات ومصانع الطائرات أنها مساعد قيم للديدبانات والحراس .

ومع ما يعلق بذاكرتى من نتائج هذه التجارب فقد تأثرت كثيرا أثناء زيارتى الى المانيا فى يناير سنة ١٩٤٦ ، وفى زيارة تالية الى هولندا بما تفيده هاتان الدولتان من هذه الكلاب البوليسية ولم يسبق قط استخدام الكلاب البوليسية بصفة عامة فى لندن ، ولو أنه قبل الحرب كان يمنح ضباط البوليس علاوة صغيرة تشجيعا لهم على اقتناء كلاب تصحبهم فى دورياتهم الليلية فى المناطق القريبة من الريف ولم تكن هذه الكلاب مدربة تماما وانما كانت مدللة فقط لدى أصحابها .

وبناء على نصيحة لجنة وزارة الداخلية المعينة فى سنة ١٩٣٥ اتخذت الاجراءات لتدريب عدد قليل من الكلاب واختصت بعض قوات المديريات بكلب أو أكثر غالبيتها من لابرادور (١) وعهد الى بوليس العاصمة بتدريب كلبين والحقا بفرقة الجريمة فى جنوبى لندن من منتصف سنة ١٩٣٨ الى أن نشبت الحرب وفى خلالها أصابا بعض النجاح غير أن ضباط البوليس ظلوا فى ريب من قدرهما وعند نشوب الحرب سلما الى كونستابلات شيشير .

وبمناظرة ماسجلته أرقام الجريمة فى سنة ١٩٤٥ والاحتمال الذى يجره العجز فى الرجال الذى ربما يستمر سنوات متعددة قررت اعادة التجربة باستخدام الكلاب البوليسية ثانية ولو أن معظم أقسام البوليس فى العاصمة كان حديث البناء ولم يكن به مبنى يصلح تماما لهذا الغرض

(١) جزء من شرقى كندا واقع على المحيط الاطلسى شمالى جزيرة نيوفوندلاند ويشتغل سكانه عادة بصيد السمك .

وقد بدأنا بداية صغيرة بستة كلاب من النوع اللابرادورى ودربت على العمل فى الضواحى الخارجية وكان كل كلب يعمل مع المدرب المسئول عنه ويعيش معه فى داره .

ومن أول الامر قررنا الا يطلب من الكلاب مهاجمة المجرمين والاقضى على المشروع لو أن أحد الكلاب هاجم أى فرد واصابه اصابة بالغة سواء كان مجرما أو بريئا . والقاء القبض على الافراد يدرب الكلب على امساك المجرم من كمه الايمن ويتعلق به مهما كان الثمن حتى لو استخدمت ضده أسلحة نارية الى أن يأتى صاحبه ويلقى القبض . وفى مدى ست سنوات لم تحدث حوادث اصابات من الكلاب لاحد ما برغم أنه كان مناطا بها مئات من المقبوض عليهم .

وانشىء مؤقتا مركز للتدريب بحظائر فى (امبركورت) ولكنه نقل اخيرا الى مكان لائق فى (وست ويكهام) وهناك تقضى الكلاب الجديدة مع المسئولين عنها ثلاثة أشهر فى التدريب قبل أن تباشر أعمالها البوليسية وتعود بعد فترات لتتلقى تدريبا تذكيريا لأن العمل فى شوارع المدينة المملوءة بالأصوات المضطربة والروائح المنتشرة يؤدى الى بلادة حساسية الكلاب ويدرب الكلب أول مايدرب على الطاعة العمياء لمدربه ويستمر فى اقتفاء الاثر وتفتيش منطقة او مبان بحثا عن شخص أو أدوات مسروقة وضبط أى شخص يحاول الهرب . والصفير ذو الذبذبات العالية تسمعها الكلاب دون الاذن البشرية ولذلك يستطيع المدرب أن يراقب كلبه وهو يلاحظ المشبوهين دون أن يشعروا بأنهم مراقبون ، وكثيرا ما يكون وجود الكلب كافيا لحمل الشخص على تسليم نفسه فى هدوء ولكن سواء سلم نفسه أو لم يسلم فلا يؤثر عن كلب أنه أضاع رجلا عهد به اليه . والكلب بن وهو من كلاب لابرادور اتخذ لنفسه أسلوبا خاصا به فبدلا من ان يعض على كم المجرم وجد أنه لو وقف بين ساقيه وعرقل مشيته لوصل الى نفس النتيجة .

وكانت كلاب لابرادور أول كلاب استخدمت ثم بعد مضى بعض الزمن عملت تجربة لاستخدام كلاب من الالزاس وقد أصبحت هذه الكلاب الأخيرة تكون الأغلبية ، وللكلاب عند بعض الشعوب سمعة سيئة من حيث الاعتماد عليها الا أن تجاربنا لاتؤيد هذا فان قوتها البدنية وسرعة جريها وذكاءها تجعلها صالحة بشكل مدهش للأغراض البوليسية.

وفى الأيام الأولى لهذه التجربة كانت الكلاب [illegible] غالبا فى

مصاحبة الضباط فى دورياتهم فى الضـواحى حيث الأماكن الفسيحة أو المساكن المعزولة فهنا تقوم حواس الكلب الحادة بمساعدة عظيمة وسرعان ماأبلغ عن حالات رأى الكلب فيهـا أشـياء فى الظـلام لم يكن ليستطيع ملاحظتها الضابط لو كان بمفرده . ففى احدى أمسيات شهر نوفمبر فى (متشام كومون) كان أحد الضباط يقوم بعمل الدورية حينما أحس كلبه بوجود شخصين فى الظلام فقاد مدربه اليهما وكان بحوزتهمـا ثـلاث غرارات بها قصاصات معدنية مسروقة من مصنع صهر معادن قريب . فبدون الكلب ربما مر الضابط بجوارهما ولم يشعر بوجودهما وهمـا مختفيان .

وبعد أن بدأت التجربة بقليل اعتدى بعض الناس بدخولهم أراضى قصر بكنجهام (١) وكان من بين المعتدين سـائحان شابان امريكيان كانا يعتزمان المبيت فى هايد بارك فوجداها مزدحمة ازدحاما شديدا فتسلقا أقرب حائط ولم يكونا يدركان انها فى حدائق القصر . وساعدتنا كلاب الدورية على ايجاد حراسة اضافية لاراضى القصر وأراضى دار كلارنس(٢) حيث استطاعت كلاب الدورية القاء القبض على أحد الاشخاص . وأثبتت الكلاب أيضا أن قيمتها ثمينة فى تفتيش منطقة يعتقد أن بعض النـاس مختبىء فيها ، فقد سمع احد رجال البوليس أصواتا غير مألوفة فى أراضى أحد الاديرة وبعد فترة قصيرة وجد (كيم الثانى) وهو كلب الزاسى رجلا فقبض عليـه واتهم بسرقة الواح من المعـدن وزنها أربع هندريتويت (حوالى ١١٢ رطلا) كان قد أخفاها فى أرض الدير .

وقصة (ركس الثالث) تبين قيمة الكلب فى التفتيش فى ناحيـة أخرى تختلف كل الاختلاف فحوالى الساعة ٤ر٣٠ صباح ذات يوم تلقى البوليس اشارة من مصنع صلب كبير بأن ثلاثة أشخاص مشـتبه فيهم شوهدوا وهم يغادرون مكتب المبنى فأوفد الى الموقع كل من تيسر ايفاده من الرجال وبدأوا فى البحث ، ولما كانت المبانى تشغل مساحة كبيرة على شاطىء النهر ، وكان من السهل الوصول الى المبـانى المجـاورة ، فقد استعين بأحد الكلاب فأرسل الكلب ركس الثالث مع مدربه وبدأ فى الحال

---

(١) هو القصر الذى يقيم فيه ملك انجلترا بلندن وقد أنشئ سنة ١٧٠٣ لدوق بكنجهـام ثم تملكه جورج الثالث سنة ١٧٦١ ، وفى سنة ١٩١٣ أعيد بناء الجزء الخارجى منه المواجه لميدان مول .

(٢) دار قريبة من قصر سانت جيمس بلندن شيدت سنة ١٨٢٥ لوليام الرابع حينما كان دوق كلارنس – ويسكنها الآن دوق كونوت .

بحثه وقبيل الساعة السادسة وجد الكلب رجلا مختفيا فى مكان بعيد من المبانى وفى الساعة السابعة والنصف اكتشف الرجلين الآخرين فوق سطح مبانى المنزل المجاور ٠

فى بعض الاحيان يكون الامر قليل الأهمية كما حصل حينمااستدعى البوليس الى احدى الحدائق لمعرفة منشأ وجود أصوات بها فلم يستدل على شيء الا أن أحد الكلاب هداه الى مصدر الصوت وكان أسرة من القنافد .

منذ سنوات قليلة كثرت حوادث نشل الحقائب فى هيدبارك وكان أول تحذير هو صرخة المراة عندما يجرى اللص هاربا ، وحتى لو كان رجل البوليس على بعد يسمع فيه الصرخة فان اللص يكون قد ابتعد مسافة طويلة ، ولكن هذا الامتياز قد أضاعه وصول الكلاب البوليسية ٠ لم تكن السرعة وحدها الامتياز الوحيد فان اللص الناشيء يفزع من وجود كلب كبير وكثيرا ما يرفع يديه للتسليم ويستسلم بمجرد الاقتراب منه ٠

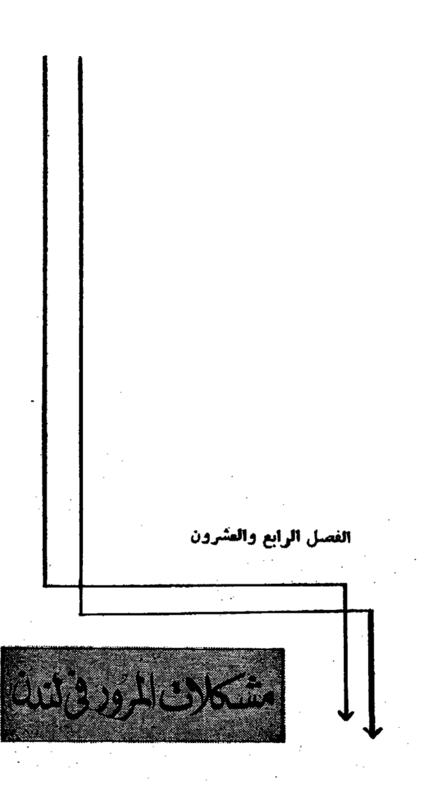
قد أثبت الكلب البوليسى أنه فى ظروف كثيرة قد يكون أنفع من عدد من رجال البوليس ففى أحد الأيام أخذت مجموعة من الشباب يتردد عددهم بين اثنى عشر وعشرة يتسلون بتكسير الكراسى فى هيدبارك وبالقائها فى (السربانتين) (١) فاقترب ضابطان بكلبيهما من هذه العصابة فتفرقت شذر مذر ولو أن رجال البوليس كانوا وحدهم لما استطاعوا أن يفعلوا كثيرا الا أن الكلبين (راجا)و (ايرل) أحاطا بالجماعة كلها وساقاهم فى هدوء كما لو أنهم كانوا قطيعا من الغنم وكان تصرف كلب آخر بالقرب من (ادجوار) أكثر اعجابا فقد رأى مدربه خمسة شبان يتسكعون بالقرب من مجموعة من السيارات المنتظرة وكانوا يعالجون أبوابها ولما اقترب منهم لسؤالهم هرب أربعة منهم غير أن واحدا وقف يبغى الشجار ، و فى الحال هاجمه الكلب وتغلب عليه وبعد ذلك أرسله مدربه يبحث عن الاربعة الآخرين فأحاط بهم وساقهم الليلة ووقف يحرس الخمسة خارج كشك التليفون الذى دخله الضابط ليطلب عربة البوليس لينقل هؤلاء السجناء الى مركز البوليس . لازلنا نتعلم كلما تقدم بنا الوقت ونجد دائما مزايا جديدة فى استخدام الكلاب البوليسية فقددربنا عددا من المدربين والكلاب البوليسية لقوات بوليس المديريات والمستعمرات وأفاد ارسال الكلاب الى الملايو وكينيا فائدة كبرى ، والواقع أن تدريب

(١) البحيرة الصناعية الموجودة في حدائق هايدبارك .

الكلاب على البحث واقتفاء الاثر بدون أن تقاد بمقود جعلها ذات اهمية خاصة ضد الارهابيين الذين يجتمعون بالغابات والاحراش .

ربما كان أهم اكتشاف وقفنا عليه فى التدريب هو ان الفكرة الأصلية من أن يختص الرجل الواحد بكلب واحد كانت فكرة خاطئة . وفى بادىء الأمر كان كل كلب يعلم انه يعمل تحت امرة رجل واحد فقط ، ولكن بتوحيد علامات المدربين والفاظ الامر التى يستعملونها امكن تدريب عدة كلاب تعمل تحت امرة ستة مدربين ، والكلب اللبرادورى هو أحسن الكلاب لهذا الغرض واصلحها لمهمة الحراسة .

وكان كثير من الضباط فى بداية الامر يرتابون فى فائدة الكلاب ، ولكن بعد آن باشرت العمل زاد الطلب عليها بكثرة ، وسرعان ماتحول اليها الجمهور ايضا . وربما كان بدء أكبر قضايانا شهرة هى تلك التى استدعى فيها كلب بناء على توسل امراة عجوز جاءت تبكى وتطلب رد سلحفاتها المفقودة اليها والتى لازمت الاسرة اربعين عاما . ولما شم الكلب رائحتها من تحت صندوقها تتبع آثارها فى الحديقة واجتاز سورها وعبر بعض مساحات مجاورة وسار بجانب شريط السكة الحديدية الى ان وصل الى كومة من العوسج كانت ترقد تحتها السلحفاة المفقودة .



الفصل الرابع والعشرون

مشكلات المرور في لندن

الخسائر فى الأرواح والأموال ــ تنظيم اعمال رجال المرور وفرق الحوادث . التعليم والدعاية ــ دراسة احوال الطرق ــ المسكنات والعلاجات طويلة الأمد ــ الحاجة الى طرق رئيسية جديدة .

بلغ عدد القتلى فى شوارع لندن خلال سنة ١٩٥٢ ــ ٧٥٠ قتيلا وعدد الجرحى ٥٦٧٠٠ شخصا ، وتقدر خسائر تأخير المرور فى لندن بمبلغ ٧٠ مليــون جنيه . وترى الهيئة التنفيذية لأعمال النقل بلندن أنه لو زيد فى سرعة حافلات (أوتوبيس) لندن ميلا واحدا فى الســاعة لعاد بوفر على الهيئة يقدر بمليونى جنيه فى العام .

وهذه الأرقام المدهشة تلخص لنـا عبء المسئولية الثقيلة التى تقع على عاتق بوليس المدينة من جراء الاشراف على ادارة حركة المرور فى لندن وعلى البوليس ان يوفق بين هدفين : منع الحوادث ، واستمرار حركة المرور . وكانت حوادث المرور فى الطرق فى ازدياد مطرد قبل الحرب حتى أنه فى سنة ١٩٣٨ كان عدد القتلى ١١٧٣ وعــدد المصــابين بجروح خطيرة ٥٣١٤ فى لندن وكان هــذان الرقمان أقصى ما وصلت اليه حوادث المرور حتى الآن . وتفحص الادارة الاخصائية باسكتلنديارد الأسباب فى كل عـام على ضــوء تقارير تفصيلية عن الحوادث ترسلها يوميا كل فرقة من فرق البوليس ومن هذا الفحص يتضح جليـا ان مشــكلة منع الحوادث ليست بالأمر الهين كما تبدو ، وأن ليس لها علاج فردى أو عام .

قد يكون من اليسير لوم السائق وهو بلاشك مسئول فى حالات كثيرة ولكن ليس فى كل الحــالات اذ أن الاهمــال وغدم الانتباه الذى يقع من المشاة لايمكن السائق من تجنب

الحادث وفى حالات كثيرة جدا يقع خطأ نتيجة لعدم مهارة السائق أو لعدم يقظته او لاهماله أو لانانيته الظاهرة . وعلى العموم ليست قلة المهارة وحدها هى سبب الحوادث وانما هناك عوامل أخرى هى التى يوجه اليها رجال البوليس عنـــايتهم . وهم عادة يقومون بهذا العمل بواسطة دوريات المرور التى تتألف من ٧٠٠ رجل يســـتخدمون مائة سيارة ومائة وخمسة وأربعين موتوسيكلا .

فى سنة ١٩٤٧ قررت على سبيل التجربة أن اشكل من بعض دوريات المرور ثمانيا وأربعين فرقة للمرور والحوادث وتتألف كل منها من سيارة وموتوسيكلين وتكون على استعداد لاستدعائها فورا باللاسلكى الى اية منطقة تتوقف فيها حركة المرور . وهذا التركيز السريع لضباط المرور المحنكين فى المكان الذى يحتاج اليهم أثبتت فائدته . وعندما يتم تجهيز الموتوسيكلات والسيارات باللاسلكى سيكون المجال لهـذه الفرق أكثر مرونة .

ورجال دوريات المرور هم سائقون غاية فى المهـارة فقد اجتازوا اختبارات عسيرة فى المدرسة البوليسية لقيادة السيارات وتوجه المدرسة انظارهم الى نقطتين هامتين أولاهما أن مهمتهم هى ضـمان اسـتعمال الشوارع استعمالا تاما واشاعة الأمن فيها . والثانية أن النجاح الذى يحرزونه لايقاس بعدد المخالفات التى يضبطونها . ولكن بمدى ماتؤدى اليه اعمالهم من نقص فى الحوادث . وهدفهم أن يضربوا المثل للقيـادة الأمينة المهذبة وليسـاعدوا أو ينصـحوا رواد الطرق ليحذوا حذوهم . وليحذروا بدلا من أن يقاضوا كلما تيسر ذلك . وأخيرا عليهم أن يبلغوا كل مخالفة — للنظر — لأحكام القانون . وقد قل عدد القضـايا التى عرضت على المحاكم قلة يصعب تصديقها ففى سنة ١٩٥١ حذر شفويا أكثر من نصف مليون شخص فى موقع المخالفة . وبلغ عن أكثر من ثمانين الف مخـالفة وعولجت بالانذار الكتابى . ولم توجـه الاتهـامات الا فى ٩٦٦٢٩ قضية فقط .

تثير القاضاة للسرعة الانتقادات فكثيرا ما يقال انه من الخير لرجال البوليس أن يعملوا على منع الجريمة لا على مضايقة سائقى السيارات . الا أن الدوريات لا تهتم بالسرعة الا على الطـرق التى تدل خـرائط الحوادث على أن لها ماضيا عريقا فيها . ولما كانت حوادث الموت فى الطرق لا تقل عن عشرة أمثال الوفيات الناشئة عن القتل العمد فيبدو لى انه مما لايقبل المناقشة أن دوريات المرور تقوم بأهم واجب من واجباتها

الا وهو حماية الأرواح . ومصايد السرعة فى بعض أجزاء الطريق الامينة اصبحت جزءا من التاريخ ولا تستخدم المصايد الآن الا فى دائرة ضيقة جدا . وكثير من العمل تؤديه الدوريات فى سيارة أو على موتوسيكل وهى تستخدم كذلك مقياس سرعة اختبر اختبارا دقيقا .

ومن وقت لآخر تقوم دوريات الموتوسيكلات بأعمال باهرة ومن بين الجهود الطيبة التى بذلتها ما وقع فى (أبسوم دونز) (١) سنة ١٩٥٢ حينما فزع فرس صغير عند بداية الشوط وألقى براكبه وقفز فوق الحواجز وأخذ يجرى فوق التلال متجها نحو (تاتنهام كورنز) وتبعه احد رجال البوليس من راكبى الموتوسيكلات وادركه وأمسك بعنانه واوقفه بعد مطاردة مثيرة للأعصاب على طول طريق مزدحم بالسيارات ومن الاعمال التى تدعو للغبطة والتى تستحق دوريات المرور الشكر من اجلها هو أنه على الرغم من ازدياد حركة المرور فان الحوادث ما زالت اقل من مستواها قبل الحرب فكان عددها سنة ١٩٥٢ أقل بمقدار تسعين حادثة عما كان عليه فى السنة السابقة . والدوريات وهى تعمل فى جميع الأجواء تضطلع بواجب شاق وفى بعض الأحيان محفوف بالخطر فمنذ الحرب قتلت دوريتان من راكبى الموتوسيكلات واصيب كثير غيرهم باصابات خطيرة .

وعمل البوليس وحده لا يمكن ابدا أن يحل مشكلة الحوادث برمتها بل يجب أن يصاحبه نضال ثابت من التعليم والرعاية يشعران مرتادى الطرق بما يحف بهم من الاخطار وبالحاجة الى العناية والأمان فقد قام البوليس فى هذا المجال بدور غاية فى النشاط بتعاونه مع الجمعية الملكية لمنع الحوادث ، فبواسطة المحاضرات فى المدارس والاستعراضات فى المتنزهات وملاعب المدارس حاول البوليس أن يعلم الأجيال المتعاقبة من أطفال لندن مبادىء أمن الطرق واذا كان الاطفال أصبحوا قدوة طيبة لآبائهم فى هذا الشأن فمعظم الفضل يرجع الى عمل البوليس هذا .

حينما فحصت احصاءات الحوادث التى اصيب فيها الاطفال هالنى عدد ما وقع منها عندما كانوا يعبرون الطرق قريبا من مدارسهم . وفى (مدلكس) نجح النظام الذى وضعه المجلس المحلى وهو يقضى بأن تؤلف دوريات من الطلبة الراشدين ليرقبوا مفارق الطرق القريبة من المدارس .

---

(١) وتلال أبسوم المستديرة . وابسوم بلدة فى قرى مشهورة بحلبة السباق وبالمنافع المعدنية التى اكتشفت فيها سنة ١٦٢٨ واليها ينسب الملح الانجليزى .

وحاولت ان اقنع السلطات المحلية الاخرى أن تحـذو حذوهم ولكنهم رفضوا ما عدا قلة مشكورة كما أن بعضها سحب دورياته مخافة أن تعد مسئولة عن الأضرار اذا وقع منها خطأ فى التقدير أدى الى اصابة الاطفال او موتهم .

كان التمـوين المالى ايضا عقبـة كئودا فهل تدفع وزارة التعليم الاعتمادات أم تدفعها وزارة النقل ؟ ولما كانت الهيئات المحلية على أى اعتبار تدفع نصف تكاليف البوليس فى لندن فان الحجج المالية لم تعد فى نظرى ذات اهمية كبرى وأخيرا بعـد ان يئست من الحصـول على الموافقة وكان ينبغى سلامة الاطفال أكثر من الناحية المالية فقد عرضت ان اتعهد بتنظيم وتدريب دوريات لجميع أقسام بوليس العاصمة وتمت الموافقة على هذا وكان عدد دوريات مفارق الطرق المدرسية محددا فى الأصل بألف وخمسين دورية . ولم أجد أية صعوبة فى تجنيد وتدريب هذا العدد فى أشهر قليلة . وسار المشروع فى يسر سيرا حسنا وقد زيد العدد الآن الى ١٤٠٠ ؛ وهذه الدوريات تتألف من رجال ونساء محليين يتعهدون لقاء أجر متواضع أن يحضروا فى مفارق الطرق المدرسية أربع مرات فى اليوم مرتدين معطفا ابيض ويحملون لافتة مكتوبا عليها (بوليس العاصـــمة) وتجعل احدى لوائح وزارة النقل تجـاهل عبور الاطفال الدوريات التى أنقذت بغير شك كثيرا من الارواح جريمة معاقبا عليها .

ولهذا حق على البوليس أن يدرس باستمرار ظروف الطرق التى تؤدى الى وقوع الحوادث فمثلا طريق (فنشلى) كان له سـجل ملىء بالحوادث حتى كسى بناء على طلب البوليس فأصبح انزلاق السـيارات اقل حدوثا وبذا هبط عدد الحوادث هبوطا سريعا ومنذ سنوات قليلة لاحظت أن الجزر الموضوعة فى (هاى رود) فى بلدة توتنهام كانت كثيرة قريبا بعضها من بعض بحيث كانت خطرا على سائقى السيارات ودل فحص الاحصاءات على أن نسبة الحوادث أصبحت ترتفع منذ انشـاء هذه الجزر ولما أعلنا هذه النتيجة خفض عدد الجزر وهبط معه عدد الحوادث مرة أخرى .

وفى الوقت ذاته كان كلما زاد عدد السيارات فى الشوارع أصبحت الشوارع كل يوم كأنها أماكن انتظار للسيارات وكان على قوة البوليس المخفضة أن تستمر فى معالجة مشاكل المرور . ففى سبتمبر سنة١٩٥١ قامت لجنة لندن الاستشارية للمرور بفحص تفصيلى بين أنه فى منطقة تبلغ مساحتها سبعة أميال مربعة فى وسط لندن تضم حى المال تنتظر

نحو ٢٥٠٠٠٠ سيارة فى الشوارع حوالى وقت الظهر ، ثلثا العدد فيها ينتظر أكثر من ساعتين ، أما فى خلال يوم كامل من الساعة ٩٫٣٠ صباحا الى ٥٫٣٠ مساء فان عدد السيارات يقل كثيرا ، وهذا ما يعطى فكرة عن ضخامة المشكلة . ان القانون يعد تعطيل حركة المرور جريمة ويبذل رجال البوليس جهودا متواصلة لتنفيذ القانون الا ان نقص عدد رجاله يجعل من المستحيل ان يعمل أكثر من اختبار شوارع معينة وساعات خاصة يعيرها عنايته ، وكانت النتيجة أن جأر بالشكوى سائقو السيارات من أنهم يؤاخذون اليوم على انتظارهم فى مكان لم يكونوا يؤاخذون على الانتظار فيه فى اليوم السابق . ولما كان القضاة يقدرون ما يلقاه سائقو السيارات من الصعاب فقد كانوا يولونهم عطفهم .

ساعد نظام الشوارع ذات الاتجاه الواحد على سهولة سير حركة المرور وكذلك العمل بقاعدة عدم الانتظار التى طبقت فى اول الامر فى بعض شوارع وسط لندن فى يونيو سنة ١٩٤٧ والتى ميزت بشريط أصفر ثم عممت فى الضواحى فى نوفمبر سنة ١٩٤٨ ، ودلت المعاينة بالطائرات قبل تقرير هذه القاعدة وبعدها على أن حركة المرور فى الشرايين الرئيسية تحسنت بمقدار (العشر) غير أن نقص عدد رجال البوليس جعل من المستحيل تنفيذ القانون تنفيذا منتظما وبذا تشيع الفائدة بالتدريج .

ابتدأ نظام الانتظار على جانب واحد فى قليل من الشوارع المختارة منذ وقت قريب وكان هذا النظام مرعيا منذ زمن طويل فى كثير من مدن الاقاليم ولذا فقد الححت على اتباعه فى لندن منذ سنة ١٩٤٧ الا أن معارضة السلطات المحلية أو اصحاب المتاجر اخرت تنفيذه . وبناء على طلبى العاجل طبق النظام فى نفس الساعات التى تسرى فيها قيود عدم الانتظار لأن اختلاف الساعات يؤدى الى ارتباك سائقى السيارات ويزيد التنفيذ صعوبة . ولا أمل فى تغيير كثير من الشوارع الضيقة فى وسط لندن ، ومن غير المعقول ان تترك لتسدها صفوف من السيارات المنتظرة على الجانبين . واعتراضات اصحاب المتاجر اعتراضات مفهومة ومن الممكن تحقيق مطالبهم بمنحهم شيئا من التراخى المعقول بحيث يسمح للعربات أن تشحن أو تفرغ شحنتها ولا يحتمل أن يخسر التاجر عملاءه بسبب قاعدة الانتظار فى أحد الجانبين أكثر مما يخسر بسبب سد الشارع من الجانبين ومن الوسط بالسيارات التى يسمح لها بالوقوف والتحرك كما تشاء .

فاذا استفيد من مثل مشروعات المرور فى اتجاه واحد وعدم الانتظار كل ما يمكن من فائدة فان مشكلة الخمسة والعشرين ألف عربة الواقفة فى الشوارع ستظل قائمة . اذ أن ايجاد أماكن لانتظار السيارات فى المبانى الجديدة أو تحتها لا يرجح أن يؤتى ثماره قبل عدة سنوات لذلك يجب البحث عن أماكن أخرى . وايجاد أماكن للانتظار بمستوى الارض سيكون مرتفع التكاليف جدا فى وسط لندن بحيث لا يمكن تنفيذه حتى لو وجدت أماكن خالية وربما أمكن الحصول على بعض المساحات فوق الحدائق الملكية أو تحتها دون الاضرار اضرارا خطيرا بمزاياها غير أنه توجد صعوبات لدخول السيارة وزيادة التكاليف فى الاماكن التى يشتد فيها الطلب على توفير مكان للانتظار فيها .

وعلى ذلك لا يبقى أمامنا الا فكرة انشاء حظائر (جراجات) تحت الارض تنشأ تحت الميادين والاماكن الخالية واقامة حظائر ذات أدوار متعددة يكون بعضها فوق الارض وبعضها تحت الارض وقد استبعد من البحث كثير من الميادين والمساحات الخالية لأنها اما أن تكون صغيرة المساحة أو ذات شكل غير مناسب أو بسبب وجود المجارى أو السكك الحديدية التى تمر تحت الارض أو غيرها من العوائق أو بسبب أن المنطقة لا تستدعى حركة المرور فيها حلا عاجلا لمشكلتها . وألفت لهذا الغرض لجنة فى وزارة النقل اختارت ــ بعد بحث مشاكل المرور ــ تسعة ميادين فى لندن . يمكن أن تنشأ تحتها حظائر تسع ٣٫٥٤٠ سيارة بتكاليف اجمالية قدرها ٣٫٠٣٠٫٠٠٠ جنيه ودل بحث مماثل فى اقامة حظائر فوق الارض على أن تكاليف ايواء ٧٫٢٥٠ سيارة تبلغ ٨٫٦٦٠٫٠٠٠ جنيه ويوجد الآن نحو ٢٥٠٠٠ عربة وهو عدد قابل للزيادة فورا اذا طرأ أى تخفيض على ضريبة البنزين أو أسعار السيارات .

والحق أن شوارعنا لم تساير النمو الهائل لحركة المرور التى تضاعف خلال العشرين سنة الماضية واذا استثنينا كنجز واى (١) فان شوارع لندن لم يتناولها أى تحسين جوهرى منذ أكثر من خمسين سنة وأن الاثر الذى ينشأ حتى عن التحسينات الصغيرة قد ظهر فى سنة ١٩٥١ وهى سنة احتفالات بريطانيا حينما أنشئت بناء على طلباتى من ميادين دائرية جنوبى قنطرتى واترلو (٢) ووستمنستر (٣)

(١) شارع فى لندن يصل هولبورن بالدوين وستراند أو الساحل وهى أسماء شوارع أخرى مهمة .

(٢) قنطرة واترلو قنطرة مقامة على نهر التيمس بين دارى البرلمان وردهة مقاطعة لندن.

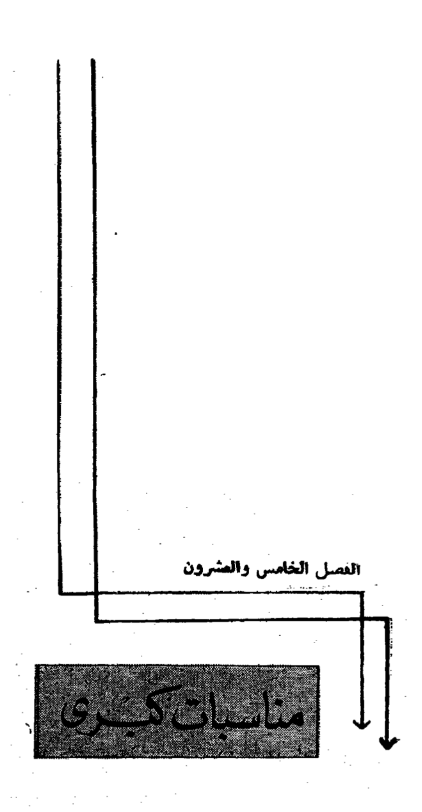
(٣) قنطرة وستمنستر مقامة أيضا على التيمس بين دارى البرلمان وردهة مقاطعة لندن .

واعيد انشاء ميدان البرلمان (١) وتوسيعه ، وفى اثناء الاحتفالات امكن تجنب ما كنا نخشاه من توقف حركة المرور حول موقع الشاطىء الجنوبى . ومنذ ذلك الحين وسير حركة المرور فى هذه الاماكن الثلاثة قد تحسن كثيرا .

نحن فى حاجة الى طرق جديدة تسمح للسيارات بالاتجاه شرقا وغربا أو شمالا وجنوبا مخترقة وسط لندن دون أن تسد الشرايين الرئيسية وقد وضع لذلك خطط مختلفة وفحصت وقسمت ولا فائدة من أن نعيد فحصها مرة أخرى هنا . وليس مانحن فى حاجة اليه هو ابداء الآراء بل هو تنفيذ الآراء وليس من شك فى أن النفقات مهما بلغت فسيعوضها كثيرا مايترتب عليها من اقتصاد فى الوقت فى كل ناحية من نواحى الحياة فى لندن وما لم تتبع هذه الطريقة فسيزحف الشلل الى الاطراف وسينتهى حتما الى خطر مميت .

---

(١) ميدان البرلمان ميدان جميل مجاور لدارى البرلمان وكنيسة وستمنستر بلندن .



الفصل الخامس والعشرون

مناسبات كبرى

: أول ظهورى ممتطيا صهوة (تورتون) ـ اعداد العدة للتتويج ـ كبح جماح الجماهير ـ تزويد الطريق برجال البوليس ـ المواصلات ـ الترتيبات فى كنيسة وستمنستر ـ التجارب المكتسبة من يوم التتويج ـ زحف السيارات ـ الحشود المدهشة فى لندن ـ الكلمة الختامية .

كانت أول مرة اظهر فيها ممتطيا جوادى كحكمدار عند الافتتاح الرسمى للبرلمان سنة ١٩٤٥ ، وكان ايضا يوم الاحتفال بالنصر . وفى خلال الشهرين اللذين قضيتهما فى اسكتلنديارد كانت أعمالى من الكثرة بحيث لم أستطع ان اهتم بالتدريب على ركوب الخيل وقد شعرت بالوحدة المطلقة وأنا أمتطى صهوة جوادى وأخرج به الى هويتهول(١) لعمل التفتيش الراكب لاول مرة والوف العيون ترمقنى . الا أن تورتون الذى حملنى فى فرص كثيرة عظيمة مثل هذه الفرصة تصرف تصرف الرجل المهذب ، وبينما نحن نعود بين الجموع المحتشدة كالنحل بعد عودة الملك الى قصر بكنجهام شعرت بأن الجزء الاكبر من المهمة قد انتهى وأنه لا يمكن أن يكون أسوأ مما كان .

منذ ذلك الحين جرت بعض زيارات ملكية لكنيسة (سانت بول) (٢) والجليد هول (٣) وزيارات من بعض الاجانب من الملوك ورؤساء الحكومات وزواج الاميرة اليزابث والامير فيليب وجنازة الملك جورج السادس واخيرا

---

(١) اسم شارع في لندن يوصل بين تشيرنج كروس ووستمنستر وبه وزارة الحربية وبعض مبان حكومية أخرى .

(٢) كان حاخاما يهوديا ثم تنصر وقتل في روما سنة ٦٣ .

(٣) دار بلدية لندن وبنيت أولا في القرن الخامس عشر ثم أعيد بناؤها بسنتى ١٧٨٩ و ١٨٦٤ وبها دار عامة للكتب وقاعة للمطالعة .

موكب تتويج الملكة اليزابث الثانية وكنت فى هذه المناسبات امتطى حصانى مع فرقة المناسبات العظيمة التابعة لمركز بوليس لندن امام عربة التشريفة مباشرة . والحوادث التى من هذا القبيل تتطلب استعدادا طويلا ومفصلا اكتسب فيها بوليس العاصمة خبرة تزيد على أكثر من قرن من الزمان . ويضطلع بهذا العمل ادارتان ادارة مساعد حكمدار فرقة (أ) المنوط به جميع أعمال البوليس المنتدب للعمل والمسئول عن حفظ الطريق . والادارة الاخرى ادارة مساعد حكمدار فرقة (ب) وهى مسئولة عن تنظيم حركة المرور بحيث لا يقع الا اقل تدخل ممكن فى حياة سكان مدينة لندن اليومية .

بدا الاستعداد لاحتفال التتويج قبل حدوثه بسنة وانى لأذكر تماما أول اجتماع للجنة التتويج فى غرفة باردة كالثلج بقصر سانت جيمس وكان رئيس اللجنة هو ايرل مارشال دوق نورفولك وقد عرضت مسألة لم يستطع أحد منا أن يتخذ فيها قرارا وحينذاك قال الايرل مارشال فى جفاء اظن أنه يجدر بى أن أتحمل التبعة واذا طردت فسيغنينى هذا الطرد عن كثير من المتاعب .

مرت بنا جميعا ظروف شعرنا فيها بمثل هذه الظروف خلال الاثنى عشر شهرا الثانية . فأول كل شىء طلب الى ميجور (مارجستون) مساعد حكمدار فرقة (ا) والى رجاله أن يبينوا مزايا ومضار الطريق المحتمل أن يخترقها الموكب وبعد ما تقرر هذا عملت معاينة تفصيلية للشوارع التى يخترقها .

كانت تعمل تجارب للموكب الملكى فى الصباح المبكر لأيام الأحد حينما تنعدم حركة المرور وذلك لقياس الزمن الذى تستغرقه الرحلة ولمعرفة زوايا الشوارع او الجزر الموجودة فيها والتى تحتاج الى تغيير او ازالة ، تسهيلا لمرور الجنود والسيارة الملكية ، ودلت تجارب الماضى على أنه فى بعض الاماكن وعلى وجه الخصوص الاماكن التى بها انحدار خفيف يدفع ضغط جموع الناس النظارة الى البروز فى الطريق على الرغم من جهود قوات الجيش والبوليس فى حفظ الصفوف ، وفى جنازة الملك جورج الخامس كادت أن توقف الجموع — فى هيد بارك كورنر وفى ماربل ارش — الموكب ايقافا تاما . ولما كان الميجور مارجستون يلخص لضباطه ملحوظاته على الترتيبات الخاصة بجنازة الملك جورج السادس عرض عليهم صورا فوتوغرافية توضح بروز الصف فى هذه النقطة وقد

حذرهم بقوله أنه يجب الا يحصل هذا الامر مرة ثانية فحلت المسألة بالاستعانة بأنابيب من الصلب تبلغ اطوالها عدة أميال استخدمت حاجزا مع الفين من قوات بوليس المديريات ودلت الصور الفوتوغرافية التى اخذت فى نفس هذه الاماكن يوم تشييع جنازة الملك جورج السادس على أن ترتيبات البوليس كللت بالنجاح ٠

ولما كانت الادارة (١) مازالت تذكر هذه التجربة فقد فحصت جميع طريق التتويج وفى كل زاوية نقطة اخرى من نقط الخطر اقيمت حلقات خلال الشتاء توضع فيها قضبان الحواجز يوم التتويج كما وضعت حلقات اخرى بشكل يبيح فتح ممرات بين الجموع يستطيع أن يعبرها الناس حتى آخر دقيقة وكانت جملة قضبان الانابيب المعدنية التى نصبت تبلغ سبعة أميال واتخذ تدبير وقائى آخر هو اقامة ثمانية وستين حاجزا خشبيا ذات أبواب ارتفاع كل منها تسع أقدام على الشوارع المؤدية الى الطريق حتى اذا ما امتلأ قسم من الاقسام وهدد النظارة بالخطر منع عنه أية زيادة اخرى من النظارة ، ولنفس هذا الفرض عملت ترتيبات لمحطة السكك الحديدية تحت الأرض وهى المحطات التى تقع على الطريق بحيث تغلق بناء على طلب أحد كبار ضباط البوليس ــ اذا استلزمت حالة تكدس الناس هذا التدبير ٠

وبعد أن أعدت العدة لهذه الحواجز المادية أصبح واجبا على الادارة (١) أن تدرس خير الترتيبات لتزويد الطريق بالبوليس ٠ وقوتنا الهزيلة لا يتيسر أن يؤخذ منها العدد الكافى من الرجال للطريق كله وكان لابد من الاستعانة بغيرها ٠ وكان أول مدد وصل الينا من فرقة الكونستابلات الخصوصيين بالعاصمة وهى وان كانت لا تضم أكثر من ٣٠٠٠ رجل ، فقد ساهمت بألف وخمسمائة منهم فى يوم التتويج وبعدة مئات من الأيام التالية ، ثم لبى الدعوة كما هى العادة حكمدار بوليس مدينة لندن واعارنا مئات من رجاله مع ذلك فقد ظلت هذه القوات اقل من الكفاية فاتخذت تدابير الاستعارة خمسة آلاف رجل من قوات الاقاليم والمقاطعات وكانت كل قوة ممثلة على وجه التقريب بالنسبة لحجمها وكان رجال كل قسم من أقسام البوليس الثمانية فى انجلترا وويلز تحت امرة احد كبار ضباط المركز وكان هو حلقة الاتصال ببوليس العاصمة كذلك لجأنا الى مساعدة البوليس الحربى والبوليس البحرى وقوة الدفاع المدنى بلندن وفضلا عما تقدم فقد صف نحو ٢٫٥٠٠ رجل من البحرية والجيش والطيران على طول الطريق فكانت الجملة الختامية هى ١٦٫٠٠٠

رجل من رجال البوليس و ٢٫٢٠٠ من الكونستابلات الخصوصيين مصطفين على طول الطريق يوم التتويج .

وبمجرد أن عرف عدد رجال البوليس الذين يستعان بهم أخذت الادارة (١) فى اصدار امر عمليات مفصل بين الاعمال المسندة اليهم فكان على بعضهم المحافظة على الصفوف ومنع المرور من الشوارع الجانبية أو فتح الكردونات وكان بعضهم يحافظ على النظام خلف الصفوف ويمنع الناس من تساق المبانى الخطرة وهكذا . وفى كل قطاع كان يوجد عدد من الرجال على سبيل الاحتياط على مقربة منه لتعزيز القوة اذا دعت الحال ثم احتجز احتياطى عام وضع تحت تصرف مساعد الحكمدار — ووزع هذا الاحتياطى على خمس نقط على طول الطريق .

لأول مرة نيط بالبوليس النسائى مسئولية عن قطاع كامل وخصص له ساحل فكتوريا حيث يتجمع أكثر من ثلاثين ألف طفل من أطفال المدارس لمشاهدة الموكب وقد قسمت قوة البوليس الراكب الى أقسام صغيرة وزعت على مختلف القطاعات وقبيل بدء الموكب بالتحرك سارت فرقة من البوليس الراكب فى الطريق على استعداد لتترك بعض رجالها فى أى وضع يحتاج الى مساعدة وكان ضباط ادارة المباحث الجنائية يرتدون ملابس مدنية ويجوسون خلف الجموع وبينها لمكافحة الجريمة ومراقبة الاشخاص الخطرين .

وفى عمل ضخم من هذا القبيل يكون من الضرورى ايجاد مواصلات حسنة ولذا اعدت ست عشرة عربة بوليس وسيارة مزودة بأجهزة لاسلكية للاذاعة والاستقبال ، واثنان وثلاثون موتوسيكلا . بعضها مزود بأجهزة لمخاطبة الجماهير وبعضها بأجهزة للراديو وقد خصص لها مواقع متباعدة على طول الطريق وعلى اتصال بخمس محطات لاسلكية ثابتة وخارج منطقة الاحتفال وضع عدد من سيارات اللاسلكى فى أماكن مختارة لمراقبة حركة المرور ومعالجة المشاكل الناتجة عن توقف تلك الحركة أثناء مرور الموكب وبعد انتهائه .

وكانت مشاكل المرور فى اختصاص مستر هنرى دالتون مساعد حكمدار فرقة (ب) وكان أول واجب لفرقته تعيين الشوارع التى يجب منع المرور فيها والشوارع التى تحول اليها الحركة نتيجة اغلاق الشوارع الاولى والشوارع التى تخصص مؤقتا للمرور ذى الاتجاه الواحد ، أما التغييرات فى الطريق ومواقف الحافلات (الاتوبيسات) فكانت موضع

بحث لجنة النقل فى لندن واتخذت فيها قرارات وكان من المقرر اخراج السيارات من المنطقة المتوسطة خلال أسبوع التتويج .

بقيت مشكلة واحدة أخرى حذرتنا منها التجارب السابقة هى مشكلة وصول وانصراف سبعة آلاف شخص يشهدون احتفال التتويج فى كنيسة وستمنستر ففى حفلة تتويج الملك جورج السادس سنة ١٩٣٧ كان وصول النظارة بحسب ترتيب موضوع أما انصرافهم فلم يكن كذلك اذ كان من المستحيل جلب العدد الهائل من السيارات الى مخارج الكنيسة وادى هذا الى وقوع كثير من التأخير فقد نفد صبر المدعوين ورفضوا انتظار دورهم وأخيرا زاد الطين بلة هطول الامطار باستمرار فشوهد النبلاء والنبيلات فى أزيائهم وهم يخوضون فى المياه يبحثون عبثا عن سياراتهم ومنهم كثير لم يستطع أن ينصرف الا بعد أن تقدم الليل ، وبعد أن قضوا اكثر من اثنتى عشرة ساعة فى الكنيسة. فاعتزمت فى هذه المناسبة أن اتصرف تصرفا أحسن وأتاح لنا زواج حضرة صاحبة الجلالة وكانت حينذاك الاميرة اليزابيث فرصة اختيار أساليبنا الجديدة فباستخدام المواصلات اللاسلكية واتباع نظام اللافتات أمكن استدعاء السيارات كلما طلبها أصحابها ، وكانت النتائج باعثة على الرضا واستطاع المدعوون أن ينصرفوا بعد عشرين دقيقة من نهاية الاحتفال وقد اقترحت بمناسبة التتويج أن تتبع نفس الخطة وكانت تقضى بأن يسمح للمدعوين أن يتفرقوا مشاة فى طرق مسقوفة الى قصر وستمنستر ومبان أخرى قريبة من الكنيسة كان يسهل وصول السيارات اليها وحيث كانوا يستطيعون الحصول على بعض الغذاء والمرطبات أثناء فترة الانتظار .

وعلى الرغم من المطر يوم التتويج فقد نجحت الفكرة وأخذت الاربعة آلاف سيارة التى تنقل المدعوين الى الكنيسة تسير بانتظام فى الطريق المرسوم حتى كانت الساعة الثامنة وعشر دقائق صباحا واذا الجميع داخل الكنيسة ونجحت كذلك التدابير التى اتخذت للانصراف فبعد الساعة الخامسة بقليل نودى على آخر سيارة وانصرف كل المدعوين . على انى أعتقد أن سيارة واحدة لم تحضر حينما نودى عليها بسبب أن سائقها كان يحتفل بالمناسبة احتفالا وطنيا . واستطاع رجال البوليس أن يواجهوا الموقف فأرسل رجل بوليس بموتوسيكل بسرعة كبيرة الى شارعى هويتهول واستراند ليستحضر سيارة أجرة فوجد

واحدا خارج فندق (سافوى) (١) وخاطب السائق بخير تقاليد قصص البوليس السرى بقوله (اتبعنى) فاقتيد سائق التاكسى بين الجموع الى الكنيسة ، واقل الضيف المنتظر الى حيث يشاء دون أن يلقى عناء بغير مبرر .

وفى الليلة السابقة على التتويج سرت فى جزء من الطريق ووجدت حوالى الساعة الحادية عشرة مساء والمطر يهطل والجموع الصابرة فى امكنتها تبدو عليهم الحماسة والمسلك الطيب والقدرة على العناية بشئونهم كدأبهم من قبل ، وكانوا يعنون بكل من يسقط مريضا . واذا حلت الفرصة المناسبة قدموا الاطفال الى الامام حتى يستطيع أصغرهم أن يشاهد الموكب ولم تقع جريمة ما يوم التتويج وحينما حضر البوليس فى الساعة الخامسة والنصف صباحا ليصطف على الطريق حياه جمهور لندن .

اما عن اليوم نفسه فلدى ذكريات كثيرة ، كان الهتاف الذى قوبل به الموكب حينما اتجهنا من شارع (نورثمبرلند) الى امبانكمنت (٢) يصم الآذان فان ثلاثين الفا من اطفال المدارس يظهر انهم كانوا يتبارون فى أيهم يكون أعلى هتافا . وكأن قد أقيمت مأدبة غذاء بالشمبانيا فى احدى خيام الميدان الكبيرة دعى اليها بعض الضباط اركان الحرب ممن يحملون الصولجانات الذهبية وبعض المدعوين الآخرين . ولما لم يحضر احد فقد تمتعت بالوليمة وحدى . وفى طريق عودتنا كانت عربة قواد الاسطول الجوى ثقيلة وهى تصعد شارع (سانت جيمس) واضطر أن يغادرها ركابها وكانت النتيجة اننا مررنا بأربعة قواد جويين يملؤهم الأسى وهم يجاهدون فى اجتياز الطريق المرتفع على اقدامهم وتعطلت عربة رئيس الوزراء فى شارع (كوكسبير) ولم تستطع مواصلة السير . وفى ماربل آرش كانت فرقة المناسبات الكبيرة بمركز بوليس لندن وانا أمام السيارة الملكية راسا فأدركنا فرقة موسيقية عسكرية كانت تعزف قبل الأوان نشيد حفظ الله الملكة وكانت تعزف المقطوعات الاخيرة حيث كان يجب عليها أن تبدأ فما كان من فرقة المناسبات وقد عيل صبرها ألا أن صاحت فى غير احترام للنشيد الوطنى · أعيدوا هذا العزف من جديد ثم سار كل شىء على ما يرام .

---

(١) وهو فندق يقابل شارع ستراند ويطل على ساحل فيكتوريا وقد افتتح فى سنة ١٨٨٦ .

(٢) ويقصد به جسر فيكتوريا وهو طريق جميل عريض بمحاذاة الجانب الشمالى من نهر التيمس .

وقد مر بالبوليس يوم طويل متعب لم ينته بعودة الموكب لان ألوف الناس تجمعت في المساء في قصر بكنجهام (والمول (١)) أو على جسر فكتوريا ليشاهدوا الالعاب النارية من الشاطيء الجنوبي وقد حافظ رجال البوليس من أول اليوم على ضبط النفس مع ابداء روح المساعدة سواء كانوا من لندن أو من الاقاليم . وصاحبة الجلالة في اظهار تقديرها لما قاموا به من اعمال انما كانت تعبر عن رأى كل شخص كان في لندن في ذلك اليوم وقد علق زائر امريكي على حالة البوليس بقوله (كان رجال البوليس أقرب ما يكونون الى قادة اوركسترا حسنة التدريب. منهم بضباط حركة المرور) وما كنت أعرف من قبل أن رقابة حركة المرور يمكن أن تكون كاملة وبدون ألم .

ووصلت الى رواية أخرى من سائق عربة الملكة المحبوبة من الجماهير (سالوت) ملكة تونجا (٢) ففي طريقها الى الكنيسة — حينما أوقفوا في مول — لاحظ السائق أن احدى قطعتي الجلد اللتين توضع بين العربة والحصان قطعت فكان يخشى بطبيعة الحال من أن ضياع ثانية واحدة من الزمن قد يجعله غير مستطيع أن يتم الرحلة . ومع ذلك فقد عزى نفسه بأن الجلدة المقطوعة جلدة داخلية وكان يأمل الا يقع ما يؤسف له . ولما أوقف مرة أخرى في ميدان ترافلجار سأله أحد ضباط البوليس لماذا يبدو عليه انشغال الفكر فبثه شكايته وحينئذ سأله المفتش . هل تصلح لك قطعة من السلاسل ؟ فأجاب السائق ومن أين لك في هذا الوقت وفي ميدان ترافلجار أن تحصل على السلسلة ؟ قال هذا وهو يتلفت حوله نحو الالوف المؤلفة من الناس الذين يملئون الميدان .

نزل المفتش من فوق الحصان ونزع سلسلة العنان من حصانه وثبتها في عريش العربة واستطاعت بذلك أن تتم رحلتها الى الكنيسة دون حادث جديد واستطاعت الجموع أن تتمتع بمنظر هذه السيدة السمحة الجليلة وهي تتحدى المطر في عربتها التي رفضت في اصرار أن تغلقها .

وحتى يوم التتويج لم يكن يجر معه آخر مهمة شاقة للبوليس لأن

---

(١) وهو شارع ذو اشجار على جانبيه بين تشيرنج كروس وقصر بكنجهام وكان في عهد تشارلس الثاني ملعب للكرة وسمي باسمها .

(٢) وهو اسم يطلق على مجموعة من الجزر في المحيط الهادى تستعمرها بريطانيا وتقع في الشمال الشرقي لزيلاندة الجديدة .

الجموع العظيمة خلال الاسبوعين التاليين من القادمين للتفرج مشاة او فى السيارات أو فى الموتوسيكلات جعل الحركة مستحيلة فى أى من الشوارع المزدانة على طريق الاحتفال وقبل الاحتفال بائنى عشر شهرا منحت شركات السيارات ترخيصات لاستحضار الزوار الى لندن على شريطة أن ينزلوهم خارج المنطقة المركزية فأتت السيارات الى لندن بالألوف واخذت تسير فى بطء فى أرتال مستمرة لا تنتهى يلتصق فيها مقدم السيارة بمؤخر الاخرى أما ساكن لندن البائس الذى يتوجه لعمله او يعود منه فقد قاسى بغير شكوى فترة من الزمن . وأخذ أعضاء البرلمان الذين تأخروا فى الوصول الى المجلس يوجهون الاسئلة عما يأتيه حكمدار البوليس لتنفيذ الاوامر القائمة واخلاء مشارف قصر وستمنستر من جميع العوائق .

وبناء على ذلك اصدرت أمرا بمنع المركبات من دخول المنطقة المركزية لأكثر من أسبوعين وفى نهاية المدة كان قد انتهى الهجوم وعادت حركة السيارات فى لندن الى حالتها المألوفة وقامت الاحتجاجات على القيد الذى فرضته ولكنى اعتقد ان سائقى السيارات كانوا غير راضين عن فرضه ففى مساء أحد الايام والحركة على أشدها قاد أحد سائقى السيارات سياراته الى اسكتلنديارد نفسها وسأل : أين يكون ؟ ولما أجيب قال : « حسبى ما لقيت . انى آود أن أعود الى بلدى لانكشير »

لم يكن فى وسع البوليس أن يواجه هذه الجموع التى ليس له بها عهد من قبل باستعمال القوة وكان بفضل ما أبداه رجاله من رباطة الجاش وتفهم للشعب البريطانى . ولحسن ذوق الجماهير أن أصبح الموقف محتملا بل ممتعا وفى احدى الليالى حوالى الساعة العاشرة والنصف سرت فى ميدان ترافلجار حيث غطى الناس والسيارات كل ياردة من الطريق وكان أحد الشبان من رجال البوليس ينظم حركة المرور فسألته اذا كانت القيود المفروضة على السيارات سهلت مهمته .

فأجاب . نعم وانى لأستطيع تنظيم حركة الاتوبيسات والسيارات ففى استطاعتك ان تخبرها بما عليها أن تفعله . ولكنك لا تستطيع أن تخاطب هذه الالوف من النظارة الذين يسيرون على الاقدام .

وهذا القول له نصيب كبير من الصحة . ومع ذلك فانى عندما شققت طريقى عبر (ادميرالاى آرش (١)) الى المول — وكانت حينذاك

---

(١) بناء جليل ذو ثلاثة عقود مقوسة فى الطرف الشرقى بشارع الملعب أو شارع مول وقد أقيم هذا البناء تخليدا لعهد الملكة فيكتوريا .

عبارة عن كتلة صلبة من البشر لا يكاد توجد بينهم أية سيارة ــ لم أجد اى اخلال بالنظام . وقد نظم الناس انفسهم فكان المتوجهون منهم الى ميدان ترافلجار يسيرون على الجانب الشمالى للطريق والمتوجهون غربا يلتزمون الجانب الجنوبى . وهذا مثال ملحوظ لحسن ذوق الجماعات الكبيرة من الناس دون أن يحدث اى حادث خطير .

وقد قال احد رؤساء المراقبين وهو يطل بحنو من سيارته على الجموع المرصوصة على الطريق الذى تسلكة الملكة فى نزهتها والذى لم يكن به الا رجل بوليس واحد يخصص لكل خمسين ياردة : (هم أناس طيبون) لا متاعب على الاطلاق .

ومن المصادفات العجيبة أن حياتى المصلحية بدأت بتتويج الملك جورج الخامس وانتهت بتتويج كبرى كريماته · وحينما اجتزت امتحان الخدمة المدنية سنة ١٩١١ كان مستر تشرشل حينذاك وزيرا للداخلية. وصمم خلافا للمألوف أن يرانى قبل أن اعين فى وزارة الداخلية فتوجهت انا فى حالة عصبية متخوفا من مقابلة هذه الشخصية التى تشبه شخصية الاساطير والرجل الذى مكن الصحف من كتابة عناوين ضخمة بسبب حضوره معركة (شارع سدنى) محاولا أن يعطى فرصة اخرى الى شبرد سجين دارتمون نشال قديم قضى فى السجن ٣٨ سنة بين السبعة والستين سنة المحكوم بها عليه ولم تكن لدى أية فكرة عن عمل المصالح الحكومية وكان مفاجأة لى أن أعلم ان (جون مويلان) الذى ألحق فيما بعد بأقسام بوليس العاصمة باحدى الوظائف أوفد بعد فترة قصيرة مرتديا كسوة مستر تشرشل الفدائية ليقوم بعمل وظيفة ضابط اتصال مدنى مع الجنرال السير (مكريدى) فى القوة التى أرسلت لتهدئة الاضطرابات فى (بونى باندى) .

اخذ مستر تشرشل يستجوبنى وكان من بين الاسئلة التى وجهها الى (لماذا اخترت حياة مطلقة كحياة الموظف المدنى ؟) .

فأجبته وانا أفكر فى مويلان وفى معركة شارع سيدنى بأن هذه الحياة حياة لذيذة وكان هذا جوابا موفقا .

وقال مستر تشرشل . نعم انها حقيقة كذلك وأخذ نحو نصف ساعة يتكلم ارتجالا عن مشاكل وفن الادارة وأنا أسمع اليه مأخوذا بسحر كلامه .

وليس كثير من الشبان الذين التحقوا بالخدمة المدنية من نالوا

مثلى هذه التقدمة الباهرة بالدخول فى معترك العمل الذى اختاروه .
بعد أسابيع قليلة من التحاقى بوزارة الداخلية قضيت بعض الوقت وأنا أراجع وأقترح اجابات لبعض أفراد العائلة المالكة عن تتويج الملك جورج الخامس . وكنت قد اهتممت فى الوقت نفسه بموضوع آخر هو موضوع بوليس العاصمة . وتبين احدى الوقائع وحدها التغيير الذى أصاب الادارة البوليسية فى هذه السنوات بسبب عمل سير (أرثر ديكسون) الذى استمر من نهاية الحرب العالمية الاولى الى تاريخ اعتزاله الخدمة فى سنة ١٩٤٦ مسئولا عن شئون البوليس فى وزارة الداخلية ـ الادارة التى كنت أعمل فيها كانت مختصة ببوليس العاصمة ولكنا لم تكن نعلم شيئا عن بوليس الاقاليم الذى كانت تختص به ادارة مستقلة منفصلة عنا ، والسير ارثر ديكسون يعزى اليه الفضل الاكبر فى رفع مستوى البوليس الى مستوى جديد فى جميع أنحاء البلاد وأنه هو الذى ساعد على تحسين وسائله فى كثير من ميادين العمل حتى تغيرت الاعمال البوليسية تغيرا شاملا .

بدأت خدمتى تحت ادارة مستر تشرشل وانتهت تحت ادارة سير نستون وقد امتدت الى اثنتين وأربعين سنة وقد تمتعت بها كلها وكانت الثمانى السنوات التى قضيتها فى بوليس العاصمة خير هذه المدة وقد كسبت منها ولاء وودا سأعتز بهما دائما . وكفاية رجال بوليس العاصمة فى التنظيم اذا رؤيت عن كثب تكاد لا تصدق وكنت أعلم دائما أن رجل البوليس لن يترك أعماله غير تامة سواء كان حفلا رسميا أو تحقيقا جنائيا أو حادثا اجتماعيا أو معرضا للخيول . فكل شىء يلقى عناية بتسلسل منتظم مقرون بالذكاء .. وقد حدث فى كلية البوليس فى احدى الليالى أن حيا أحد ضباط الاقاليم فصيلة من ضباط بوليس العاصمة كانت حديثة العهد بالوصول . حياها بالعبارة الآتية (هنا يقدم العظماء والأمجاد) وهذه الكلمات وقد نطق بعضها على سبيل الجد تصلح أن تكون ختاما لقصتى .

ان تاريخ بوليس العاصمة هو فى الواقع عظيم ومجيد فالحكمداريون يأتون ويذهبون ولكن قوات البوليس تبقى لتواجه مشاكل عالم دائم التغيير . وفى خلال الأربعين سنة الماضية استطاعت القوات أن تتغلب على هجوم وجه الى كفايتها ونزاهتها ولعبت دورا حيويا فى الدفاع عن لندن فى حربين عالميتين واستطاعت بسلطات كانت تمنحها من وقت الى وقت . وفى الظروف الطارئة أن تحافظ على الامن بينما تركت حرياتنا

الضرورية بغير مساس واذا كانت لم تحقق ما كانت تأمله ، من كمال مهنى فقد خطت خطوات جديدة نحوه ومما يذكر ان رجال البوليس وحكمدارهم كانوا الى ما قبل اربعين سنة مضت موضع تنكيت مستتر بنش الخبيث المزوج بالصداقة وقلما يظهرون اليوم فى صفحات مجلته.

ورجل البوليس درب لا على تنفيذ القانون فقط بل على رعايته ولذلك فقد استطاع ان يتغلب على ما كان يتعرض له أسلافه من الحقد والسخرية واكتسب لنفسه احترام الجميع ومحبتهم ما عدا الاقلية الضئيلة الخارجة على القانون وهو يخدم الحكومة دون الاعتداد بلونها السياسى وتنفيذه القانون بغير محاباة اصبح حجر الزاوية لحياتنا الديموقراطية .

ويجد الشعب البريطانى فى قواتنا البوليسية الأداة الوحيدة التى يجب أن يحتفظ بها وقد صرحت الحكومات المتعاقبة أن من السياسة الثابتة أن تشغل أعلى وظائف السلك البوليسى من ضباط البوليس وفى تعيين نائبى سير (جون نوت بور) خلفا لى تأكدت من هذه السياسة بأعلى مستواها . وهذا كله للصالح العام الا أن هذه السياسة تفترض وجود الرجال الصالحين لشغل هذه الوظائف الرئيسية وان كلية البوليس لتؤدى عملا عظيما فى اعدادها الرجال الملحقين فعلا فى الخدمة لشغل الرتب الأعلى . ولكن مهمتها مقصورة على رجال البوليس الحاليين وما لم يكن هؤلاء الرجال من الطراز الصحيح فلا تستطيع الكلية أن تنجح وظروف الخدمة فى البوليس يجب أن تبلغ من الحسن درجة تجذب اليها شبانا ذوى أخلاق ومقدرة ممن يرغبون أن ينخرطوا فى سلك البوليس ويعدوا أنفسهم للترقى الى القمة .

وتتطلب خدمة البوليس ممن يلحقون بها مطالب غالية . ولا يمكن القول حقا ان المكافآت التى تقدمها كافية وانى لأرقب بلهفة اليوم الذى يقرر فيه ضابط البوليس الناجح أن يشجع ابنه على الالتحاق بخدمة البوليس كما يفعل ضابط الجيش أو ضابط البحرية لتشجيع ابنه على الالتحاق بخدمة الجيش أو البحرية وليست هذه الحال اليوم وقبل أن يقع هذا لا بد من حصول تغييرات أعظم مما شاهدناه فى السنوات الاربعين الماضية .

فالماهيات الحسنة وهى تشتمل على تعويض مناسب عن غلاء المعيشة فى لندن وزيادة المساكن . وانشاء مراكز بوليس حديثة . مسائل

يجب ان تكون فى المقدمة واعتقد أنها يجب أن يتبعها زيادة فى عدد رجال القوات مما يمهد السبيل لتحسين النظم وهو التحسين الذى يعوقه اليوم نقص عدد الرجال فزيادة عددهم معناه نقص ساعات العمل والاعفاء قليلا من العمل ليلا . وفى أيام العطلة الاسبوعية . وخلال العطلات كما يؤدى الى تنمية نظام التعاون البوليسى واعادة تنظيم الفرق الاصلية والفرق الفرعية حتى يمكن تزويد كثير من الاماكن التى تشكو ولها بعض الحق فى انها لا تجد الحماية البوليسية التى تحتاج اليها .

وزيادة عدد الرجال تسمح باتساع الوقت الذى يخصص للتدريب وفى كل عام تزداد الحاجة الى مهارة رجال البوليس ومعلوماتهم الفنية فان من المستحيل الآن أن تكدس فى الثلاثة الاشهر المعدة لتدريب الطالب المستنجد جميع الاشياء التى يجب أن يعرفها رجل البوليس فتخصيص مناهج دراسة جديدة على فترات منتظمة خلال مدة خدمة الضابط واعطاء مناهج تعليمية عامة للضباط الذين هم فى منتصف سنوات خدمتهم واتاحة فرص اكثر لمشاهدة بعض ما تقوم به قوات بوليسية أخرى من الاعمال داخل البلاد وخارجها . كلها مسائل تدعو الحاجة اليها اذا ما أريد أن يكون رجل البوليس فى المستقبل قادرا على الاضطلاع بمهمته فى عالم آخذ فى التعقيد المستمر .

فاذا ما تحققت هذه المطالب فلست اشك أنه سيوجد بين القوات نفسها رجال قادرون على أن يقودوها الى مرتفعات أعظم فى الخدمة العامة .

فهـــرس

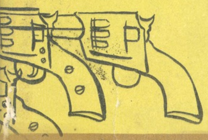
الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

هذا الكتاب :

(اسكتلنديارد) هو الاسم المدوى فى عالم الاجرام ، يخشاه المجرم قبل وبعد ارتكاب الجريمة. ومؤلف الكتاب تقلد منصب حكمدار بوليس لندن عدة سنوات، وهو بهذا حجة فى أعمال البوليس، وقد روى فى الكتاب عن رجل البوليس ما له وما عليه فى صدق وصراحة ودقة ، واختار من الحوادث اشهرها ، ومن المجرمين أكثرهم جرأة وحيطة ، فشرح وعلق بما ينفر من الجريمة وينذر بعاقبة المجرمين ، ويشهد لرجل البوليس بأنه نعم الحارس الأمين. فجاء هذا الكتاب يسد فراغا كبيرا فى المكتبة البوليسية .





العدد ١٠١
الثمن ٣٥ ص

